

حاجي مالك الزياتي

الترادف في اللغة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

توتق اهتمامي بالدراسة اللغوية ، ايام دراستي الجامعية الاولية وتممّت صلي بكثير من المصادر العربية ، تشدني اليها اوامر لا اجد لنفسي منها خلاصا . اذ كانت المنهل الثر الذي تزودت منه با استطعت من علوم العربية وآدابها . وكثيرا ما كانت اقوال علمائها تستحوذ علي ، وتثير في نفسي رغبة ملحة في التأمل والاستقصاء بغية الوقوف على فهم واضح لبعض الظواهر والمشكلات اللغوية .

وحيث تهيأت في السنة التحضيرية لاختيار موضوع رسالتي ، تشلت في ذاكرتي طائفة من المسائل اللغوية ، وما اثر عن اللغويين العرب من مشهور القول فيها ، فوجدتني في غمرة ما تعج به كتب العربية من مقولات وتعليقات . واذا « بداهية الدواهي » في قول حنزة الاصفهاني : (ان تكاثر اساء الدواهي من احدى الدواهي) تشدني الى موضوع « الترادف » شدا وثيقا .

لقد كانت تلك المقالة الاشارة الاولى في توجيهي الى هذا البحث واصطفائه من بين الموضوعات الكثيرة التي كانت تدور في خلدي آنذاك .

فقد احست ان الرجل يومي، الى معضلة لغوية في العربية ، حسب ان فيها
متما للقول وميدانا رجبا للدراسة والبحث . فرحت اقتش في بطون الكتب
واستنطق امهات المصادر اللغوية ، مستطلعا ابعاد الموضوع ومستجليا آفاقه
بغية التحقق من صلاحه واهيته وما قيل فيه ، والتمس مشورة الاستاذ
والزميل فلتقت في ذلك القبول والتشجيع . ومن ثم عزمت على الخوض في
هذا الموضوع ، فاذا بي حقا ازاء ظاهرة لغوية مهمة ، تمثل مشكلة في العربية
خاصة وفي اللغات الانسانية عامة ، كانت وما تزال موضع خلاف طويل ومثار
جدل كثير بين الدارسين قدامى ومحدثين الى يومنا هذا .

فقد ذهب اللغويون في امرها مذاهب شتى وتمددت آراؤهم في النظر
اليها من حيث تعريفها وتفسيرها ومن حيث الجواز والانكار في وقوعها وما
يترتب عليهما . فالذين يقولون منهم بالترادف يرونه فضيلة للعربية تفخر
بها على غيرها ، ودليلا على سعتها وغناها وثراء مفرداتها في الابانة والتعبير .
في حين يعده آخرون مجالا لثب العربية والظعن فيها ، فيتهمونها بالاسراف
في المفردات ويفسزونها بافراط لا ضرورة له ، حتى ذهب بعضهم الى وصف
العربية بانها لغة « مائعة » لا تعرف تحديد الالفاظ ولا الصفات . وقال
آخرون ان هذه الظاهرة تنافي حكمة الوضع في اللغات فشددوا النكير عليها .
على حين رآها بعضهم امرا غير طبيعي يدعو الى الشك والارتباب ، وجعلها
بعضهم دليلا على « بدائية » هذه اللغة . وما اكثر التهم والاقاويل التي
وجهت الى العربية بسبب وقوع الترادف وكثرته فيها .

كل ذلك دفعني الى ولوج هذا الموضوع والبحث فيه لملي اتين حقيقة
الامر ووجه الحق فيه . زد على ذلك ان الظاهرة لم تحظ بدراسة عليية
مستقلة تنفع الباحث وتشفي غليله . فقد شغل الدارسون كثيرا بالتصنيف في
الالفاظ المترادفة والتابع الى جمعها ، وغلب عليهم القول بالجواز والانكار
دون تحليل هذه الظاهرة او استقصاء معالمها ومعرفة حقيقتها .

وبعد احاطة شاملة بالموضوع والمأم بأهم جوانبه : شرعت برسم خطه للبحث تحدد منهج دراسته وتناوب طبيعته . فهدت له بايجاز في التطور الدلالي واهم مظاهره ، وذلك لتعلق موضوع الترادف بالدلالة وتطورها . ثم وجدت ان الموضوع يشتمل على اربع مسائل رئيسة فكان ان انتظم البحث في اربعة فصول مناسبة :

الفصل الاول : وقد تناولت فيه فكرة الترادف لغة واصطلاحاً وعرضت لها في الدراسات اللغوية من الناحية التاريخية ، وبينت مفهوم الترادف وتحديداته عند اللغويين القدامى والاصوليين والمنطقة والمحدثين من اهل اللغة ، ثم خلصت من ذلك كله الى ما ارتأيت من تحديد دقيق لمفهوم الترادف .

الفصل الثاني : وقد عالجت فيه باسباب تثير ظاهرة الترادف . وبيان اسبابها واثار كل سبب في حدوثها ، معززا ذلك بدراسة ناذج من المترادفات وبفيض من الامثلة . وكان لا بد لي في هذه الدراسة من ان اتبع المنهج اللغوي التاريخي من اجل الوقوف على ظروف نشأة الترادف في اللغة وفهم أسبابه .

الفصل الثالث : وقد تحدثت فيه عن مسألة الخلاف في وقوع الترادف ، فعرضت لآراء القدامى ومواقفهم وبسطت حجج المنكرين منهم والمؤيدين ثم ناقشتهم في ذلك وخلصت الى رأى محدد . ثم درست ناذج من الالفاظ في الفروق واتميت الى تحديد طبيعة هذه الفروق واسباب القول بالتباين او الترادف فيها . كما درست بعض كتب الفروق من حيث الدافع والغاية والمنهج ، ثم اتيت الى آراء المحدثين في الموضوع .

الفصل الرابع : وقد افردته لدراسة كثرة الترادف في العربية فتكلت على اسباب هذه الكثرة وكشفت حقيقتها ، بعد ان عرضت بايجاز الى

الترادف في لغات اخرى . ثم ختته بنقد وتقويم للكتب والمعجمات التي صنفتها التداىى والمحدثون في الترادف وتجريح نهجهم الذي سلكوه في ذلك ، مقترحا منهجا جديدا في جمع المترادفات وما ينبغي ان يكون عليه التصنيف في مثل هذا الضرب من الالفاظ تبعا لما توصلنا اليه من حقيقة هذه الظاهرة وفي هدي دراستها .

وقد وقت طويلا عند المسائل التي وجدت فيها اشكالا وخلافا يحتاجان الى تحليل وتفصيل ، او لاهيتها في البحث وما يتعلق بها من نتائج نحو تفسير الترادف والخلاف في وقوعه ، في حين تناولت بعض المسائل بايجاز لكونها معروفة واضحة للدارسين . فجاءت فصول الرسالة متفاوتة في الطول والتعسر تبعا لطبيعة الفصل واهيته ، من غير ان الزم نفسي بتحديد شكلي .

وثمة صعوبات واجتني في كتابة هذه الرسالة اهمها ان الترادف ظاهرة دلالية تتعلق بالمعنى وما يكتنفه من اشكال وغموض ، والمعنى هو المشكلة المركزية في اللغة كما يقول بعض المحدثين . اذ انه يصعب في كثير من الاحيان توجيه دلالات الالفاظ وتحديد ما تشير اليه بدقة ، لتعلق ذلك بالعوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية وبسبب تغير المعنى وتطوره باختلاف الزمان والمكان . وما يزيد ذلك صعوبة افتقار العربية الى المعجم اللغوي التاريخي الذي يقيد دلالة الالفاظ بحسب الاختلاف في الزمان والمكان ويعنى بتطورها تبعا للاستعمال . ومن اجل التغلب على هذه الصعوبة عمدت الى كتب الالفاظ وكتب الامثال ومصنفات لعن العامة لمتابعة التطور الدلالي للالفاظ قدر الامكان والكشف عما يعترها من تغير .

اضافة الى ما نجده في كتب الاقدمين من خلط واضطراب يبلغان حد التناقض احيانا ومن اختلاف في تحديد معنى اللفظة الواحدة في احيان اخرى ، فضلا عما في كتب اللغة من تحريف وتصحيف ووضع ووهم في الرواية مما يحجب عنا كثيرا من حقائق معاني الالفاظ .

كما وجدت صعوبة في ترجمة بعض النصوص الاجنبية بدقة فاستعنت
ببعض المختصين لتذليل هذه الصعوبة وكنت اعرض عليهم ما ترجمته ثبثا
من صحته .

وبعد ؛ فليس الغرض من هذا البحث اثبات الترادف او تفيه بقدر ما
هو دراسة لغوية وصفية تطبيقية تمتد التحليل والتفسير ؛ وتقوم على التبع
والاستمضاء بنية استجلاء غوامض هذه الظاهرة والكشف عن طبيعتها .
فالباحث اللغوي المحدث، لا يرفض ظاهرة لغوية او يصدر عليها احكاما
معيارية مادامت تشل جانبا من واقع اللغة ؛ وانا يكتفي بوصفها وتحليلها
ومعرفة حقيقتها .

وختاماً ارجو ان اكون قد وفقت في الكشف عن هذه الظاهرة ودراسة
اسبابها وبيان حقيقتها ، وهو ما تصدت اليه ، وحسبي انها خلاصة جهد جيد
وحصيلة عناء طويل . وعسى ان اكون قد اسديت للغة القرآن خدمة واجبة
تسبغ على ابنائها شرف الاتساء اليها وفضل الاعتزاز بها .

وما توفيقى الا بالله .

التوحيد

في التطور الدلالي

الدلالة هي المعنى ، ودلالة اي لفظ هي ما ينصرف اليه هذا اللفظ في
الذهن من معنى مدرك او محسوس ، والتلازم بين الكلمة ودلالاتها امر لا بد
منه في اللغة ليم التفاهم بين الناس^(١) . وقد تطور البحث في الدلالة على
ايدي الدارسين المحدثين ووضعت فيها الآراء والنظريات المتعددة حتى صارت
علما مستقلا بذاته من علوم اللغة ، يعرف بعلم الدلالة .

والتطور الدلالي ، ونعني به تغير معاني الكلمات ، ظاهرة شائعة في
جميع اللغات اكدها الدارسون لمراحل نمو اللغة واطوارها التاريخية^(٢) .
ويشبه هؤلاء اللغة في هذه الناحية بالكائن الحي ، تخضع لما يخضع له الكائن
الحي في نشأته ونموه وتطوره^(٣) . فاللغة كآية ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور
في مختلف عناصرها : اصواتها وقواعدها ودلالاتها ، وان تطورها هذا يجري
وفق اتجاهات عامة وفي نماذج رئيسية ، وليس تبعا للاهواء والمصادفات ،
ولا يد لاحد على وقف عملها او تغيير ما تؤدي اليه ، وليس في قدرة الافراد ان

(١) الاضداد في اللغة : د . محمد حسين آل ياسين ص ٤٦ .

(٢) دلالة الالفاظ : د. ابراهيم انيس ص ١٢٢ .

(٣) لحن العامة والتطور اللغوي : د. رمضان عبد التواب ص ٣٠ .

يقفوا تطور لغة ما ، او يجعلوها تجدد على وضع خاص^(٤) . ذلك ان اللغة ليست جامدة بحال من الاحوال على الرغم من ان تطورها قد يبدو بطيئا في بعض الاحيان ، وتغير المعنى ليس سوى جانب من جوانب التطور اللغوي الذي يتم ضمن طبيعة اللغة الخاصة . فلاشيء ثابت او مستقر فيها بصورة تامة ، فكل صوت وكل كلمة او تعبير او اسلوب يكون شكلا او صورة متغيرة ببطء ، بقوة غير مرئية او مجهولة . وتلك هي حياة اللغة^(٥) .

وليست سنة التطور اللغوي متصورة على اصوات المفردات او ابنتها او على العناصر النحوية ، بل يلحق معانيها ايضا . فقد اثبت علم اللغة الحديث ان اللغة في تطورها الدلالي كما هي عليه في تطورها الصوتي تير وفق اتجاهات عامة في نواذج رئيسية تمكن الدارسون من تحديد معالمها وتعرف مظاهرها ، حتى اتوها الى ما سواه ب (قوانين المعنى) وان كانت هذه القوانين وما يزال بها حاجة الى مزيد من البراهين الواقعية قبل الحكم على صحتها ومدى اطرادها حكما سليما^(٦) . ومن المحتمل ان يكون المعنى اقل مقاومة للتغير ، كما قرر بعض المحدثين^(٧) .

ان التغير في معنى الكلمات غالبا ما يحدث بالتدرج بحيث لا يمكن للمرء ان يكتشف او يتبين الخطوات المختلفة لعملية التغير . وبسبب تغير المعنى ياتل التغيرات الصوتية، ويمزى ذلك الى الذين يتعملون اللغة قديما وحديثا، اي انه

(٤) اللغة والمجتمع : د. وافي ص ٩١ .

(٥) دور الكلمة في اللغة : استيفن اولمان ص ١٥٢ .

Semantics an introduction to the science of meaning, by
Stephen Ullmann, p. 193.

(٦) دور الكلمة في اللغة ص ١٨٢ - ١٨٧ . وينظر لحن العامة في ضوء
الدراسات اللغوية الحديثة د . عبدالعزيز مطر . ص ٢٧٩ .

Semantics an introduction to the science of meaning, p. 193. (٧)

يعزى الى الاستعمال من الماضي الى الحاضر^(٨) . وانتقال اللغة من جيل الى جيل يعد من العوامل المهمة في تغير المعنى وتطوره ، وتيسير حدوثه^(٩) .

ان اسباب تغير المعنى كثيرة غير محددة ، ولقد ميز باحث من المتخصصين بعلم الدلالة ما لا يقل عن واحد وثلاثين احتمالاً مسبباً لتغير المعنى ، ثم ذكر من بعد ذلك ان عملية تغير المعنى مسألة صعبة ومعقدة ، وبعضها فريد في نوعه ، اذ يعتمد على النظر الى الاصل التاريخي للكلمة ، وعلى الرغم من ذلك يمكن استنباط عدة اسباب مهمة لتغير المعاني . وتشمل هذه في اسباب لغوية وتاريخية واجتماعية وثقافية وفي التأثير الاجنبي ، والحاجة الى اسم جديد^(١٠) .

ولقد اورد المحدثون امثلة كثيرة لتطور الدلالة في مختلف اللغات ولاحظوا ان هذا التطور غالباً ما يكون في الانتقال من المعاني المادية الحية الى المعنوية المجردة . ولاريد ان التطور الدلالي قد وقع في اللغة العربية قديماً وحديثاً كما وقع في غيرها من اللغات ، فمعاني الالفاظ التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي لم تبقى جامدة على حالها بعد الاسلام . بل لحقها تغير قليل او كثير . . . وهذا ما حدث في العصور التي تلت بعد ذلك ايضاً ، نتيجة تطور المجتمعات والحاجة الى التجديد ، واضفاء معان جديدة على كلمات قديمة ، وفاء بحاجات الحياة المتطورة^(١١) . ولعل من الامثلة الواضحة على التطور الدلالي في العربية ما اصاب الفاظاً من تغير في معانيها بعد ظهور الاسلام وما اكتسبت من معان جديدة وذلك من نحو الفاظ الصلاة والصوم والحج والزكاة والكفر والمسلم والمؤمن والمنافق والشرك

Language, its nature, development and origin. by Otto (٨)
Jespersen, p. 174.

Semantics an introduction to the science of meaning, p. 103. (٩)

Semantics an introduction to the science of meaning, p. (١٠)
197 — 210.

(١١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٧٦ .

وغيرها^(١٣). وثمة الفاظ اخرى انتقلت دلالتها من المجال المادي الى المجال المعنوي المجرد كالشرف والعقل والمجد والبحث والاعتباس والادراك والوعي والروح والفضل^(١٣). فكل هذه الالفاظ في الاصل تدل على معان حيية ومدلولات مادية .

وقد اشار اللغويون القدامى الى التطور الدلالي الذي لحق طائفة من الالفاظ ونصوا عليه صراحة ، بيد انهم عدوا ما حدث بعد عصور الاحتجاج مولدا او لحنا ، مع ان الظاهرة واحدة ، كما ان هذا التطور لم يكن واضحا لديهم ولم يعللوا له . ومن الالفاظ التي تطورت دلالتها ونص على ذلك القديما ، ما ذكره الجوهري : (والحيم الماء الحار والحيمة مثله ، وقد استحمت اذا اغتمت به ، هذا هو الاصل ، ثم صار كل اغتمسال استحاما ، بأي ماء كان)^(١٤) ومنه ان : (اصل العقر ضرب قوائم البعير او الشاة بالسيف ، وهو قائم . . . ثم اتسع في العقر حتى استعمل في القتل والهلاك)^(١٥). وعن ابن الاعرابي انه (اذا كانت في الرمة نضخة فهي بجرة ، واذا كانت في الظهر نهي عجرة ، قال : ثم ينتقلان الى الهوم والاحزان)^(١٦). وقال ابن الاثير : (الرمة بالضم : قطعة جبل يشد بها الاسير او القاتل الذي يقاد الى القصاص اي يلتم اليهم بالجبل الذي شد به تكينا لهم منه لئلا يهرب ، ثم اتسعوا فيه حتى قالوا اخذت الشيء برمته اي كله)^(١٧). وقال الجوهري فيه : (اصله ان رجلا دفع الى رجل بعيرا بحبل في عنقه ، فقتل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته)^(١٨) ومن ذلك ما نص عليه ابن دريد في جملة

(١٢) ينظر الصحاح لابن فارس : ص ٧٨ - ٨١ والمزهر للسيوطي : ٢٦٤/١

والتطور اللغوي التاريخي د . ابراهيم السمراني : ص ٤٣ .

(١٣) نقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك . ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(١٤) الصحاح مادة حمم : ١٩٠٥/٥

(١٥) اللسان مادة عقر : ٥٩٣/٤ .

(١٦) اللسان مادة بجر : ٤٠/٤

(١٧) اللسان مادة رمم : ٢٥٢/١٢

(١٨) الصحاح مادة (رمم) / واللسان مادة رمم : ٢٥٢/١٢ .

الفاظ منها ان (النجمة طلب النيث ثم كثر فصار كل طلب اتجاعا ، والمنيحة اصلها ان يعطي الرجل الناقة او الشاة فيشرب لبنها ويجتز وبراها وصورها ثم صارت كل عطية منيحة والوغى اختلاط الاصوات في الحرب ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغى)^(١٩) ومثل هذا كثير من الالفاظ التي نص القدامى على تطور معانيها واتساع دلالتها نتيجة كثرة الاستعمال . وقد عقدوا له بعض الابواب والفصول ، وقد ترجم له ابن دريد في : (باب الاستعارات)^(٢٠) وجعله ابن فارس في : (باب القول في اصول اساء قيس عليها والحق بها غيرها)^(٢١) على حين خصه السيوطي بثلاثة فصول^(٢٢) .

بيد ان القدامى على الرغم من اعترافهم بهذا التطور ، فانهم قصرود على حقبة بعينها ، ورفضوا كل تغير في المعنى حدث من بعد ذلك ، فوقف معظمهم من هذا التطور موقفا معارضا وشددوا التكير على هذا الجديد في المعنى ، بدافع الحرص على سلامة اللغة والحفاظ عليها ، ومن اجل تنقيتها لئلا تضد ، ومراعاة لمبدأ الصحة اللغوية والنعاحة فيها ، ولم يكن لهذا الموقف ان يؤثر في الحركة الدائبة لتطور دلالة الالفاظ^(٢٣) .

وقد استوجبت هذه النظرة ان يتسك هؤلاء في الغالب بالدلالة القديمة للكلمة أو المعاني الاصلية للالفاظ كما سجلتها المعجمات اول مرة ، ابان ماتعارفوا عليه بمصور الاحتجاج اللغوي . فقد ذهب ابن فارس الى ان اي تغير يحدث فهو موقوف على ما سح ، اذ عقب على طائفة من الالفاظ التي تغيرت معانيها والتي ذكرنا طائفة منها آتفا بقوله : (وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتججنا له ، وقول هؤلاء : « انه كثر حتى

(١٩) جهمرة اللغة لابن دريد : ٤٢٢/٣ - ٤٢٢ .

(٢٠) المصدر السابق : ٤٢٢/٣ - ٤٢٤ .

(٢١) الصاحبى : ص ٩٥ .

(٢٢) الزهر : ٤٢٦/١ وما بعدها .

(٢٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٧٩ .

صار كذا » ، فعلى ما فسرناه من ان الفرع موقف عليه ، كما ان الاصل موقف عليه (٢٢٤) . ولا شك ان هذا الموقف كان بسبب تلك الحدود الزمانية والمكانية التي وضعوها في اخذ اللغة والتي ينتهي عندها قبول الاستعمال الجديد ، وهو ما يتفق مع نظرية التوقيف التي قال بها ابن فارس في نشأة اللغة ، تلك النظرية التي تتعارض مع مبدأ التطور الدلالي اساسا . وقد ادت هذه النظرة بهم الى قصر دلالة الالفاظ على حقبة معينة لم يتعدوها الى سواها ، فكان الواحد منهم ينقل عن الاخر تلك المعاني على تفاوت الزمان والمكان ، لا كما هي مستعملة في عصره . ولم يعنوا بما طرأ على دلالة الالفاظ من تطور ولم يعترفوا به بعد هذه الحقبة ، بل انكروا ذلك ورفضوا الاخذ به في اغلب الاحيان وردود بشتى الحجج ، وما حركة تنقية اللغة وما عرف عن اصحابها من تزمت وتشدد الا تعبير واضح عن هذا الموقف ازاء التطور الدلالي والوقوف بوجهه بجانب ما كان من موقف اصحاب كتب لحن العامة الذين رفضوا هذا التطور ايضا وراحوا يستكرونه ويصوبونه معولين في ذلك على الدلالة الاصلية للالفاظ . وقد ذهب هؤلاء الى ان يصفوا هذا التطور الدلالي باللحن والخطا ، او المولد والمحدث ، او الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها او ما يضعه الناس غير موضعه او بالزال والمنسد وما الى ذلك من التسيات التي انلقوها عليه . وقد احصى الدكتور مطر في كتاب ادب الكاتب اثنى وثلاثين استعمالا تغير مجال استعمالها عما ورد عن العرب وذكر ابن قتيبة معانيها الاصلية (٢٢٥) . وجمع ايضا من خلال المواد المختلفة في كتاب « تقويم اللسان » تما وخسين مادة ذكرها ابن الجوزي من اخطاء العامة في دلالة الالفاظ وبعد تصنيفها تبين له ان التغير في المعنى قد تسم في احد الاتجاهات الثلاثة تخصيص العام وتعميم الخاص ، وتغير مجال الدلالة (٢٢٦) ؛ وهذه

(٢٤) الصاحبى : ص ٩٦ .

(٢٥) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٦٣ .

(٢٦) المصدر نفسه ص ١٩٦ - ١٩٩ وينظر تقويم اللسان لابن الجوزي : ص ٦٥ من مقدمة المحقق .

الاتجاهات من اهم مظاهر تطور الدلالة ، كما ستبين .

ان نظرة القدامى الى اللغة بتلك الحدود القائمة على اساس زمان معين ومكان مخصوص ، هي سبب هذه الظاهرة التي نجم عنها فقدان تدوين الالفاظ ودلالاتها المتطورة وعدم تتبع هذا التطور ، ولعل هذا اهم نقص وابرز عيب يجدهما الباحث المعاصر في المعجم العربي القديم .

والمحدثون من اللغويين العرب لهم ملاحظات ازاء نظرة القدامى هذه الى اللغة وتحديد زمان الاحتجاج ومكانه ، وموقفهم من التطور الدلالي .

وهذا ما بينه استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي حين عرض لمبدأ التطور في اللغة وموقف الاقدمين من هذه الحقيقة اللغوية . فذكر كثيرا من المآخذ المهمة والنتائج التي نجحت عن موقفهم هذا بسبب انكارهم لتطور اللغة وما ترك من آثار ومصاعب في الدراسة اللغوية التاريخية وفي تتبع مراحل تطورها . حيث يقول : (ومن نقص الادوات عندنا لمعرفة اللغة معرفة عليية ؛ ان كتب اللغة لا تشير الى اللفظة المفردة وطرائق استعمالها عبر العصور ، وذلك ان اصحابها مقلدون في بحثهم اللغوي للفكرة الاولى التي تيدت الفصاحة والبلاغة بحقبة معينة لا تتعدها الى غيرها كما اسلفنا ، واصحابنا من المعنيين باللغة وباساليب القول فيها بدع بين اقرائهم من علماء اللغات الاخرى ، فاللغوي الحديث يؤمن بالنظرة التاريخية وبالتطور الذي تستدعيه عوامل التطور المختلفة) (٢٧) .

ويرى الدكتور ابراهيم انيس ان اللغويين الاقدمين قصروا السليقة اللغوية على قوم معينين ، وقصروها على زمن معين ، وقصروها على بيئة معينة ؛ فشا في مخيلاتهم ما يمكن ان يعبر عنه بدكتاتورية الزمان والمكان (٢٨) . ويقول الدكتور تمام حسان ان نظرة القدامى في حصر اللغة بزمان ومكان

(٢٧) التطور اللغوي التاريخي : ص ٢٩ .

(٢٨) من اسرار اللغة د . ابراهيم انيس : ص ٣٦ .

معينين وما كان من انكارهم للتطور اللغوي : قد قادت التفكير اللغوي فيما بعد الى المعيارية ، ذلك ان مثل هذه النظرة قد فرضت قاعدة من مرحلة معينة على مثال مرحلة اخرى (٢٩) .

واما المستشرق الالماني برجستراسر فيقول : (والذي منع علماء الشرق - مع بذل الجهد المعجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات - عن الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام ، سببان مرتبط احدهما بالآخر ، اولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وان كان واجبا نائفا فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يبحث عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي ان يكون ، والمعلم لا يظن ان تعليه اقوى من الحياة ، فان نسي هذه النصيحة واجتهد ان يقهر حياة اللغة ، ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليه ، فيتسع اذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية ، وما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية ، والسبب الثاني : اعتقاد علماء الشرق ان اكمل ما كانت عليه اللغة العربية واتقنه واحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير علي (٣٠) . كما ذكر المؤلف ان العلماء القدامى قد صرفوا عنايتهم الى الصرف والنحو اكثر من عنايتهم بالمفردات ، وانه ليس لنا معجم عربي يقضي حاجتنا (٣١) .

وقد ادت هذه النظرة المحافظة الى ضياع كثير من السبل لمعرفة تطور دلالة الالفاظ بحسب تباين الزمان والمكان وذلك باستثناء تلك الحقبة المعهودة التي تيدوا بها دلالة الالفاظ ووقفوا عندها ، وعلى الرغم من هذه النظرة وهذا المنهج المترم نجد احيانا من اشار الى هذا التطور بشكل ما او اضطر للاعتراف به على جهة التأويل او محاولة تخريجه والتناس سبب له .

(٢٩) اللغة بين المعيارية والوصفية د . تمام حان ص ١٩٠ .

(٣٠) التطور النحوي للغة العربية برجستراسر : ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣١) المصدر السابق : ص ١٢٧ .

وعلى اية حال فان هذا الذي عدوه لحناً ما هو الا تطور لغوي من وجهة نظر علم اللغة الحديث ، وهذا التطور لا يحدث اتفاقاً ولا يتم بطريقة عشوائية ؛ بل ينجم عن عوامل ما تزال بكل لغة حتى تخرج بها من حال الى حال (٣٢) .

ولقد درس المحدثون اسباب التطور اللغوي وبينوا عوامله وذكروا ملامحه ومظاهره والذي يعيننا من هذا التطور كله ؛ التطور الدلالي خاصة لتعلقه بالترادف .

مظاهر التطور الدلالي

يرى علماء الدلالة المحدثون ان الالفاظ تتطور فتكتسب من المعاني اشباها جديدة لم تكن لها من قبل ، وان اللفظة تحيا حياة متجددة ، وهي ابدأ في تغير في دلالاتها وفي طرائق استعمالها (٣٣) .

وقد استطاع اللغويون المحدثون بعد طول نظر في ما يطرأ على المعاني من تغيرات ، ان يحضروا التطور الدلالي في مظاهر رئيسة تصدق ، على جميع اللغات اهمها (٣٤) .

١ - تخصيص العام او التضييق في المعنى : وهو ان تقصر الدلالة

(٣٢) لحن العامة والتطور اللغوي : ص ٣٣ وينظر : ابو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في النحو واللغة د . نعمة رحيم المزاري : ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٣٣) التطور اللغوي التاريخي : ص ٤٠ - ٤١ .

(٣٤) ينظر : دلالة الالفاظ : ١٥٢ - ١٦٧ وعلم اللغة للسعران : ٢٠٥ - ٣١١ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨١ - ٢٨٨ ودور الكلمة في اللغة : ١٦٢ - ١٦٣ ودلالة الالفاظ العربية وتطورها د . مراد كامل ٢٥ - ٢٨ واللغة لفندريس : ص ٢٥٦ والاضداد في اللغة : ٥٦ وفقه اللغة وخصائص العربية : ص ٢١٨ وما بعدها

Semantics an introduction to the science of meaning, p.

227 — 231.

Principles of Semantics, p. 171 — 257.

العامة على بعض اجزائها فيضيق شمولها بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصورا على اشياء أقل عددا مما كانت عليه الكلمة في الاصل . وذلك نحو كلمة meat الانكليزية التي كانت تعني « الطعام » ثم تخصصت في الدلالة على اللحم .^(٢٥) وكلمة " Poison " التي تطور معناها من الدلالة على الجرعة من اي سائل الى الدلالة على السم^(٢٦) . وكلمة Shtarf الروسية التي كانت تعني اولا العقوبة بوجه عام ، ثم تخصصت دلالتها بالفرامة المالية ؛ ليس غير^(٢٧) . ومثلا كلمة « Hound » الانكليزية التي كانت فيما مضى تدل على اي كلب ، ثم صارت تعني الان نوعا خاصا من الكلاب^(٢٨) . ومثل هذه في العربية كلمة « السبت » التي كانت في اصل معناها تعني الدهر ، ثم تخصصت معناها باحد ايام الاسبوع^(٢٩) . ونحوها الفاظ الصلاة والحج التي تخصصت دلالتها بعد ظهور الاسلام بعد ان كانت تدل على معان عامة . وقد افرد السيوطي لهذا الضرب من التطور فصلا ساد (في العام المخصوص ، وهو ما وضع في الاصل عاما ثم خص في الاستعمال ببعض افراده) وضرب له الامثلة^(٤٠) .

وقد يقع التخصيص نتيجة حذف المضاف اليه او الصفة ومثاله لفظ « الدنيا » واصله الحياة الدنيا . والتخصيص يعد اوسع من التعميم واكثر ورودا في تطور دلالة الالفاظ^(٤١) .

Language its nature, development and origin, p. 174. (٢٥)

وانظر : دلالة الالفاظ : ص ١٥٤ .

(٢٦) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٢ .

(٢٧) علم اللغة للسعران : ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢٨) دلالة الالفاظ : ص ١٥٤ .

(٢٩) الزهر : ٤٢٧/١ .

(٤٠) الزهر : ٤٢٧/١ - ٤٢٨ .

(٤١) الاضداد في اللغة : ص ٥٨ - ٥٩ .

٢ - تعميم الخاص او توسيع المعنى : وهو ان يتوسع في معنى الكلمة ودلالاتها فتنتقل من معناها الخاص الذي كانت تدل عليه الى معنى اشمل واعم من ذلك . وتعميم الدلالة اقل شيوعا في اللغات من تخصيصها واكل اثرا في تطور الدلالات وتغيرها .

ويشمل فن تدريس لهذا الضرب من التطور بما يقوله الطفل الباريسي حين يرى نهرا « ارى سينا » وهذه هي حال الاطفال الذين يسون جميع الانهار باسم النهر الذي يروي البلدة التي يعيشون فيها^(٤٢) . واما ستيفن اولمان فيشال له بالكلمة الانكليزية « arrive » التي كانت تعني الوصول الى الميناء او الشاطئ ، ثم صارت تعني مجرد الوصول بأية وسيلة^(٤٣) . ومثلها الكلمة الانكليزية « barn » التي كانت تدل فيما مضى على « مخزن الشعير » فاصبحت تدل الان على كل مخزن من اى نوع من انواع الحبوب ، وعلى مخزن ما سوى الحبوب ايضا^(٤٤) .

ومثال هذا التطور ايضا الكلمة الانكليزية « picture » التي كانت تعني في الاصل « painting » اي الرسم باليد ، ثم صارت تعني الرسم مطلقا ايا كان نوعه كالصورة الفوتوغرافية والصور الفكرية او الخيالية نتيجة التعميم في دلالتها^(٤٥) . ومثلها ايضا كلمة « hard » التي كانت تعني « الصلب » للجوز والحجر خاصة ثم صارت تعني الصلابة ليس المادية فقط وانما المعنوية ايضا ، فانتقلت دلالتها من المجال المادي الى المجال المعنوي وصار يقال : hard labour, hard words^(٤٦) ومثلها الفعل الانكليزي grow الذي كان يدل على نمو النباتات خاصة ثم

(٤٢) اللغة : ص ٢٥٨ .

(٤٣) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٢ .

(٤٤) علم اللغة للعرمان : ٣٠٩ .

(٤٥) Language its nature, development and origin, p. 174.

(٤٦) Language its nature, development and origin, p. 174.

صار يعني محض النوح حتى نمو المشاعر بسبب التوسع في الدلالة وما لحقه من تعميم في الاستعمال^(٤٧).

ومن امثلة التعميم في العربية ان كلمة البأس في اصل معناها كانت خاصة بالحرب ثم صارت تطلق على كل شدة^(٤٨). وان اصل الورد اتيان الماء ثم صار اتيان كل شيء وردا^(٤٩). والنجعة اصلها طلب العيث ، ثم عمت في كل طلب^(٥٠). وقد عقد السيوطي لهذا الضرب من الالفاظ فصلا خاصا سماه « فيما وضع في الاصل خاصا ثم استعمل عاما » اورد فيه الكثير من الامثلة على ذلك^(٥١).

٣ - تغير مجال الدلالة : وهو ان ينتقل اللفظ من مجال دلالاته الى مجال دلالة اخرى لعلاقة او مناسبة واضحة بين الدالتين . ويجري هذا المظهر من التطور الدلالي على سبيلين هما^(٥٢):

أ - الاستعارة : وذلك بان ينتقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين . وقد وضحه ستيفن اولمان بقوله : (انا حين نتحدث عن عين الابرة تكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الانسان استعمالا مجازيا . اما الذي سوغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذي ينفذ الخيط من خلاله)^(٥٣).

والاستعارة من سنن العرب كما يقول ابن فارس^(٥٤) ، قد حفل بها

Ibid., p. 174.

(٤٧)

(٤٨) الزهر : ٤٣١/١

(٤٩) الصاحبى : ص ٩٦ .

(٥٠) الزهر : ٤٢٩/١ - ٤٢٢ .

(٥١) نفسه : ٤٢٩/١ - ٤٢٣ .

(٥٢) ينظر دلالة الالفاظ : ١٢٧ - ١٣٣ ، ١٦٠ ولحن العامة في ضوء الدراسات

اللغوية الحديثة ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٥٣) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٥ .

(٥٤) الصاحبى : ص ٢٠٤

وبغيرها من الوان المجاز شعرهم وثرهم ، حتى قال ابن جني : (اعلم ان اكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)^(٥٥) . ومن امثلتها استعمال اهل الاندلس كلمة القلادة في معنى الحزام ، وهي ما يحيط بالعنق ، وبين المدلولين تشابه ، فالحزام يحيط بالوسط ، كما تحيط القلادة بالعنق^(٥٦) . ويمد من الاستعارة ايضا قول عامة بغداد للفاجرة : متفتية . والمتفتية هي الفتاة المراهقة . والذي سوغ انتقال الدلالة هو ما يبدو من كليتهما من ترقق وطيش في الغالب^(٥٧) .

ب - المجاز المرسل : وهو ان ينتقل مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين^(٥٨) . واهم علاقات المجاز المرسل هي السبية والحالية والمحلية والمجاورة والزمانية والمكانية والجزئية والكلية واعتبار ما كان وما سيكون وغير ذلك .

وقد مثل ستين أولمان لهذا السبيل من التطور بأن : (الكلمة bureau مكتب ، قد يكون معناها اليوم المكتب الذي يجلس اليه الانسان ويكتب عليه ، او المصلحة الحكومية او المكان الذي تدار منه الاعمال . ومن الواضح انه ليست هناك اية مشابهة بين المدلولين ، ولكن بينهما ارتباط من نوع اخر ، فالمكتب الذي نكتب عليه يوضع عادة في الاماكن التي تدار منها الاعمال وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان ببعضهما ببعض في ذهن المتكلم . او قل انهما تتسيان الى مجال عقلي واحد . هذا هو التفسير النفسي لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل (motonymy)^(٥٩) .

ان المجاز المرسل واحد من سبل التطور الدلالي المعترف بها ، وله اثر كبير في مجرى هذا التطور . ومن امثله في العربية انتقال دلالة الوعى من اختلاط

(٥٥) الخصائص لابن جني : ٢٤٧/٢ .

(٥٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٨٥ .

(٥٧) المصدر السابق : ص ٢٨٦ .

(٥٨) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٩

(٥٩) المصدر السابق : ص ١٦٩ - ١٧٠ .

الاصوات في الحرب الى الدلالة على الحرب تشبها لعلاقة المسيية^(٦٠). ومن الجواز المرسل ايضا ان الطعينة معناها في الاصل المرأة في الهودج ، ثم انتقل الى الدلالة على الهودج نفسه وعلى البعير وعلى المرأة^(٦١). وذلك لعلاقة الحالية . كذلك يعد من الجواز المرسل انتقال معنى الراوية من البعير الذي يتقى عليه الى الزادة^(٦٢). وذلك لعلاقة المجاورة بين المدلولين ايضا ومنه ايضا قول عامة الاندلس : يوم شات ابي مطير ، للعلاقة الزمانية ، وذلك ان فصل الشتاء هو زمن المطر غالبا^(٦٣).

ومن الجواز المرسل الذي علاقته المحلية استعمال الملة بمعنى الخبز في قولهم اكلنا ملة . والملة في الاصل : الرماد الحار ، وهي موضع الخبزة فسوا الخبزة باسم موضعها ، وهذا من باب التسمية باسم المكان^(٦٤). ومنه ايضا قول عامة الاندلس للعنب اول ما يعصر : مصطار ، والمصطار الخمر التي فيها حوضه . وذلك باعتبار ان المصطار سيؤول الى خمر فيها حوضه^(٦٥). ونحوه قوله تعالى : « اني اراني اعصر خرا »^(٦٦).

وللمجاز اثر كبير في التسمية واطلاق الالفاظ على مسياتها . « والعرب تسمى الشيء باسم غيره اذا كان مجاورا له او كان منه ببب » كما يقول ابن قتيبة^(٦٧) وهذا من الجواز المرسل .

وثمة مظاهر اخرى للتطور الدلالي اقل شيوعا ما ذكرناه وهي تتصل بوسائل تسمية واجتماعية كرقمي الدلالة وانحطاطها ، والمحظور ، وحن

(٦٠) جمهرة اللغة : ٤٣٢/٣

(٦١) نفسه : ٤٣٢/٣

(٦٢) جمهرة اللغة : ٤٣٢/٣

(٦٣) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٨٧

(٦٤) نفسه : ص ٢٨٨ . وانظر اصلاح المنطق لابن السكيت ص ٢١٢

(٦٥) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢٨٨

(٦٦) سورة يوسف آية : ٢٦

(٦٧) ادب الكاتب لابن قتيبة : ص ٢١ .

التعبير ، والتحول نحو المعاني المضادة ، وسوء فهم المعنى ، والبلي المعنوي والغموض ، وغير ذلك من السبل التي لها اثر في تغير مجال الدلالة وانتقالها^(٦٨).

وسوف تبين ان لهذا التطور الدلالي بمختلف سبله من تخصيص وتعميم ومن انتقال على جهة المجاز والاستعارة اثرا كبيرا في تفسير ترادف الالفاظ وفي توجيه القول بالفروق ، والوقوف على سبب الخلاف فيها وفهم حقيقتها .

(٦٨) ينظر دلالة الالفاظ العربية وتطورها : ص ٢٧ - ٢٨ . ودلالة الالفاظ : ١٥٦ - ١٦٠
وعلم اللغة للسرمان : ص ٢٠٥ - ٢١١ ودور الكلمة في اللغة : ١٧٣ وما بعدها .

الفصل الأول

فكرة الترادف

الترادف لغة واصطلاحاً :

الترادف في اللغة هو ركوب احد خلف اخر . يقال : رَدِفَ الرجلُ واردفه اي ركب خلفه ، واردفه خلفه على الدابة ، وردفك : الذي يرادفك والجمع رُدُفَاء ورُدُفَى . ويقال ردفنا فلانا اي صرت له رِدْفًا . قال الجوهري : الرَدْفُ : المرتد وهو الذي يركب خلف الراكب ، والرديف المرتد ، واستردفه : سأل ان يردفه ، والرَدْفُ : الراكب خلفك . وعلى هذا قيل للحقبة ونحوها ما يكون وراء الانسان (ردف) .

فالردف هو ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه ، واذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف والجمع الردافي ، يقال : جاء القوم ردافي اي بعضهم يتبع بعضاً ، وهذا امر ليس له ردف اي ليس له تبعه ، وترادف الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والترادف : التابع .

ومن هذا قولهم : مرادفة الجراد ، اي ركوب الذكر الاثني والثالث عليهما وقولهم لليل والنهار : ردفان لأن كل واحد منهما ردف صاحبه ، بمعنى ان احدهما يتبع الاخر . وكذلك قولهم : ارداف النجوم اي تواليا وتوابعها ، واردفنا النجوم اي توالت . وقولهم للرجل الذي يخلف الملك من بعده ردف ، واردا في الملوك في الجاهلية هم الذين كانوا يخلفونهم في القيام بأمر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام . وقد فر قوله تعالى : (بألف من الملائكة مردفين)^(١) بمعنى يأتون فرقة بعد فرقة على رأى الزجاج ، وقال الفراء ،

(١) سورة الانفال آية ٩ .

مردفين متباينين . وقالوا ايضا لحدأة الظعن والاعوان : الرداني ، لأنه اذا اتيا احدهم خلفه الاخر . وقد سوا ضربا من القوافي في الشعر والعروض بـ (المترادف) وهو كل قافية اجتمع في اخرها ساكنان . سمي بذلك لأن غالب العادة في اواخر الايات ان يكون فيها ساكن واحد ، رويًا مقيدًا كان أو وصلا أو خروجًا ، فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان احد الساكنين ردف الاخر ولاحقا به . (٢) .

هذا هو المعنى الحقيقي للترادف في اللغة كما اثبتناه اولًا ، وما هذه المعاني اللاحقة الا طائفة من الاستعمالات المجازية للكلمة التي اردت بها ان ابين التجوز الذي حصل في استعمالها والتوسع في معناها ، وما هذا الذي اوردناه الا قليل من كثير .

واما الترادف في المصطلح اللغوي فهو : دلالة عدة كلمات مختلفة ومنفردة على المسى الواحد او المعنى الواحد دلالة واحدة (٣) نحو الشَّوَل والعُقَار والتَرَقْف والخندريس والراح والمدامة والصهباء والنباء ... فكل هذه الاسماء تدل على الخمر وحدها . ومثال ذلك ايضا اسماء الداهية ومنها : القنطر والننطل والدهاويس والدهيم والتجارم والبايجة والفليقة والسلم والنفشير والغاصة والاغوية والوامئة والصيلم والغوايل ... وما الى ذلك من اسمائها الكثيرة الي تنصرف جميعها للدلالة على الداهية وحدها .

ويمكن ان نلاحظ العلاقة بين المعنى اللغوي للترادف والمعنى الاصطلاحي له ، ذلك ان ركوب احد خلف اخر قد قيل له في اللغة « ترادف » كما ذكرنا واطلقت الكلمة في الاصل على هذا المعنى . ثم نقلت

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة ردف : ١١٤/٩ - ١١٦ وانظر : الصحاح للجوهري ، مادة ردف : ٤ / ١٣٦٢ - ١٣٦٤ وتاج العروس للزبيدي مادة ردف : ١١٤ / ٦ - ١١٦ .

(٣) انظر : التعريفات للجرجاني ص ٢١٠ ، والمرصع لابن الاثير : ص ٢٥٢ ، والزهر للسيوطي : (١/٤٠٢) وموسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية للتبناوي : ٥٧٨/٣ وما بعدها .

فبما لا يبعد من معناها الحقيقي هذا إلى تلك المعاني المجازية المتعددة الإشارة المذكورة، إذا استعملت عدة استعمالات مجازية كما أسلفنا، ومن جعلتها إشارات على الكلمات التي تدل على معنى واحد، فإن الكلمات قد تترادف على المعنى الواحد أو المسمى الواحد، كما يترادف الراكبان على الدابة الواحدة، وعلى هذا فالعلاقة في هذا الاستعمال المجازي هي التشابه، وقد أشار صاحب التاج نقلاً عن الصاغاني إلى هذا المعنى المجازي الجديد، حيث ذكر أن المترادف هو أن تكون أسماء لشيء واحد وهي مولد ومشتقة من تراكب الأشياء^(٤). وقال الجرجاني في تعريفه للترادف موضحاً الصلة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمة: (المترادف ما كان معناه واحداً واسبأؤه كثيرة وهو ضد المشترك، أخذنا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كان المعنى مركوب واللفظان راكبان عليه كاللث والأسد...)^(٥).

ومن هذا كله يتبين لنا كيف اصطالحوا على تسمية الالفاظ التي تتتابع وتتوالى على معنى واحد أو مسمى واحد بـ « الترادف » وصارت هذه الظاهرة اللغوية تعرف عند العلماء والدارسين بهذه التسمية اصطلاحاً.

الترادف في الدراسات اللغوية :

إذا نظرنا إلى الترادف من الناحية التاريخية يمكن القول إن هذه الفكرة من الظواهر اللغوية القديمة التي اتبها إليها العلماء في وقت مبكر، إذ أننا نشهد في مصنفاتهم كثيراً من الملاحظات اللغوية التي تشير بوضوح إلى هذه الفكرة فقد سجلت هذه الآثار عدة أسماء مختلفة للمعنى الواحد، أو للمسمى الواحد دون فرق يذكر، إضافة إلى شهادة الأقدمين منهم بإمكانية تعدد الأسماء للمسمى الواحد، وبوقوع الالفاظ المختلفة على المعنى الواحد. تعدد عبروا عن هذه الفكرة بتعابير وتسميات متقاربة، وذلك قبل أن يصطلح عليها ويتشعب القول فيها.

(٤) تاج العروس للزبيدي مادة ردف : ٦ / ١١٦ .

(٥) التمرينات للجرجاني : ص ٢١٠ .

ومن اجل الوقوف على ملامح هذه الظاهرة وتطور مفهومها لدى العلماء لا بد من استقراء النصوص اللغوية التي اشارت اليها من قريب او بعيد ، ومن متابعة هذه العبارات والتسييات العديدة التي كانت تدل عليها سواء التي سبقت التسمية الاصطلاحية ام التي اعقبتهها . فالملحوظ ان مصطلح « الترادف » قد جاء متأخرا بعض التأخر ، وذلك بعد ان اتضحت معالم هذه الظاهرة واصبحت من المواضيع اللغوية التي يعرض لها العلماء في كتبهم . والدليل على هذا ان مصطلح الترادف لم يرد في مصنفات الاقدمين ولم يكن معروفا لديهم آنذاك ، مع ملاحظتهم لفكرة الترادف وتثلها في اقوالهم ومصنفاتهم . يعزز ذلك اشارة صاحب التاج الى ان هذه الكلمة بهذا المعنى الاصطلاحى هي مولدة كما ورد اتقا ، ويبدو ان هذا المصطلح اللغوي لم يعرف الا في القرن الثالث الهجري ، وقبل هذا لا نجد له ذكرا عند العلماء .

واقدم نص لغوي بين ايدينا ورد فيه هذا المصطلح صراحة هو ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ، وذلك في انكاره للترادف فقد قال التاج البكي في شرح المنهاج : (ذهب بعض الناس الى انكار المترادف في اللغة العربية ، وزعم ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تباين بالصفات وقد اختار هذا المذهب ابو الحسن احمد بن فارس في كتابة الذي الفه في فقه اللغة والعربية وستن العرب وكلاهما ، ونقله عن شيخه ابي العباس ثعلب .)^(٦)

ومما يعزز هذا الرأي ايضا اشارة احمد بن فارس نفسه الى مذهب شيخه ثعلب في الترادف واعترافه بالتمويل عليه^(٧) . وفي القرن الرابع الهجري نجد من الآثار اللغوية التي وصلت الينا ما هو معنون بهذه التسمية الاصطلاحية كما في كتاب : « الالفاظ المترادفة » لعلي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ اضافة الى ورودها صراحة في كتاب الصاحبى^(٨) لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . ولا يعقل انهم قد تواسعوا على هذه التسمية في هذا العصر

(٦) الزهر للسيوطي : ١ / ٤٠٣

(٧) الصاحبى : ٩٦ .

(٨) ص : ٤١ .

ذاته الذي صنّفوا فيه بعض الكتب بهذا الاسم وكثر النظر والجدل في هذه الظاهرة .

ولكن هذا لا يعني ان فكرة الترادف قد ظهرت في هذا الوقت وانها لم تكن معروفة او ملحوظة بشكل ما لدى علماء اللغة ورواتها . فقد سبقت ظهور هذا المصطلح عبارات وتسميات عبرت عن هذه الظاهرة تمييزا اجاليا . ولعل من اقدم النصوص التي بين ايدينا والتي اشارت بوضوح الى هذه الفكرة في اللغة ما جاء في تقييدات سيبويه (ت ١٨٠ هـ) للالفاظ في باب اللفظ للسعاني ، حيث يقول : (اعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين والمعنيين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب : واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب وانطلق : واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة ووجدت اذا اردت وجدان الضلة واشباه كثير) (٩) . والذي يعنينا من هذا التقسيم هذا القسم الثاني منه الذي جاء فيه : اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، وقد مثل له بقوله ذهب وانطلق . فهذا الضرب من الالفاظ هو الذي سي نيا بعد بالالفاظ المترادفة . وواضح ان الترادف هو من هذا القبيل ، ولكن مع ملاحظة السعة في هذا النص بالقياس الى المفهوم لدقيق للترادف كما حدده العلماء ، لانه يصدق على الفاظ مختلفة اخرى معناها واحد ايضا ولكنها ليست مترادفة حقا كما سيتضح لنا .

ان هذا النص من النصوص اللغوية المهمة التي اشارت الى فترة الترادف في اللغة من غير تحديد ، واصبح من الشهرة بكان في كتب اللغة اللاحقة . اذ تناقل تقسيم سيبويه هذا كثير من العلماء والدارسين من بعده وذلك بشي ، من التصرف والزيادة والشرح . فقد عرض له قطرب والبرد وابن فارس والاباري وابن الاثير والسيوطي وغيرهم . ومن توسعهم في مقولة سيبويه

(٩) الكتاب لسيبويه : ١ / ٧ - ٨ .

الاقعة الذكر قول المبرد : (من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واما اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فتقولك : ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد ، وانف ومرسن) (١٠) وكذلك قول محمد بن القاسم الانباري ، فبعد ان ذكر الازداد والمشارك اللفظي قال : (. . . واكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين : احدهما ان يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كتقولك : الرجل ، والمرأة ، والجل ، والناق ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به . والفرب الاخر ان يقع اللفظان المختلفان على المعنى لواحد ، كتقولك : البئر والحنطة والمير والحار ، والمذئب ، والسيد وجلس وقعد ، وذهب ومضى) (١١) ونجد من الاقدمين من لم يقف عند ملاحظة هذه الظاهرة اللغوية والاشارة اليها وحسب ، بل حاول ان يملل وقوعها . بقول قطرب (ت ٢٠٦ هـ) : « اما اوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم ، كما زاحفوا في اجزاء الشعر (١٢) ، ليدلوا على ان الكلام واسع عندهم ، وان مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والاطالة والاطناب » (١٣) وقد يطول بنا الحديث لو اتينا على ذكر جميع العلماء الذين اخذوا بتقسيمات سبوية للالفاظ وتمتعوا في دلالتها . تلك التقسيمات التي اشار فيها الى عدة ظواهر لغوية والتي تمثلت عند الباحثين من بعده بالتباين والمشارك اللفظي والمرادف .

والمهم من هذا : تلك الالفاظ المختلفة الدالة على معنى واحد . فبذا

(١٠) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد : ص ٢ - ٣ ، وعنه في الزهر : ٢٨٨/١

(١١) الازداد ، محمد بن القاسم الانباري : ص ٦-٧ وعنه في الزهر : ٣٩٩/١

(١٢) الزحاف في الشعر هو ان يستقل بين الحرفين حرف فيزحف احدهما الى الاخر ، والشعر مزاحف .

(١٣) الازداد لقطرب = مجلة اسلاميكا ، ص ٢٤٢-٢٤٤ الجذد

الخامس سنة ١٩٣١ م . وانظر : الازداد للانباري ص ٨ ، والزهر :

٤٠٠-٤٠١ / ١

الضرب من اللفاظ نحو: قعد وجلس ، وذهب ومضى وانطلق ؛ وثلثت وحببت والبر والحنطة . الخ ، هو الذي تعارفوا عليه فيما بعد بالترادف كما اسلفنا ، ثم اختلفوا بشأنه بين قائل به ومنكر له ، فبينما نجد جماعة من اللغويين تقول ان هذه اللفاظ مترادفة ، تذهب جماعة اخرى الى انكار ترادفها بالتناس التروق الدقيقة بين معانيها^(١٤) .

وإذا كان سيويه قد عبر عن فكرة الترادف باختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فقد ثلثت عند الاصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، باسم « ما اختلفت ألفاظه وافقت معانيه » الذي عنون به احد كتبه ، فهذه التسمية ماثلة لعبارة سيويه في المصون واللفظ اذ هي تدل أيضا على تعدد اللفاظ المختلفة للمعنى الواحد . ولا شك ان الترادف عموما هو من باب الاختلاف في اللفظ والاتساق في المعنى ؛ حيث سبق أن ذكرنا أنه وقوع عدة الفاظ مختلفة على معنى واحد . وقد اورد الاصمعي في كتابه هذا كثيرا من اللفاظ المترادفة حقا ، ولكنه ذكر أيضا الفاظا غير مترادفة بالمفهوم الحقيقي للترادف . ولهذا يمكن ان نأخذ على هذا الكتاب الملاحظة السابقة نفسها . وهي دلالة على فكرة الترادف بصورة عامة . فليس كل ما اختلفت الفاظها وافقت معانيه هو من قبيل الترادف . وهذا ما تدل عليه طبيعة الكتاب ومن أمثلة ذلك : (حاضت المرأة وملكيت وعركت ؛ كل ذلك سواء)^(١٥) . ومنه أيضا (... ويقال للذي يرضع من كل صبي او بيسة بلغة أهل الحجاز رَضَعَ يَرْضَع ويقول من دونهم رَضِعَ يَرْضَعُ وملكجَ يملكجُ ملكجاَ وِرَعَثَ يِرَعَثُ ... وهذا كله في معنى رَضَعَ)^(١٦) وهنا نلاحظ اشارة الاصمعي الى لغات القبائل في اختلاف مثل هذه اللفاظ . وقد ذكر أيضا عدة اساء

(١٤) الفروق اللغوية للمكري : ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٢٥٢ . والصاحبي لابن

فارس : ص ٩٦ - ٩٧ .

(١٥) ما اختلفت الفاظها وافقت معانيه للاصمعي : ورقة ١ . ثم انظر كتاب

خلق الانسان لابن محمد ثابت بن ابي ثابت ص ٢٢ .

(١٦) ما اختلفت الفاظها وافقت معانيه : ورقة ٢ .

للاثار دون فرق في الدلالة نحو : تدب وثدوب وعثوب وابسلاد وجبار^(١٧) . وكذلك عدة أسماء للجراب في قوله (ويقال قد اكتال الرجل في جرابه ومزوده وسلفه ، كل من اسماء الجراب . ويقال جعل فلان متاعه في كثرزه وفي خرجيه سواء .)^(١٨) وعلى هذا النحو يجري معظم ما في الكتاب .

ان هذا الكتاب وان احتوى كثيرا من الالفاظ التي هي بمعنى واحد ، الا انه لا يمكن حمل كل ما جاء فيه على الترادف . فالمؤلف لم يقتصر على الكلمات المفردة بل ذكر أحيانا الجمل والعبارات المختلفة التي تتوارد على معنى واحد ايضا هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى نجد طائفة من الكلمات المختلفة الدالة على معنى واحد ، ولكن اختلافها قد جاء بسبب القلب او الابدال وما الى ذلك من الاختلافات الصوتية في الكلمة الواحدة ، ومن هذه على سبيل المثال : جذب وجذب ، اضحل وامضحل ، السباب والباسب ، النشور والنشور^(١٩) وغير ذلك فمثل هذه الالفاظ ليست مترادفة في الحقيقة ، اذ ليس ثمة اختلاف بينها تماما ، فاللفظة واحدة جاءت بصور مختلفة . وهذا ما يدعوه المحذون بالترادف الوهمي وسوف يأتي بيانه . ان هذا يؤكد ما ذهبنا اليه آتفا من أنه ليس مجرد الاختلاف في اللفظ والاتفاق في المعنى ترادفا كما تصور ذلك عدد من الباحثين . وما يجدر ذكره هنا أن الدكتور فؤاد حنا ترزي قد اعتبر كتاب الاصمعي هذا في الالفاظ المترادفة ، مستدلا على ذلك بالعنوان ، دون ان يطلع عليه^(٢٠) . والواقع ان الكتاب ليس كله في الترادف على وجه الدقة ، كما تقدم بيان ذلك .

ومن الاقدمين الذين ظهرت فكرة الترادف في تصانيفهم بصورة واضحة ،

(١٧) المصدر السابق : ورقة ٣٢ .

(١٨) المصدر السابق : الورقة نفسها .

(١٩) المصدر السابق : الورقة نفسها ، وورقة ٥ .

(٢٠) في اصول اللغة والنحو - د . فؤاد حنا ترزي - ص ٥٤

ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ للهجرة . فقد تثلث عنده بما ساه : « كتاب الاسماء المختلفة للشيء الواحد » وهو احد الكتب التي ينقسم اليها كتاب الغريب المصنف . فقد ذكر كثيرا من الالفاظ المختلفة الدالة على معنى واحد تحت هذا العنوان ؛ ومن ذلك ما ذكره للعطية من أسماء نحو : الشكم والشكد والجرح والصفد والفرض والرند واللاهوة والنوئل (٢١) وغير ذلك ونجد في كتاب الالفاظ المترادفة للرماني فصلا بعنوان : « في معنى الصلة والعطية » أورد فيه شيئا من هذه الالفاظ والفاظا اخرى (٢٢) . ومن هذه ايضا ما جاء في باب الطبيعة والسليقة والخليقة والنحيزة والفريزة كل هذا واحده . يقال انه لكريم الطبيعة والسليقة والخليقة والنحيزة والفريزة كل هذا واحده . قال والشرجوجة وبعضهم يقول الشرجيجة ، والسجية مثل ذلك . (٢٣) . ونجد هذه الالفاظ تقاسمها بعد ذلك من أمثلة الترادف عند الرماني (٢٤) وابن جنبي (٢٥) وهما من علماء القرن الرابع الهجري ، فقد استشهدا بهذه الالفاظ فيما اورداه من مترادفات مع ملاحظة التزيد فيها .

كما افرد صاحب الغريب المصنف في كتابه ابوابا كثيرة وفي مواضع متفرقة لذكر اسماء الخمر والعسل والسيف ، وأسماء الزوجة والداهية والنفس والباع والضباع والثعالب والاسد والذئب ، وأسماء القصير والطويل والمجنون وغير هذا وهو يروي وينقل هذه المترادفات عن تقدمه من اللغويين كالاصمعي وأبي عمرو واليزيدي والكسائي والفراء والاموي .

- (٢١) الغريب المصنف - القاسم بن سلام - ورقة ٢٨٦ ب - ورقة ٢٨٧ ا .
(٢٢) الالفاظ المترادفة : ص ٨
(٢٣) المصدر السابق : ورقة ٢٨٦ ب .
(٢٤) الالفاظ المترادفة : ص ١٤ .
(٢٥) الخصائص : ١١٤/٢ وما بعدها .

وغيرهم . ومن هذه ما جاء في باب العسل : (الضرب العسل والشهدة وهي مؤنثة : يقال هي ضرب ، والأرزي العسل والسلوى العسل . . .) (٢٦) وهذه المترادفات الأربع للعسل هنا ، قد بلغت الثمانين بعد ذلك عند الفيروزآبادي في كتابه الذي سماه : « ترقيق الاسل لتفريق العسل » ، ثم استدرك عليه السيوطي باثنتين آخرين (٢٧) . وكذلك منها ما رواه المؤلف عن الاصمعي في باب اسم حليمة الرجل : (حنة الرجل امرأته وهي أيضا طائفة وعمره وقعيدته وريضة وربضة وقلعيتة وزوجه . . .) (٢٨) ويلاحظ ان هذه الالفاظ كلها قد وردت في كتاب الامالي لابي علي القالي بعد ذلك مع الاضافة اليها (٢٩) . وقل مثل هذا في اسماء السيف والخمر والداهية والنفس والاسل والتصير والطويل التي ذكرها صاحب الغريب المصنف وخصص لها ابوابا متقلة من كتابه . حيث نجد كل هذا منقولاً في كتب المتأخرين الذين جمعوا المترادفات وعنوا بها ، وقد اضافوا اليها كثيراً وضاعفوها مرات ، حتى بلغت المئات كما في اسماء الداهية وغيرها .

يتبين لنا من هذا ان فكرة الترادف لاوضح ما تكون عليه في هذا الكتاب بسبب كثرة المترادفات التي احتواها والتي اتخذ منها أصحاب الترادف فيما بعد مادة لهم للتصنيف في هذه الظاهرة واساسا لان يتزايدوا فيها كثيرا الى درجة المبالغة . وينبغي القول انه لا يضح الحكم على كل الالفاظ المختلفة التي اوردها المؤلف للنسب الواحد ، بانها مترادفة . اذ ان هذه الالفاظ تبدو كذلك في الظاهر ، ولكنها عند التحقيق ليست مترادفة فالمؤلف لم يقتصر على مترادفات الشيء الواحد وحسب ، بل ذكر ايضا طائفة من الاسماء التي تدل على احواله وانواعه وصفاته وما يتعلق به ، شأنه في ذلك

(٢٦) الغريب المصنف : ورقة . ه ب . وفي امالي الزجاجي خمسة الفاظ للمعسل : ص ١٩ .

(٢٧) الزهر : ٤٠٧/١ - ٤٠٩ .

(٢٨) الغريب المصنف : ورقة ٢٨ ب .

(٢٩) الامالي : ١٩/١ - ٢٠ .

شأن كتب الموضوعات الأخرى . كما اتنا نجد في حالات كثيرة عدة صيغ
 وسور مختلفة للكلمة الواحدة ومثال ذلك : رَهْنِيَّة ورَهَانِيَّة ورَهَانِيَّة . (٣٠)
 ومنها أيضا ما ذكرناه سابقا : قال والسر جوجة وبعضهم يقول السرجيجة .
 وكذلك منها ما جاء في أسماء القصير نحو : الحَبْر والبَحْر والبُهْر ،
 ودَثْبَة ودَثَابَة والدَّعْدَاع والدَّحْدَاح (٣١) ومثل هذا كثير . ان
 هذه الالفاظ ليست من الترادف الحقيقي في شيء ، على وجه الدقة والتحديد .
 كما ذكرنا آنفا ، وذلك بخلاف الكثير من القدامى والمحدثين الذين توهموا
 الترادف في هذا النوع من الالفاظ . بل نرى انهم قد شطوا بعيدا حين
 عدوا أقل تغيير في بنية الكلمة وشكلها ، مهما كان طفيفا ، من الترادف . وقد
 ادت هذه النظرة الواهنة الى خلط كثير بين المترادف حقا وغير المترادف ، ما
 ادى الى الغلو في المترادفات لا يمكن التسليم به . ويضاف ان كتاب الغريب
 المصنف السالف الذكر ، كتب الموضوعات الأخرى المتقدمة منها خاصة ،
 التي فيها العلماء والرواة في شتى الموضوعات كالمنطق والخيال والابل والسلاح
 والنبات والشجر وخلق الانسان والحيوان والنخل والبئر والعسل والنحل . . .
 وما الى ذلك . تلك الرسائل اللغوية الصغيرة التي صنفوها في القرنين الثاني
 والثالث الهجريين بحسب الموضوع الواحد ، وقد عني اصحابها فيها بتدوين
 المفردات اللغوية المتعلقة بذلك الموضوع وما يتعلق به (٣٢) . وتعتبر هذه

(٣٠) الغريب المصنف : ورقة ٢٨٨ أ .

(٣١) المصدر السابق : ورقة ٢١١ - ١١ ب .

(٣٢) ومن هذه الكتب : النخل والكرم ، والابل ، وخلق الانسان ، والعسل
 والنحل والنبات ، والشجر ، والخيال للاصمعي . وخلق الانسان ،
 والخيال لابي مالك عمرو بن كرمرة . والحشرات لابي خيرة الاعرابي .
 والسلاح للشعر بن شميل . والنخلة ، والابل ، والخيال ، وخلق الانسان ،
 لابي عمرو الشيباني . والانسان ، والزرع ، لابي عبيدة . والمنطق ،
 والمياه ، وخلق الانسان ، والشجر ، واللبا اللين لابي زيد الانصاري .
 والخيال ، والبئر ، والزرع ، لابن الاعرابي ، والعسل والنحل لابي
 حنيفة الدينوري ، وكتاب خلق الانسان لابي محمد ثابت بن ابي ثابت
 وغيرها . واكثر هذه الكتب مفقود .

الكتب المرحلة الاولى في تدوين اللغة وجمع مفرداتها وتمتد نواة للمعاجم الكبرى التي ظهرت بعد ذلك^(٢٣) . والذي يعنينا من كتب المعاني هذه انها لا تكاد تخلو من المترادفات فكثيرا ما نجد فيها عدة اسماء مختلفة للمعنى الواحد او للمسى الواحد . وقد سجل العلماء والرواة الاوائل طرفا من ذلك ، على سبيل السماع والرواية . ومن ذلك مثلا : (من صغار النخل الجَيْث ، وهو أول ما يطلع من أمه ؛ وهو الوَدِي ؛ والهَرَاء والقَسِيل ... والأشأ من صغار النخل ويقال للثَمَنَات اللواتي يَلِين القَلْبِيَّة « العَوَاهِن » في لغة أهل الحجاز ؛ أما أهل نجد فيسمونها « الخَوَافِي » .. والثَعْف هو الجريد عند أهل الحجاز واحدته جَرِيْدَةٌ ، وهو الخِرْص وجمعه خِرْصَان ، والخَثْب الليف واحدته خَثْبَةٌ (٢٤)) ومنها ايضا ما جاء في اسماء الخمر ونوعاتها عن الطائفي وهي « المُشَعَّشَعَة والمدَامَة والأسْفِنَط والظَّلَاء والبابلية والمانيَّة والثَمُول والصهباء والقَهْوَة والخِرْطُوم والثَلَاث والخَنْدَرِيس والثَمُوس والجِرِيْبَال والمعْقَار والقَرْقَف والحَيَّيَا . وقال ابو سعيد والرياسطون بالرومية . « وقد بين الاصمي الفروق في بعض هذه الاسامي واثار الى سبب التسمية في بعضها الاخر^(٢٥) . كذلك من هذه الامثلة ما رواه ابن الاعرابي : (... ويقال لراب البئر : التَجِيْثَة ، والنَيْثَة ، والنَيْلَة ، والثَلِيَّة ، والثَفَاة ، وبئر تَضْوُض ، وبئرُوض ، ورَشْوُوح ، ومَكْثُول ؛ وهي التي يجتمع ماؤها قليلا قليلا ... فإذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى تضربها قيل : بئر ضَغِيْط .

(٢٣) انظر : المعجم العربي نشأته وتطوره - د . حسين نصار : ٢٦/١ . والبحث اللغوي عند العرب - د . احمد مختار عمر : ص ٢٠٢ وقته اللغة وخصائص العربية - محمد المبارك : ص ٢٤ - ٢٥ وص ١٥-١٥٥ . وفي اصول اللغة والنحو د . تُوَاد نُوَزِي : ٥٦ - ٥٧ ومقدمة كتاب البئر لابن الاعرابي لمحققه د . رمضان عبدالنواب : ص ٥ .

(٢٤) كتاب النخل والكرم للاصمي : ضمن البلغة في شذور اللغة : ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢٥) المصدر السابق : ٩٠ - ٩٢ .

وبشر ما تطوّرة مثلها . (٣٦) وقد اورد ابو حنيفة الدينوري العديد من الاسماء للعسل (٣٧) وهي ضعف ما ورد في الغريب المصنف .

ومن الالفاظ التي تدل على مسى واحد ما رواه الاصمعي بقوله :
(ويقال لنام البعير : السّام ، والشرف ، والذروة ، والقمة ،
والقحدة ، والهودة ، يقال ابل لها هود " ضخام ، والعريكة
والكثر ...) (٣٨) ومن هذا ايضا ما ذكره من اساء مختلفة للعنق ونص
على المغرب منها . (٣٩) كما ان هناك العديد من الالفاظ المختلفة التي جاءت
بمعنى واحد في كتاب المطر (٤٠) وكتاب اللب واللبن (٤١) لابي زيد الانصاري .
ومن الاشارات المفيدة التي نلاحظها في هذه الالفاظ ان الرواة والعلماء يذكرون
احيانا المغرب والدخيل منها ويشيرون في احيان اخرى الى ما جاء منها على
سبيل اختلاف لغات القبائل في تسمية الشيء .

يضاف الى هذا كله ما نجده في كتب النوادير من مترادفات لا تعد .
وقد اصاب الدكتور حين نصار في وصفه هذه الكتب بانها كانت مولعة
بايراد المترادفات (٤٢) ولا تنحصر الالفاظ المترادفة على كتب الموضوعات
والنوادر فحسب ، بل نجد الكثير منها في ثانيا كتب الامالي ، كما في أمالي
أو مجالس ثعلب ، وفي أمالي الزجاج والزجاجي ثم في أمالي القالي . فهذه

-
- (٣٦) كتاب البئر لابن الاعرابي ، الصفحات : ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ .
(٣٧) كتاب العسل والنحل ابو حنيفة الدينوري : مجلة المورد ، المجلد الثالث
العدد الاول سنة ١٣٩٤ - ١٩٧٤ . ص ١١٩ - ١٢١ .
(٣٨) كتاب الابل للاصمعي : ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي : ص ٩٢ .
(٣٩) كتاب خلق الانسان للاصمعي : ضمن الكنز اللغوي في اللسان
العربي : ١٩٨ .
(٤٠) كتاب المطر لابي زيد الانصاري : ضمن البلغة في شذور اللفّة : ١٠٤-١٠٥ .
(٤١) كتاب اللب واللبن لابي زيد الانصاري : ضمن البلغة في شذور اللفّة : ١٤٣ .
(٤٢) المعجم العربي نشاته وتطوره : ١٢٧/١ .

الكتب مليئة بالاتفاظ المختلفة التي وقعت على معنى واحد . وقد اقتبس
الميوطي منها طائفة وساقها أمثلة للترادف في مزهره^(٤٣) . ونكتفي بالإشارة
إليها خشية الإطالة .

بقي أن نشير إلى الأدباء الذين لمحووا ظاهرة الترادف في اللغة وذلك قبل
القرن الرابع الهجري ، ومن هؤلاء صالح بن جناح^(٤٤) في قوله : (اعلم أن
العرب قد تجعل الشيء الواحد اسماً وتسمى بالشيء الواحد أشياء . . .)^(٤٥)
كما عرض لها الجاحظ وعللها^(٤٦) .

وهكذا يتحقق عندنا أن العلماء والرواة القدامى قد فطنوا إلى فكرة
الترادف في اللغة ، معبرين عنها بتسميات وعبارات متقاربة ، ناهيك عن
تشابهها في تصانيفهم بصورة لا تقبل الشك كما أسلفنا . ولذا فالعجب من قول
صاحب رواية اللغة الذي يزعم فيه أن أمثلة الرواة القدامى لا تدل على
أنهم كانوا يتصدون الترادف . وإنما كانوا يبنون الشيء وصفته ، والشيء
وقريبه^(٤٧) . ويفتينا في الرد عليه ما قاله المؤلف نفسه بعد ذلك بقليل : (ولكن
الرواة الذين جمعوا اللغة وعنوا بالمعاني ، جمعوا الأسماء المترادفة كهذه التي
يعنيها ابن جنبي إلى جانب أخواتها من كان صفة للشيء أو معنى مجازياً
له . . .)^(٤٨) وهذا هو الصحيح وليس القول الأول . إذ سبق أن بينا أن
الرواة والعلماء الأوائل كانوا يخلطون في أحيان كثيرة بين المترادف الحقيقي

(٤٣) المزهر : ٤٠٩/١ - ٤١٣ .

(٤٤) هو صالح بن جناح اللخمي الشاعر أحد الحكماء ، حكى عنه أبو عثمان
الجاحظ ، وكان ممن أدرك الأتباع بلا شك ، وكلامه مستفاد في الحكمة ،
وهو شاعر كوفي . (ملخص من تهذيب تاريخ ابن سناكر : ٣٦٧/٦
وما بعدها ط ١) .

(٤٥) رسائل البلغاء - محمد كرد علي - ص ٢٨٥

(٤٦) البيان والتبيين : ٢٠/١

(٤٧) رواية اللغة - عبد الحميد الشلقاني : ٢٢٥ - ٢٢٦

(٤٨) نفسه : ٢٢٧

وما هو غير ذلك ، قبل ان تحدد هذه الفكرة وتوضح شروطها ومعالمها بشكل اوضح فليس كل ما اوردوه ترادفا ، بل اشتمل على هذا وغيره . ويمكن القول بأن قدامى الرواة بنهجهم هذا ، لم يجمعوا المترادف فقط ، بل اكدوا هذه الظاهرة وكانوا من الاسباب في كثرتها والمبالغة فيها ، بما جمعه ورووه من كثرة الالفاظ للمعنى الواحد .

وبهذا تبا كثيرا الكثير من هذه المواد لاصحاب المترادف والمؤيدين له بعد ذلك لان يؤمنوا فيه ويقالوا الى حد لا يصدق ، معولين على جملة هذا الجمع الذي وضعه الرواة امامهم . كما اتانا لا نرتاب في تحسن القدامى لفكرة المترادف ، فقد كانت طبيعية جدا وماثلة في اذهانهم وسلوكهم اللغوي . والذي ندلل به على هذا اضافة الى ما تقدم ، اتانا نرى الكثير من العلماء والرواة الذين ساحوا في الجزيرة العربية وجابوا البوادي من اجل جمع اللغة وتدوين مفرداتها ، عن طريق مشافهة الاعراب ، نجد هؤلاء قد سجلوا ميدانيا عدة الفاظ مترادفة . قال ابو زيد : قلت لاعرابي : ما المتككسي ؟ قال : المتأزف ، قلت : وما المتأزف ؟ قال : المتحبطي ، قلت : وما المتحبطي ؟ قال : انت احق وتركني ومضى : وذلك كله التعبير^(٤٩) . وقد جاء تعليق الدكتور ابراهيم ايس وجيها على هذا النص عندما رأى فيه : ان عالما جليلا كابي زيد الانصاري كان لا يرى غضاضة في ان يعبر عن المعنى الواحد باكثر من لفظ ، بل كان فيما يظهر يؤمن ان الاعرابي قد يحتفظ في ذاكرته بالفاظ عدة للتعبير عن معنى واحد^(٥٠) . وفي آثار الاقدمين الشيء الكثير من هذا مما لا يسكن حصره . والطريف الغريب اتانا كثيرا ما نجد ، حتى الذين انكروا المترادف او تأولوه ، يروون لنا عدة كلمات مختلفة بمعنى واحد ، كما فعل ابن الاعرابي وتلميذه ثعلب وابن فارس وسوف يأتي تفصيل ذلك .

(٤٩) الجمهرة لابن دريد : ٢٧١/٢ - ٢٧٢ - وعنه في الزهر : ١١٢/١ . وانظر : نزعة الالباء لابن الانباري : ١٠٢ . واخبار النحويين البصريين لليراقبي : ٥٦ . وقد وردت هذه الرواية في هذه المصادر بشيء من الاختلاف اليسير من حيث التقديم والتأخير في هذه الالفاظ .

(٥٠) في اللهجات العربية : ١٦٢ .

ان هذه الروايات والنصوص التي عرضنا لها ، تشهد على امكانية تعدد الالفاظ المختلفة للمعنى الواحد ، في طرائق الاستعمال اللغوي ، وتدل على الثقات العلماء نحوها وادراكهم لجوازمها في العرف اللغوي . لقد كانت هذه الفكرة من الوضوح في اذهان القدامى من العلماء والرواة ما جعل عالما كالاصمي يفتخر امام الرشيد بانه يحفظ للحجر سبعين اسما^(٥١) . وكذلك كانت من الشروع ما جعلهم يستوحونها في تأليفهم ، فيفردون على هذا الاساس ابوابا ومعنفات خاصة ، ويدرجون تحت المعنى الواحد او المسمى الواحد كثيرا من الالفاظ المختلفة له ، كما رأينا ذلك في كتاب الاصمي وكتاب الغريب المصنف وكتب الموضوعات الاخرى وفي كتب النوادر والامالي . بل ان كتب التراجم تذكر للمبرد كتابا بعنوان : « اساء الدواهي عند العرب »^(٥٢) والكثرة من هذه الالفاظ التي دونها الاوائل وقالوا انها بمعنى واحد ، هي التي عرفت فيما بعد بالترادفات ، وآلت الى اصحاب الترادف وجامعيه فصارت اساسا يعملون عليه ويضيفون له الكثير كما اشرنا الى ذلك .

وصفة القول ان فكرة الترادف قد كانت من جملة الظواهر اللغوية الاولى التي تبه اليها العلماء والدارسون العرب في وقت مبكر نتيجة ملاحظاتهم للواقع اللغوي وان هذه الفكرة لم تكن غريبة على الحس اللغوي العام . وقد اتضحت عندهم بعد تدوين مفردات اللغة ومحاولة تصنيفها ودرسها ، ونتيجة النظر والتأمل في هذه المفردات ، لاحظ العلماء عدة ظواهر لغوية كالاشتراك والاضداد والقلب والابدال والترادف ... وغيرها ، فشرعوا يصفونها ويبحثون فيها .

واما الخلاف في هذه الفكرة فيرجع الى القرن الثالث الهجري على وجه التحديد . اذ اتنا لا نلاحظ ابي خلاف او جدل بشأنها قبل هذا العصر .

(٥١) الصاحبى لابن فارس : ٤٤

(٥٢) الفهرست لابن النديم : ص ٩٤ ، وانباه الرواة للتفطى : ٢٥٢/٣ ،

ومعجم الادباء لياقوت الحموي : ١٩٢/١٩

فكل الدلائل تشير الى ان علماء اللغة كانوا يسلون بالترادف ولا يرونه محل نزاع في القرن الثاني الهجري . ولذلك فنحن نتفق مع الدكتور ابراهيم انيس الذي ذهب الى مثل هذا^(٥٣) ؛ بيد ان الدكتور انيس والدكتور صبحي الصالح^(٥٤) قد بدءا بذكر ثعلب في انكار الترادف والقول بالتباين في المترادفات . ولنا نوافقهما الرأي في ذلك . وعندنا ان ابن الاعرابي هو أول من ذهب هذا المذهب ؛ فهو القائل : (كل حرفين اوقعتهما العرب على معنى واحد ؛ في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه . . .)^(٥٥) وقد تلاه في ذلك تلميذه ثعلب الذي روى عنه هذا النص ، مما يجعلنا نرجح ان ثعلبا استمد هذا من شيخه وتأثر به . ثم تابعهما في ذلك احمد بن فارس تلميذ ثعلب .

كما اتنا نجد معظم الذين انكروا الترادف من القدامى والمحدثين قد عولوا على رأى ابن الاعرابي واستشهدوا به كثيرا . وسوف يأتي تفصيل ذلك . ومن منكري الترادف في القرن الرابع الهجري ابن درستويه وصاحب الفروق اللغوية ابو هلال العسكري وفي هذا القرن تهه نجد ابن جنى وابن خالويه وعلي بن عيسى الرماني وغيرهم يقولون بترادف الالفاظ في اللغة ويعتفون فيها .

مكذا بدأ النظر في هذه الظاهرة بتلك الملاحظات اللغوية البسيطة ، ثم تطور شيئا فشيئا ، كما مر بنا ، حتى اذا ما حل القرن الرابع الهجري ، اتسع البحث فيها وتشعب القول وكثر الجدل ازاءها . فظهرت عدة مصنفات بهذا الخصوص منها ما يتصل بالترادف ومنها ما يتصل بالفروق ؛ وبذلك اصبحت هذه الفكرة ملهمة للعلماء والدارسين في ضرب من التأليف والبحث فيها سلبا وايجابا ، وما زال الباحثون على هذه الحال حتى يومنا هذا .

(٥٣) في اللهجات العربية : ١٦٢

(٥٤) دراسات في فقه اللغة : ٣٢٣ .

(٥٥) المزهري : ٣٩٩/١ - ٤٠٠

مفهوم الترادف ، تطوره وتحديدده :

اختلف مفهوم الترادف برور الزمن نتيجة توفّر العلماء على التأمل في هذه الظاهرة وبسبب تباين مناهجهم ومذاهبهم في النظر إليها . فقد شارك في هذا كثير من علماء اللغة والاصول والفقه والمنطق قدامى ومحدثين . فما قضى العلماء منذ ملاحظتهم هذه الظاهرة ، دائبين على البحث فيها والتنقير عنها بغية الوصول الى مفهوم دقيق لها ، مدلين بأقوالهم ووجهات نظرهم المتفاوتة التي جعلت هذه الفكرة تختلف فيقا واتساعا لديهم . وما زال الحال على هذا النحو حتى وصل الامر الى المحدثين من علماء اللغة الذين حدوا الترادف وقيدهود بصورة أكثر ضبطا وسوايا ما نجده عند من سبقهم ، كما سرى في نهاية هذا الفصل .

ولهذا ما كان لمفهوم الترادف ان يكون متطابقا عند جميع العلماء وعلى اختلاف العصور .

ولما كان الامر كذلك ، فقد بدا لي ان من المسائل المهمة في هذا البحث قبل كل شيء ، ضرورة تحديد فكرة الترادف وبيان المقصود منها على وجه الدقة وذلك كما اثبتها المحققون من العلماء .

تشلت فكرة الترادف عندهم اول الامر في اختلاف الالفاظ للمعنى الواحد او للشيء الواحد ، وذلك قبل الاصطلاح عليها وتطور البحث فيها وتحديد مفهومها . كما مر بنا آتيا في تمييزهم عنها باختلاف اللفظين والمعنى واحدا تارة ، وبما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه تارة اخرى ، أو بالاسماء المختلفة للشيء الواحد . فكل هذه التسيات والتعبيرات متقاربة في دلالتها على فكرة الترادف بصورة واسعة وبغير تحديد دقيق لها . لذلك احتوت الشواهد التي تشكنا بها المترادف وغيره . اذ انها لم تقتصر على الالفاظ المفردة ، بل تجاوزتها الى العبارات والجنل المختلفة في الالفاظ التي تواردت على معنى واحد ، والى المجاز والكناية والمشارك والى ذكر انواع المسمى وصفاته واحواله في احيان اخرى .

وقد حاول العلماء بعد ذلك ان يجدوا هذه الفكرة الشاملة ، وان يضعوا لها بعض الاعتبارات اللغوية . فهم لم يرتضوا في الترادف مجرد دلالة عدة كلمات مختلفة على معنى واحد او انصراف عدة اسماء الى معنى واحد . بل يرون انه لا بد من تحقق اعتبارات لغوية معينة حين النظر الى هذه الظاهرة ، لتسيّرها من غيرها واخراج ما ليس منها حقيقة .

وبهذا اسبحت فكرة الترادف عندهم أكثر وضوحا وتحديدا بعد تطور البحث اللغوي واتساعه ، ولم تعد كما كانت عليه عند الاقدمين منهم ، وهذا ما يتشل لنا خير تشل في تعريف التهانوى للترادف الذي نقله عنهم في قوله : (الترادف لغة ركوب احد خلف آخر ، وعند أهل العربية والاصول والميزان هو توارد لفظين مفردين او الفاظ كذلك في الدلالة على الاتراد بحب اصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة . وتلك الالفاظ تسمى مترادفة . . ويقابل الترادف التباين) (٥٦) .

وهكذا ضيقوا من مفهوم الترادف وحدوه لئلا يختلط به غيره كما في التسميات السابقة الذكر . فقد ميزوه من الظواهر اللغوية الاخرى كالاتباع نحو حسن بن ، وعطشان نطشان ، لان بعضهم قال بترادفهما ، ولكنهما خرجا بقيد الاتراد ، زد على ذلك ان شروط الاتباع في الوزن وعدم افادة التابع معنى اذا كان منفردا تختلف عن فكرة الترادف وما ينبغي ان يتحقق فيها من اعتبارات خاصة . كذلك اخرجوا منه التوكيد بنوعه اللفظي والمعنوي . كما اخرجوا منه الالفاظ الدالة على معنى واحد مجازا والتي يدل بعضها مجازا وبعضها حقيقة . وليس عندهم من الترادف ايضا تلك العبارات والجمال التي تواردت في الدلالة على معنى واحد من جهة واحدة نحو : الانسان قاعد ، والبشر جالس ، فمثل هذه وان كانت سواء في معناها ،

(٥٦) موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوي : ٥٧٨/٣ . وانظر ، المزهري : ٤٠٢/١ - ٤٠٣

الا انها ليست من الترادف في شيء بسبب اشتراطهم الاتفراد في الكلمات المترادفة^(٥٧) . وهذه من قبيل التراكيب .

وعلى هذا يتبين لنا غلط بعض الباحثين في اعتبار الترادف حتى في الجمل والمبارات . وقد فاتهم ان ليس هناك ترادف في الجمل والمبارات بالمعنى الاصطلاحي الذي تواضع عليه المحققون من العلماء ، واذ الترادف ينبغي ان يلتصق في الالفاظ المختلفة المنفردة . ونتيجة ذلك وقع هؤلاء في خلط عجيب وفوضى لا مائل تحتها لعدم اهتدائهم الى المفهوم الحقيقي للترادف ولشروط تحققه في اللغة . نعم ان الجمل والمبارات قد تتوارد على معنى واحد ، وهذا في الواقع من قبيل تنوع الاساليب اليبانية في التعبير ، وليس ترادفاً بمفهوم المصطلح اللغوي كما بيناه . واذ تجاوزنا في اطلاق « الترادف » على مثل هذه الجمل والمبارات ، فهذا يختلف عن مفهوم الترادف في اللغة . وما نستدل به على هذا أننا نجد احيانا من يصف اسلوب بعض الكتاب بان جمله مترادفة . ومثال ذلك ما جاء في حديث المستشرق يوهان فك عن كتاب جواهر الالفاظ لقدماء بن جعفر وملاحظته الجمل المترادفة فيه^(٥٨) . وكما جاء لدى كثير من الباحثين واصفين بها طرائق بعض الكتاب في التعبير . وهنا يمكن القول بان الترادف في مثل هذه الحالة هو اصطلاح ادبي نقدي ، اذا ما صح التعبير ، وليس مصطلحا لغويا ، اذ يقصد به ان تتابع الجمل والمبارات المختلفة في التعبير عن المعنى الواحد .

يضاف الى هذا ان طبيعة الخلاف والجدل الذي نشب بين العلماء حول الترادف في اللغة ، لم يتناول الجمل والمبارات ، وانما كان يتصل بالالفاظ وهي منفردة . بل لا نكاد نجد خلافا حول امكانية التعبير عن المعنى الواحد بعدة جمل وتعابير مختلفة .

بعد هذا نجد من العلماء القائلين بوقوع الترادف من يقسم هذه الظاهرة

(٥٧) المصدر السابق : ٥٧٨/٣ - ٥٧٩ . والمزهر : ٢٠٢/١ - ٢٠٣ .

(٥٨) العربية - يوهان فك : ١٢٦

قسين ، حيث نقل السيوطي عن بعضهم (قال الكيا في تعليقه في الاصول :
 الالفاظ التي بمعنى واحد تنقسم الى الفاظ متواردة والفاظ مترادفة ، فالمتواردة
 كما تسمى الخمر عثقارا وصهباء وقهوة ، والسبع اسدا وليثا وضرغاما .
 والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد ،
 كما يقال : أصلح الفاسد ولم الشعث ، ورتق الفتق ، وشعب
 الصعدع .)^(٥٩) ونرى ان الكيا في تقيسه هذا ، قد عكس الامر حقا . اذ
 انه اعتبر الترادف في العبارات والجمل وجعل التوارد في الالفاظ المفردة المترادفة
 وهذا خلاف ما ذهب اليه غالبية العلماء وما عرف عنهم . حيث لا اشكال لديهم
 في شأن الالفاظ المتقاربة المعنى وفي العبارات والجمل المتواردة على معنى واحد
 فهذه ليست موضع خلاف في اللغة ، وانما اختلفوا في الالفاظ المفردة الدالة
 على معنى واحد ، اي المترادفة . ولو كان الامر كذلك لاتفى الخلاف بينهم .
 وقد اقر الكيا في تقيسه هذا على ما يبدو ، وجرى العلماء القدامى على
 البحث عن الترادف في الالفاظ المفردة وليس في العبارات والجمل المركبة ، ولم
 يلتفتوا الى قوله وماخذوا بما صرح به . وقد عقب السيوطي على هذا الوهم
 بقوله : (وهذا تقسيم غريب)^(٦٠) ازاء هذا فنحن مع الدكتور ابراهيم أنيس
 بأنه لايعنينا هنا الا البحث في الكلمات ، ولا ننظر الا الى ما سماه في تقيسه
 بالالفاظ المتواردة ، وهي التي اصطلح معظم العلماء على تسميتها
 بالترادفات^(٦١) .

وما تقدم يتضح لنا وهم احد الباحثين المحدثين^(٦٢) عندما قال ان
 السيوطي يدعو الترادف بالتوارد وان الترادف في نظره هو ان يقام لفظ مقام
 لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد كما في النص السابق . . . وهذا ليس

(٥٩) الزهر : ٤٠٦/١ - ٤٠٧

(٦٠) المصدر السابق : ٤٠٧/١

(٦١) في اللهجات العربية : ١٦٢

(٦٢) في اصول اللغة والنحو : ٣٤ حاشية .

بصحيح قطعاً لأن السيوطي لم يقل بهذا قط . وكل ما فعله انه نقل لنا مقولة الكيا السابقة الذكر . بل ان السيوطي نفسه قد استغرب هذا الرأي ، معقبا عليه بقوله : وهذا تقييم غريب ، كما ذكرنا .

وعلى هذا يتحقق عندنا ما ذهبنا اليه من أنه لا ترادف في الجمل والعبارات بالمعنى الاصطلاحي اللغوي لمفهوم الترادف الصحيح . وثبت هذا ما قرره العلماء من أن الترادف انما هو من خواص المفردات . ومع هذه الحقيقة فاننا نجد طائفة من الباحثين المحدثين قد تابعوا الكيا في وهمه هذا ، ولا ندري أكان ذلك عن وعي وقصد او عن جهل وسهو . فلقد اعتبر هؤلاء الالفاظ المتقاربة في المعنى ترادفاً وكذلك الجمل والعبارات ، وخلطوا بين التوارد والترادف كثيراً ، وذلك كما فعل صاحب كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد وصاحب غرائب القاموس العربي وصاحب المترادفات والمتجانسات وغيرهم كما سنبين ذلك بالتفصيل .

وقد سمي نهر من المحدثين الترادف تسمية أخرى ، بخلاف ما اتفق عليه معظم العلماء . فقد ذهب هؤلاء الى تسمية الترادف بـ « المشترك المنوي » (٦٣) والذي نراه في هذا انهم قد قصدوا بها مقابلة المشترك اللفظي الذي هو ضد الترادف تماماً . ونحسب ان هذه التسمية المتحدثة ليست دقيقة في اطلاقها على ظاهرة الترادف ، لأن مفهوم الترادف الحقيقي في عرف العلماء قائم على دلالة الناطق مختلفة على معنى واحد بصورة مستقلة على سبيل الافراد ، وليس على جهة الاشتراك كما هو في المشترك اللفظي . زد على ذلك ان مفهوم المشترك المنوي عند القدامى مغاير لهذا ولا يعنون به الترادف . يقول التهانوي : (الاشتراك في عرف العلماء كأهل العربية والاصول والميزان ، يطلق بالاشتراك على معنيين احدهما كون اللفظ المفرد موضوعاً لمفهوم عام مشترك بين الافراد ويسمى اشتراكاً معنوياً وذلك اللفظ يسمى

(٦٣) علم اللغة - د . علي عبدالواحد واقي : ٢٥٥ - وانظر : مقدمة كتاب شجر الدر لابن الطيب اللغوي ، لمحققه محمد عبدالحواد : ٢٩

مشتركا معنويا . . .) (٦٤) ومثل هذا أيضا ما جاء عند علماء الأصول ، حيث

لا يريدون بالمشارك المعنوي الترادف ويفرقون بينهما (٦٥) .

بهذه الاعتبارات والحدود حصر العلماء الترادف ، فصار أكثر ضيقا وتحديدا من ذي قبل ، وقد وفقوا في ذلك الى حد ما . الا اننا نلاحظ انه على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلوها في هذا الشأن ، فقد بقي مفهوم الترادف عندهم يتسع لكثير من الالفاظ ويسمح لطوائف اخرى بالدخول في هذه الظاهرة . وقد ادى هذا الى الخلط والاضطراب في بحوثهم والى جدل كثير حول جواز الترادف في الفاظ كثيرة حتى عند القائلين بالترادف ، اضافة الى الغلو فيه .

واذ تأمل المترادفات التي اوردوها نجد ان مفهوم الترادف الذي قرروه لا يصدق كثيرا اذا ما حاولنا تطبيقه على طائفة كبيرة من الالفاظ التي عدت من الترادف عندهم . فقد اورد معظم الذين جمعوا الترادف كثيرا من الالفاظ الخارجة عن الحد الذي شرطوه للترادف ، كما هي الحال في « الالفاظ المترادفة » للرماني ، وفي مترادفات الفيروز آبادي وأمثلة السيوطي وغيرها . فلورجنا الى المعاجيم للكشف عن هذه ، لوجدنا فروقا في الدلالة بين طائفة كبيرة منها . وهذا ما يدل على ان جامعي الترادف ولاسيما المتأخرين منهم ، لم يلتزموا عليا بمفهوم الترادف الصحيح في كل الاحوال . ونعني بذلك مسألة الاتفاق في المعنى التي ذكرها ابن فارس وثبتها الجرجاني وابن الاثير وفخر الدين الرازي والتهانوي في تعريفهم للترادف . ولعل الدافع الاساسي للخروج عن هذا التحديد يكمن في التفاخر والمباهاة بجمع أكبر عدد ممكن من اساء الشيء الواحد ، وهذا يعني ان جمعهم لهذه الالفاظ لم يكن يهدفون فيه الى غاية لغوية معينة . ولنا عود الى هذا في الفصل الخاص بكثرة المترادفات واسباب المبالغة فيها .

(٦٤) موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية : ٧٧٦/٢

(٦٥) اصول الفقه - محمد الخصري : ١٥٨

الترادف عند الاصوليين والمناطقية :

لقد شارك الاصوليون والفقهاء والمناطقية علماء اللغة في البحث عن العديد من المسائل اللغوية المهمة . اذ لا يخفى ان هناك علاقة بين اللغة وعلم الاصول والمنطق . فقد شعر العلماء من الاصوليين والمناطقية بحاجتهم الى اللغة في كثير من القضايا والاحكام وطرق الاستدلال ، اذ لا يمكن التوصل الى ذلك الا عن سبيل اللغة وفهمها وادراك اسرارها . ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين اللغة من جهة وعلم الاصول والمنطق من جهة اخرى ، لكونها الاداة التي يسطعمونها في مباحثهم ويتوقف عليها كثير من الاحكام والقضايا ... ولهذا كله نراهم قد نظروا في كثير من الظواهر اللغوية وناقشوها فيما يسمى عندهم بمباحث الالفاظ والتصورات ، ومن ذلك ظاهرة الترادف . فقد قسموا الالفاظ بحسب دلالتها على اقسام كثيرة متشعبة ، ووضعوا لها الاصطلاحات المختلفة مما لا مجال لذكره هنا .

والذي يعنينا من هذا ان علماء الاصول والمنطق قد عرضوا لظاهرة الترادف وتحدثوا عنها كثيرا في مباحثهم تلك وفي تسمياتهم للاسماء وانواعها المختلفة ناظرين اليها في اكثر الاحيان وفق مناهجهم العقلية والمنطقية .

لقد ناقش الاصوليون الترادف وحدوه بقولهم : (هو الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد) . (٦٦) او هو تعدد اللفظ مع اتحاد المعنى مفهوما وما صدقا كبراً وحنطة ، وانسان وبشر (٦٧) . وقد فرقوا بينه وبين الاتباع والتوكيد واخرجوهما منه . وقد ذهب الجمهور منهم

(٦٦) الزهر - السيوطي : ٤٠٢/١ - ٤٠٣ . ثم ينظر : نهاية السؤل في شرح منهاج الاصول - جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي : ١٠٤/٢ - ١٠٥ ، وكذلك : ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول للشوكاني ص ١٨-١٩ .

(٦٧) حاشية العطار على جمع الجوامع - حسن العطار - : ٢٧٩/١ ، ثم انظر : تيسر اصول الفقه - بدر المتولي عبدالباسط ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

الى القول بوقوعه وبأثباته في اللغة وعجبوا من نسبة المنع الى بعض اللغويين مثل ثعلب وابن فارس مع توسمهما في هذا العلم . فهم يرون ان الترادف لا يتمتع عقلا ، ولا شك في جواز وقوعه ، أما من لفتين كالعربية والفارسية فهو عندهم معلوم بالضرورة ، او من لغة واحدة كالحنطة والبر والقمح . ولذلك ردوا على المنكرين له فيما احتجوا به وانحوا باللائمة عليهم ، وقالوا ببطان آرائهم وبفسادها وبأن تصفات الاشتقاقيين في انكاره لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة .

كما انهم رأوا في فروقهم في مثل الانسان والبشر ، والخر والعقار ، الجلوس والتمرد ، تكلفا ظاهرا وتمسقا بحتا ، واذا أمكن تكلف مثلها في بعض المواد المترادفة فانه لا يمكن في اكثرها (٦٨) . يقول الامدي في الرد على المانعين له مينا كيفية وقوعه : (ذهب شذوذ من الناس الى امتناع وقوع الترادف في اللغة ، مصيرا منهم الى ان الاصل عند تعدد الاسماء تعدد المسميات ، واختصاص كل اسم بمسمى غير مسمى الاخر وجوابه ان يقال لا سبيل الى انكار الجواز العقلي ، فانه لا يتمتع عقلا ان يضع واحد لفظين على مسمى واحد ، ثم يتفق الكل عليه . او ان تضع احدي القيلتين احد الاسمين على مسمى ، وتضع الاخرى له اسما آخر ، من غير شعور كل قبيلة بوضع الاخرى ثم يشيع الوضعان بعد ذلك . كيف وان ذلك جائز بل واقع بالنظر الى لفتين ضرورة فكان جائزا بالنظر الى قيلتين) (٦٩) . ونقل السيوطي قول التاج السبكي في شرح المنهاج وهو يسفه فيه حجج المنكرين للترادف ويصمهم بالتكلف في اظهار الفروق بقوله : (ذهب بعض الناس الى انكار المترادف في اللغة العربية ، وزعم ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصقات كما في الانسان والبشر ، فان الاول موضوع له باعتبار النسيان ، او باعتبار انه يؤنس والثاني باعتبار انه بادي البشرية .

(٦٨) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول - الشوكاني :

ص ١٨-١٩ ثم انظر الزهر للسيوطي : ١/٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٦٩) الاحكام في اصول الاحكام للامدي : ١/٢٠ - ٢١ .

وكذا الخندريس والعتار ، فان الاول باعتبار العتق ، والثاني باعتبار عتق
الدين لشدهما . وتكلف لاكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب . (٧٠)

من هذا نرى انه لا اشكال في وقوع الترادف في نظر علماء الاصول ،
بل ثمة من لا يرى منهم حاجة الى الاستدلال على وقوعه ولا يرى معنى
لاقامة البرهان على جوازه في اللغة وذلك بعد تحقق وقوعه كالبر والقبح ،
والتعود والجلوس وغيرها مما لم يجعله نقلة اللغة محل خلاف ، كما ان
العقل لا يحيل جواز الوقوع ، وأن الواقع يؤيد الوقوع . ولذا فالاشتغال
بإثبات ذلك ودفع هذا عبث فلا يصفى الى مقالة من انكره ، لان ذلك مكايرة
ومباهة . (٧١) وعلى الرغم من قول أهل الاصول بوقوع الترادف في اللغة
والقرآن الكريم والسنة النبوية ، فقد اختلفوا في ايقاع كل من المترادفين
مكان الاخر . حيث ذهبت طائفة منهم الى القول بالجواز في حين ذهبت
الآخري الى المنع ، ولكن المحققين منهم اجازوا ذلك وتيدوه بالمانع الشرعي .
واما بالنسبة الى القرآن الكريم فقد اقرؤا بوقوع الترادف في الناطقة ، ولكن
لا يجوز عندهم ان يحل لفظ مكان لفظ مها كان الترادف تاما وقويا ، وذلك
لان القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله تعالى ، والمتعبد بتلاوته ، والمانع
هنا شرعي (٧٢) .

وقد فر أهل الاصول وقوع الترادف في اللغة بتعدد الوضع ، وذلك
اما ان يكون على سبيل لغات القبائل المختلفة ، وهو السبب الاكثر لديهم
وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية ، او ان يكون من واضع واحد

(٧٠) المزهر : ٤٠٢/١ ثم ينظر حاشية المطار على جمع الجوامع ٢٧٩/١

وارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ص ١٨ - ١٩ .

(٧١) تيسير اصول الفقه - بدر المتولي عبدالباسط : ص ٢٢٨ ثم انظر اصول

الفقه - محمد رضا المظفر : ٢١/١ واصول الفقه - محمد الخصري :

ص ١٥٧ .

(٧٢) اصول الفقه - محمد الخصري - ص ١٥٧ - ١٥٨ . ثم انظر : تيسير

اصول الفقه - بدر المتولي عبدالباسط ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

وهو الأقل^(٧٣) . وقد ذهب بعضهم يئس لوقوعه تعليقات منطقية وحججا
كلامية مختلفة مما ليس مكانه البحث اللغوي الوصفي .

كذلك تحدثوا عن فوائده وأوها في تكثير وسائل التعبير وفي التوسع
في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة نظما وثرًا وذلك لأن اللفظ قد
يتأتي باستعماله مع مرادفه السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير هذا
من ضروب البديع . كما أنهم قد قالوا بفوائده بالنسبة للإلتغ . وفي إيضاح
أو تعريف الغامض والختي والمبهم ، وفي توكيد المعنى ، (لأن الحاجة تدعو إلى
تأكيد المعنى والتجريض والتقرير ، فلو كرر اللفظ الواحد لسجع ومعج .
ويقال : الشيء إذا تكرر تكرج ، والطباع مجبولة على معاداة المعادات ،
فخالفتوا بين الألفاظ والمعنى واحد .)^(٧٤) وعموما فأنهم قد اعترفوا بمعظم
فوائده التي ذكرها اللغويون .

ولا يشوتنا أن نشير إلى أن من الأصوليين من جاء بتقسيم غريب - على
جد قول السيوطي - للألفاظ التي هي بمعنى واحد . حيث قسمها الكيا
البراسي إلى الألفاظ متواردة والألفاظ مترادفة جاعلا الترادف في العبارات والجمل
نحو : أصلح القاسد ، ولم الشعث ، ورتق الفتق وشطب الصدع ...
والتوارد في الألفاظ المفردة المترادفة نحو : عقار وصهبا وقهوة للخمر ...
وقد سبق لنا أن ناقشنا ذلك وبيننا أفراد قائله بهذا الرأي وعزوف العلماء
عن الأخذ به وهنا نضيف إلى ما تقدم أن هذا الوهم مردود بقولهم :

(قعدت خوفا وجلست فرقا ، فان هذين التركيبين ليسا مترادفين لأن
الترادف من خواص المفردات) .^(٧٥)

(٧٣) حاشية العطار على جمع الجوامع : ٢٧٩/١ ، ثم انظر الزهر للسيوطي
٤٠٥/١ - ٤٠٦

(٧٤) المزهر : ٢٦/١ - ٢٧

(٧٥) نجاية السؤل في شرح منهاج الأصول - عبدالرحيم بن الحسن
الإسوي : ١٠٧ / ٢ .

ومما يلاحظ على مبحث الترادف عند الاصوليين انهم اخرجوا منه طائفة من الالفاظ التي قال بعض اللغويين بترادفها ، وذلك كاسم الشيء وصفاته نحو السيف والصارم والحام والمهند ... فعندهم ان السيف هو اسم للذات والبواقي صفات له ، وهي وان دلت على معنى واحد ولكنه باعتبارات مختلفة^(٧٦) ، وكذلك ليس من الترادف الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح ، وقد سموها « المتباينة المتواصلة »^(٧٧) والواقع ان هذا ناتج بسبب الخلاف في نظرهم الى الترادف اهو الاتحاد في المفهوم أم الاتحاد في الذات ؟ يقول الشيخ عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع مبيئا خلافهم في مثل هذه الالفاظ : (والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر الى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن يمنع ينظر الى اختصاص بعضها بزيادة معنى ، فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات .)^(٧٨) وعلى اية حال فان الكثرة منهم لم تقل بترادفها كالامدي والرازي والغزالي وغيرهم . وقد ذهب بعض المتأخرين منهم الى انه ينبغي ان يكون هذا قسما آخر ، سموه « المتكافئة » ومن هذا النوع أسماء الله تعالى كغفور ورحيم وقدير ... وكذلك أسماء رسوله^(٧٩) .

وقد تابع أهل الاصول معظم اللغويين القدامى عندما توهموا الترادف في الفاظ ليست مترادفة حقا وذلك نحو : البهتر والبحتر للقصير^(٨٠) ، وغير هذا من الصيغ المختلفة للكلمة الواحدة التي نشأت بسبب الإبدال او القلب او غير ذلك .

واما المناطق فقد عرضوا للترادف أيضا في مباحثهم للالفاظ وفي تصنيفهم

(٧٦) المستصفي من علم الاصول - الغزالي : ٢١/١ - ٢٢

(٧٧) الزهر : ٣٦٨/١

(٧٨) نفسه : ٤٠٥/١ - ٤٠٦

(٧٩) نفسه : ٤٠٥/١

(٨٠) الاحكام في اصول الاحكام - الامدي ٢٤/١

للإسـاء من حيث الدلالة . وقرروا انه قد يكون المعنى واحدا ، وتعدد الالفاظ التي تدل عليه كما هو في الحيوان الزئير ، فان له عدة الفاظ تدل عليه هي اسد وليث وهزبر وسبع وضيغم وغضنفر وغيرها . فكل هذه الالفاظ متحدة في المعنى ومن ثم فهي مترادفات Synonyms وعليه يكون المترادف عندهم هو ما تعدد لفظه واتحد معناه كاسد وسبع ، واصبع وبثان ، وقلم ويراع . ان مثل هذه الالفاظ مترادفة في نظرهم لانها متحدة في المفهوم ، وعليه كانت متحدة في (الماصدق) على حد تعبيرهم (٨١) .

وإذا كان الاصوليون قد اعتدوا الادلة العقلية والنقلية في اثبات الترادف ، فان المناطقة قد عولوا في ذلك كثيرا على الواقع اللغوي واقتبسوا منه عدة أمثلة فقد سجلوا لنا كلمات مترادفة مما جرى في الاستعمال بين الناس ، كما ورد في تقييمات ابن حزم للإسـاء حيث يقول : (والرابع ان يكون المسى يوافق المسى في حده ، ويخالفه في اسه ، مثل قولنا : سنور وضيون وهر ، فان هذه الفاظ مختلفة ، وهي كلها واقعة وقوعا واحدا على كل شخص من اشخاص النوع المتخذ في البيوت لصيد الفأر الذي يلج في السوال عند الاكل ، وتشبه الاسد في خلقه . وهذا النوع من الاسـاء يسمى المترادفة (٨٢)) .

ومن الجدير بالذكر هنا ان فكرة الترادف ليست بفرية ولا بجديدة عند اصحاب المنطق ، اذ اشار اليها ارسطو واضع المنطق من قبل ، في مباحث التصورات التي تتصل بكثير من المسائل اللغوية ، كذلك ذكرها في تقييماته للإسـاء وفي باب الحدود . لقد لاحظ ارسطو تعدد الاسـاء الكثيرة للمعنى الواحد وقرر انه يسكن ان يقال الشيء بيمينه متى كانت الاسـاء له كثيرة والمعنى واحدا بيمينه وذلك بمنزلة الثوب والرداء (٨٣) ، وعنده ان كلمات مثل

(٨١) علم المنطق - احمد عبده خير الدين - ص ٢٢ وص ٦

(٨٢) التقريب لحد المنطق والمدخل اليه - ابن حزم ص ٢٧

(٨٣) منطق ارسطو : ٢/٧٩ - ٨٠ . تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوى .

الفرح والطرب والترور كلها اسماء لمعنى واحد هو اللذة (٨٤) .

وقد عد ارسطو الترادف وسيلة لحد الشيء في البسائط ، اذ ان الذي يغير الاسم قد حد الشيء ، مثال ذلك ان يجعل بدل « الثوب » « رداء » ؛ ومثل قولنا : الالات جميل ، وهكذا فكل ما يجري هذا المجرى ينبغي عنده ان نجعله داخلا في باب الحد ، وينبغي لذلك ان تبدل الاسماء بالاسماء اذا كان معناها واحدا . الا انه من اعظم الخطأ ان نجعل التبدل باسماء لا تعرف ومثال ذلك ان نجعل مكان حجر ابيض : جنبد بلجاء ، فما قيل بهذا الطريق لم يجد وهو اقل بيانا (٨٥) . ولقد ذكر ارسطو ان الترادف مفيد للشاعر (٨٦) .

ومن هذا نرى ان ارسطو ينظر الى مرادف الكلمة على انه تعريف لها ، مقيدا ذلك بضرورة كون المرادف اعرف واوضح من الكلمة المراد تعريفها وهكذا يتبين لنا كيف تمثلت فكرة الترادف في منطق ارسطو بهذه الصورة ، في حين اكفى بعض الباحثين المحدثين بالاشارة فقط الى هذا الامر ، دون ان يوضح ذلك (٨٧) .

بعد هذا نجد ان من انواع التعريف لدى المناطقة ، التعريف بالمرادف . حيث اصطنعوه سبيلا لتعريف الشيء وحده واكثروا القول في هذا النوع وزادوه تمصيفا وبيانا . ويبدو انهم قد تابعوا ارسطوا في هذا . فقد ذكر الاستاذ جونسون ثلاثة انواع من التعاريف ومنها التعريف بالمرادف (Biverhal Definition) وهو تعريف الشيء بمرادف اوضح منه (٨٨)

(٨٤) نفسه : ٥١٨/٢

(٨٥) نفسه : ٦٦١ ، ٧٤ - ٧٥

(٨٦) The works of Aristotle translated into English under the editorship of W.D. Ross, Volume XI Book III, P. 1404-1405a.

(٨٧) المنطق الصوري منذ ارسطو وتطوره المعاصر - د . على سامي النشار

ص ٥٢
(٨٨) Johenson : Logic I, p. 289. عن المنطق الصوري ص ١٥ حاشية

وقد قال بهذا كثير من المناطقة والباحثين . وذلك بان نعرف المجهول او الغامض او الخفي بما هو معلوم أو بما هو اوضح منه بذكر مرادفه كتحريف الغضنفر بالاسد والبنان بالاصبع واليراع بالقلم او كأن نقول : البر هو القمح والسجنجل هي المرأة ، وقد سئى المناطقة هذا النوع من التعريفات « التعريف اللغظلي » (٨٩) .

وهم يرون في هذا النوع من التعريفات ان المرادف قد استخدم ليرمز بدقة للمعرف ، بحيث يمكن استبدال احدهما بالآخر . فبما متكافئان ومتساويان منطقا ودلالة ، ولا فرق بينهما الا من جهة كون المرادف أشهر واوضح ، وذلك لان التعريف عندهم هو دائما معادلة (٩٠) . وعلى هذا الاساس اجازوا منطقا ان تعرف الكلمة بذكر مرادفها ، وجعلوه احدى طرائقهم في التعريف وذلك لادراك المفرد وتصوره ومعرفة .

ان هذه الوظيفة المنطقية للترادف عدما اللغويون والاصوليون من فوائد الترادف في اللغة . ولا شك ان المعاجم العربية قد ضجت هذا السبيل في تفسير وبيان دلالة الكثير من الكلمات . فالترادفات وان كانت واحدة من حيث الدلالة الا انها تتفاوت في الشهرة والاعلية والوضوح بالنسبة للناس ، وذلك كأن يكون بعضها أشهر واعرف من الآخر . ولهذا تبرز الحاجة اللغوية الى معرفة المجهول وبيان الخفي وتفسير الغامض بمرادفه المعلوم والاكثر شيوعا .

ان هذه الحاجة اللغوية للترادف - الوظيفة المنطقية عند أهل المنطق - قد ذهب اليها ايضا اصحاب المذهب الوضعي ، فهي عندهم من قبيل التعريف الاسمي وضرب منه ، وقد اطلقوا عليها ، اسم « التعريف القاموسي » الذي هو ايضا يعرف الكلمة بمرادفها ، معتمدا في ذلك على الاستعمال القائم فعلا

(٨٩) علم المنطق - احمد عبده خير الدين ص ٥٥ ثم انظر : المنطق التوجيهي
ابو العلاء عفيفي ص ٢٨

(٩٠) المنطق ومناهج البحث - محمد فتحي الشنيطي - ص ٧١

بين الناس^(٩١) . وسيلهم الى هذا هو استبدال لفظ معلوم بلفظ مجهول ، بحيث يجيء المعلوم مساويا في الاستعمال الجاري للفظ المجهول . وعليه كان التعريف التاموسي عندهم يقوم على اساس فكرة الترادف في الالفاظ وذلك لانه طريقة لتفسير اللفظ بما يرادفه معنى اذا كان هذا المرادف معلوما لمن يشر له اللفظ المجهول كما في تمييز الليث بالاسد في العربية^(٩٢) .

وقد توسع الوضعيون كثيرا في هذا الضرب من التعريفات فكل لفظة في اللغة يمكن تعريفها بعذتها ووضع ما يساويها ، لا فرق في ذلك عندهم بين لفظة واخرى ، كما انهم لم يقصروا على الالفاظ المفردة ، بل شمل العبارات ايضا . ولكن برغم توسعهم هذا ، فانهم قد اصابوا في نظرتهم الى التعريف التاموسي بوصفه حالة تاريخية ، وذلك لانه تسجيل للكلمات بحسب استعمال الناس لها في ظروف معينة . فاذا قلنا ان اللفظ « س » معناه مرادف للفظ « ص » فهذا يعني تسجيلا تاريخيا لحالة قامت بالفعل فيما مضى ، وقد تكون قائمة اليوم كذلك . وليس لنا ان نقرر تعريف اللفظة بما يساويها ان نضيف شيئا من عندنا او نحذف شيئا ، اذ ان الناس يستعملون هذه الكلمة على هذا النحو ، وهم يستعملونها بحيث تساوي كذا من الكلمات الاخرى . فاذا استعملوا مثلا كلمة مقعد وكلمة كرسي بمعنى واحد ، كانت الواحدة منهما تعريفا قاموسيا للآخرى .

ولما كانت المعاني التاموسية للكلمات تسجيلا لما يجري به الاستعمال بين جماعة من الناس ، ولهذه الجماعة ان تغير كيف شاءت من طريقة استعمالها للكلمات فان معانيها التاموسية تتغير تبعا لذلك ، فلذلك اوجبوا ضرورة تقييد هذا التعريف بزمان معين ومكان معين ، لانه يجوز ان يتغير التعريف باختلاف الزمان والمكان . فليست المعاني التاموسية بالحقائق الثابتة ثباتا مطلقا كجدول الضرب في الحساب^(٩٣) .

(٩١) المنطق الوضعي - زكي نجيب محمود - : ١٢٨/١

(٩٢) نفسه : ١٣٥/١ - ١٣٦

(٩٣) نفسه : ١٢٨/١ - ١٢٩

يتضح لنا من هذا كله ان اصحاب المنطق الوضعي كانوا اكثر دقة من غيرهم في النظر الى هذا التعريف وفي فهم وادراك فكرة الترادف التي يقوم عليها . فقد اقبلوا كثيرا من حقيقتها عندما ربطوا هذه الظاهرة بتغير المعنى ولاحظوا فيها الجانب التاريخي . كما انهم قد عولوا في ذلك على الاستعمال ، وجعلوا صحة الترادف في الالفاظ هو الواقع اللغوي لا غير ، ومقياس الصواب او الضلأ هو الناس انفسهم وكيف يتفاهمون .

وبالاضافة الى هذا قالوا بضرورة تحقق التطابق التام في دلالة المترادفين ليكون التعريف صحيحا ودقيقا ، وهو ما عبروا عنه بالذاتية والتساوي . وخلاصة هذا ان يكون هناك بين المترادفين تطابق ذاتي في المعنى يجعل الواحد منهما مساويا في الاستعمال للاخر ، بحيث لو استعملنا الواحد مكان الاخر ، كنا كأننا استعملنا الكلمة نفسها مكان نفسها . وهذا ما اكده وبينه « مل » في شرحه لعلاقة الذاتية في الالفاظ والمبارات التي عنوا بها اتفاق المترادفين في المعنى او تساوي المبارتين . وقد رمزوا لها في المنطق الرياضي بهذه العلامة (=) . كذلك وردت هذه الفكرة فيما يسمى عندهم احيانا بقانون « لينتز » الذي هو في الواقع معيار او قانون لاثبات صحة الترادف في الالفاظ والمبارات من الوجهة المنطقية الرياضية . فمما يترتب على مؤدى هذا القانون الاتفاق التام في معنى الكلمات والمبارات المترادفة بحيث نعدّها كالكلمة الواحدة او العبارة الواحدة ، فاذا ثبت لنا ذلك جاز لنا ان نضع المرادف مكان مرادفه في اي موضع ورد من السياق^(٩٤) . وعندما طبق الوضعيون المنطق الرياضي على اللغة بدت لهم مسألة الترادف قضية تكرارية ، فهي لا تضيف الى علمنا شيئا جديدا لانها في حقيقة الامر تكرار للشئ نفسه او للمعنى الواحد نفسه ، في صورة لفظية اخرى . فقولنا الليث والاسد بمعنى واحد هو من قبيل الاتفاق على استعمال رمزين بمعنى واحد وذلك كقولنا (١٠=٤+٦) . فلا فرق بين ان تقول ان عندي « ٤+٦ » من

(٩٤) نفسه : ١٥٥/١ - ١٥٧

التروش وان تقول ان عندي «١٠» قروش . وكذلك في نظرهم القول : القاهرة = عاصمة جمهورية مصر العربية . اسنان مختلفان لمسمى واحد ، ولذا فيما مترادفان وتستطيع ان تضع الواحد مكان الاخر حيثما وجبته . فبي شيعة بالقضية الرياضية نحو $2+2=4$ (٩٥) . وهكذا يرون ان استعمال الالفاظ بمعنى واحد هو كاستعمال الرموز بمعنى واحد . ولهذا كانت القضية في نظرهم تحليلية يقينية ، لا تؤيدها التجربة الحية ولا تنفيها ، فليس في وسع التجربة الحية ان تدحض القضية التكرارية ، لانها لا تقصد ان تصور شيئا منا يقع في تلك التجربة . بل هي تسجيل لاتفاق تواضع عليه الناس من حيث معاني الالفاظ والرموز التي يستعملونها . كما ان صدق القضية التكرارية لا يتوقف على طبيعة العالم الخارجي . وكذلك لا يتوقف على طبيعة عقولنا . اذ يجوز لنا ان نستعمل اوضاعا لغوية اخرى ، غير هذه الاوضاع التي اتخذناها (٩٦) .

وإذا كان بعض المناطقة يرى ان هذا النوع من التعريفات - التعريف اللغوي - القائم على اساس فكرة الترادف ، هو من اكثر التعريفات استعمالا في اللغة الاعتيادية ، وانه ليست له قيمة منطقية (٩٧) . فان الرضعيين قد ذهبوا الى خلاف هذا تماما ، بل كادوا يقضرون التعريف على هذا النوع فقط ، ويفهمونه على هذا الاساس . فما التعريف في نظرهم الا ان ثبت صحة الترادف بين لفظتين او عبارتين ، وما تشير ان اليه من حقائق الواقع . ولذا عنوا بفكرة الترادف في الالفاظ ، معتبرين اياها حقيقة مبهمة جدا من الناحية المنطقية ، لانها تلخص التعريف في صميمه (٩٨) . ان السبب في خلافهم هذا بسبب الاختلاف في فلسفة التعريف ما لا مجال لذكره هنا .

(٩٥) المنطق الوضعي : ٤٢/١ و ١١١

(٩٦) Ayer, A.J. Language, Truth and Logic, p. 114. عن المنطق

الوضعي : ٤٢/١

(٩٧) المنطق السوري منذ ارسطو وتطوره المعاصر على سامي الشارح ص ١٥٠
ثم انظر المنطق - الشيخ محمد رضا المظفر : ٩٠/١

(٩٨) المنطق الوضعي - د . زكي نجيب محمود : ١٥٧/١

الترادف عند المحدثين :

لست ابغى هنا ان اعرض لمواقف الدارسين المحدثين من موضوع الترادف وبيان ارائهم في تفسيره ووقوعه ؛ بل اروم التعرف على فكرة الترادف كما يراها المحدثون من علماء اللغات . فقد سبق ان تعرفنا هذه الفكرة وجلوينا معالمها وبينا مفهومها لدى قدامى اللغويين وغيرهم من أهل الفقه والاصول والمنطق ؛ ولا بد من الوقوف على النظرة اللغوية الحديثة بغية الوصول الى مفهوم الترادف الدقيق ؛ الذي يمكن ان نبتدى به في البحث . وقد ثبت لنا ان عدم معرفة الترادف على وجه الدقة والتحديد ؛ وعدم الاهتمام الى مفهومه الحقيقي ؛ كان وما زال سببا مهما من اسباب الخلط والاضطراب في النظر الى هذه الظاهرة اللغوية عند اغلب الدارسين .

ان نظرة المحدثين الى الترادف تختلف عن نظرة القدامى اليه ؛ وهذه نقطة مهمة تبيين منها مدى اختلاف هذه الفكرة وتطورها عند هؤلاء عما كانت عليه عند اولئك ؛ ثم تلسس ما يترتب على ذلك من نتائج جديدة . فلا شك ان العلوم اللغوية الحديثة قد قطعت شوطا بعيدا في مجال الكشف والبحث ؛ وقد حدث تطور كبير في الدرس اللغوي بما توصل اليه علم اللغة الحديث من حقائق ومعلومات ولاسيما في موضوعات الاصوات واللهجات وعلم الدلالة . وبهذا تهيأ للباحث اللغوي الحديث كثير من الادوات والوسائل والعلوم التي لم تكن في وسع القدامى . فكانت حصيللة هذا كله ان نظر المحدثون الى الترادف نظرة اخرى ؛ تتصف بالدقة والموضوعية قياسا الى النظرة اللغوية القديمة التي نجد فيها كثيرا من السعة والشمول ونلاحظ فيها عدة مآخذ .

ان نظرة المحدثين الى الترادف تتسل في تلك الشروط اللغوية التي وضعوها ورأوا أنه لا بد من تحققها حتى يمكن القول بالترادف في الالفاظ ؛

وبغيرها لا يمكن ذلك ، وهذه الشروط تلخص فيما يأتي^(١١) :

١ - الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما ، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة من افراد البيئة الواحدة . ويكتفي اللغوي الحديث بالفهم الاعتيادي لتوسطي الناس حين النظر الى مثل هذه الكلمات ، فاذا تبين لنا بدليل قوي ان العربي كان حقا يفهم من كلمة « جلس » شيئا لا يستفده من كلمة « قعد » قلنا حينئذ انه ليس بينهما ترادف .

٢ - الاتحاد في البيئة اللغوية ، اي ان تنتمي الكلمتان الى لهجة واحدة او مجموعة منسجمة من اللهجات . وعلى هذا يجب الا نلتص الترادف من لهجات العرب المتباينة والمتباعدة من نحو لغة أهل اليمن القديمة ولغة أهل الحجاز . فالترادف بمعناه الدقيق هو ان يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة ، الحرية في استعمال كلمتين او اكثر في معنى واحد ، يختار هذه حيناً ويختار تلك حيناً آخر ، وفي كلتا الحالين يكاد لا يشعر بفرق بينهما الا بقدر ما يسمح به مجال القول .

٣ - الاتحاد في العصر : ينظر المحدثون الى المترادفات على انها واقعة في عهد خاص وزمن معين ، ويعبرون عن هذه النظرة بكلمة Synchronic اي (الوصفية) ، وليس على اساس النظرة التاريخية Diachronic التي تتبع الكلمات المتصلة في عصور مختلفة ثم تتخذ منها مترادفات . فاذا بحثنا عن الترادف يجب الا نلتصه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع الى العهود المسيحية مثلا .

٤ - الا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الاخر ، كما في

(١١) في اللهجات العربية : ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ونفسول في فقه العربية د . رمضان عبدالنواب : ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، وقد اشار الى بعض هذه الشروط ايضا فنديرس في كتابه اللغة ، الصفحات : ٢٤٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ . وانظر :

The Principles of Semantics, by Stephen Ullmann, p.

« الجئل والجئل » بمعنى النسل . حيث يسكن ان تعد احدى الكلمتين اصلا والآخرى تطورا لها . فالجئل والجئل ليستا في الحقيقة الا كلمة واحدة . ولهذا اخرج المحدثون من الترادف كل الكلمات التي حدث فيها تطور صوتي وسارت تنطق بعدة صور ، وعدوها مترادفات وهمية .

وخلاصة القول ان المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في المعنى حسب ، انا يرون ايضا ان مقياس الترادف في الفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون اي تغيير في المعنى ، وقد جعلوا من هذا مقياسا للتحقق من الترادف في الالفاظ ، وهذا هو المنهزم الدقيق للترادف في فقه اللغة المعاصر (١٠٠) .

يتضح لنا من هذا الفرق بين فهم المحدثين للترادف بهذه الشروط وبين نظرية القدامى اليه . ولو اوزنا بين النظرتين لظهر لنا بوضوح اسراف معظم القدامى وغلوهم في القول بترادف الكثير من الالفاظ بسبب اغفالهم هذه الضوابط اللغوية التي قيد بها المحدثون فكرة الترادف . فقد كانت هذه الفكرة تتسع عندهم لكثير من الالفاظ الى الحد الذي سحوا فيه لمئات الكلمات بأن ترادف على المعنى الواحد احيانا . بل انهم قد تسامحوا في هذه الفكرة حتى شملت كثيرا من الكلمات المتقاربة في المعنى واسماء الشيء الواحد ذات الاعتبار المتباينة في الدلالة عليه . كما توهسوا الترادف في الصور اللغوية المختلفة للكلمة الواحدة بسبب العوامل الصوتية . وتصارى القول انهم قد عدوا كثيرا من الالفاظ مترادفة على الرغم من محاولتهم تحديد مفهوم الترادف ، ووضعهم لشروط تحققه في اللغة . وقد ادت هذه النظرة المتساهلة

The principles of Semantics, p. 108.

(١٠٠) انظر :

Semantics an introduction to the science of meaning, p.

141 — 143.

Philosophy of language, by William P. Alston, p. 44.

الى كثرة الترادف في العربية والمبالغة فيه الامر الذي اثار استغراب باحثين
واستكار اخرين له .

على اننا اذا نظرنا الى المترادفات في ضوء شروط المحدثين هذه وطبقناها
عليها ، فسوف نخرج كثيرا منها ونستبعد تلك الاعداد الهائلة من الالفاظ التي
زعم انها مترادفة . ولهذا نرى ان شروط المحدثين في جوهرها انما هي حد
لكثرة الترادف والعلو فيه حتى صارت المترادفات بقدر مقبول ، وكأنهم قد
ادركوا الاضطراب والخلط في هذه المسألة التي تمثلت في جمع المترادفات بجا
لتلك النظرة المنهجية الخاطئة التي جرى عليها القدامى . ولكننا لا نبخس
القدامى حقهم ولا نشكر فضلهم في هذا ، اذ لا نعدم احيانا ان نجد منهم من
فطن الى بعض هذه الشروط و اشار اليها على وجه من الوجوه . فقد كان حزقة
الاصفهانى ينكر الترادف في اللهجة الواحدة ويعترف به في لهجتين مختلفتين .
وهذه وجهة نظر سليمة تتجه الى ما يتجه اليه المحدثون في ظرتهم الى الترادف
كما يرى ذلك الدكتور ابراهيم أنيس الذي اعجب بهذا الرأي^(١٠١) . وعندنا
أن ابن جنى قد اقترب كثيرا من المفهوم الحديث للترادف ايضا ، وذلك في
قوله :

« واذا كثر على المعنى الواحد الفاظ مختلفة فسمعت في لغة انسان واحد ،
فان اخرى ذلك ان يكون قد افاد اكثرها او طرفا منها . . »^(١٠٢) فهذا القول
يكاد يتفق مع نظرة المحدثين الى الترادف ولا سيما قوله « فسمعت في لغة
انسان واحد » . ولا تنسى قولهم باتفاق المعنى في المترادفات وضرورة دلالتها
على المسى الواحد باعتبار واحد كما رأينا ذلك آتيا لدى الكثير من علماء اللغة
والاصول والمنطق في تعريفهم للترادف وخدمهم له . نستنتج من هذا ان شروط
المحدثين ليست جديدة كلها ولعل الجديد منها شرطان هما : الاتحاد في العصر ،
والا يكون احد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر . وعلى اية حال إن

(١٠١) في اللهجات العربية : ص ١٦٢ ، ١٦٦

(١٠٢) الخصائص : ٢٧٣/١

هذه الضوابط اللغوية مجتمعة هي التي تمثل نظرة الجمهور من المحدثين الى الترادف وفهمهم له .

غير ان هذا لا يعني ان جميع المحدثين متفقون على هذه النظرية الى الترادف ، كما ظن بعضهم ؛ اذ نجد منهم من يذهب الى خلاف هذه النظرية . فالدكتور محمود فهمي حجازي مثلا يرى ان المعنى الحديث للترادف انما هو في الالفاظ ذات الدلالات المتقاربة ، وليس في اتفاق المعاني (١٠٣) . وواضح ان هذه النظرية بخلاف ما يراه كثير من المحدثين . وقد عرف باحثون اجاب الترادف فذكروا انه : (الفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في اي سياق) (١٠٤) . او انه في الحقيقة يعني دلالة كلمتين على معنى واحد في اللغة الواحدة . على حين جعله بعضهم ضربين : الترادف التام (Complete Synonyms) وهو ان تتفق الالفاظ في المعنى اتفاقا تاما بحيث يمكن استبدال الواحد بالآخرى . واما النوع الثاني فهو الترادف الجزئي (Partial Synonyms) وهو ان تتقارب الالفاظ في دلالتها على الشيء الواحد (١٠٥) . ومن اللغويين الاجاب من قسم الترادف تقريبا قريبا من هذا اذ ذكر ان الكلمات التي

(١٠٣) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص ٩٧ - ٩٨ .

(١٠٤) دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان : ص ٩٧ .

(١٠٥) ينظر :

A comprehensive English Grammar for Foreign students,
by C.E. Eckersley, M.A. and J.M. Eckersley, M.A.,
p. 428.

The meaning of meaning, by C.K. Ogden and I.A. Richards,
p. 126.

The Shorter Oxford English Dictionary on Historical
principles, prepared by William Little, H.W. Fowler,
J. Coulson, p. 2113.

Webster's New International Dictionary of the English
language, by William Allan Nellson, Thomas A. Knott,
and Paul W. Carhart, Vol. 2, p. 2560.

دور الكلمة في اللغة : ٩٧ - ٩٨

يمكن ان توصف بانها مترادفة هي تلك التي يمكن ان تجل احداها محل الأخرى أو تنوب عنها في أي نص لغوي دون أقل تغيير في المعنى الفكري والمضمون العاطفي (الانفعالي) لها . وان التطبيق الكلي لهذين المقياسين يعطينا تقسيما ثلاثيا لانواع الترادف :

١ - المرادف التام او الصرف (Pure synonyms) : وهو يمتد زمانا ومكانا وقابل للمبادلة في القيمة العقلية والتأثيرية .

٢ - شبه المرادف (Pseudo - Synonyms or homoionyms)

أ - الشامل او المتطابق في الحدود والقابل للإبدال في نص لغوي بعينه ولا يجوز ذلك في غيره ، نحو : يقفز ويشب ، ويساعد ويعين ويسعف .

ب - الشامل أو المتطابق في الحدود والقابل للإبدال من الوجهة الفكرية ، لا الناحية الوجدانية ، ومثال ذلك : الحرية والعتق ، ويخفى ويخبيء . فالنوعان من شبه المترادفات يتداخلان او يتطابقان جزئيا ، لان الاختلاف في العناصر الحية العاطفية غالبا ما يولد معه فرقا ما في الملامح الفكرية ايضا ، ومثال هذا : ملكي وفهمي (ممتاز) ، ويقرأ ويطلع (١٠٦) .

ويبدو واضحا ان هذا التقسيم للترادف لا يقتصر على النظر الى الالفاظ تبعا لدلالاتها اللغوية العامة ، بل يأخذ بنظر الاعتبار التأثيرات الوجدانية لها ، وما توحي به من خواطر ومعان اضافة اخرى . والذي يعنينا من هذه التقسيمات هو الترادف التام الذي يمثل المفهوم الحقيقي للترادف في اللغة ، وهو ما تعارف عليه المحققون من علماء اللغة قدامى ومحدثين . واما النوع الثاني اعني الترادف الجزئي فلا يمثل مفهوم الترادف الدقيق . ولعل هذا النوع هو الذي عناه الدكتور حجازي برأيه السالف الذكر وعده المعنى الحديث للترادف فعمه ولم يشر الى غيره . فليس من الصواب ان يكون الترادف في تقارب المعاني ، ذلك اننا نجد المنكرين له من القدامى والمحدثين يحتجون

بالتفروق الدقيقة بين الالفاظ على انكار الترادف ؛ ذاهبين الى ان هذه الالفاظ ليست متفقة في المعنى تماما ، وانما هي متقاربة لا اكثر . ان مسألة الاتفاق في المعنى كانت - وما تزال - من اهم الاعتبارات التي ينبغي تحقيقها في الالفاظ المترادفة وان عدم الاتفاق التام في المعنى يعني انكارا للترادف عند الباحثين . ولا ادل على ذلك من ان المحدثين لا يشترطون الاتفاق التام في معاني المترادفات حسب ، بل يرون ضرورة استبدال الواحدة بالآخرى دون اي تغيير في المعنى . وهذا هو مقياس الترادف الحقيقي في فقه اللغة المعاصر كما اسلفنا . وهو ما ذكره ستيفن اولمان (Stephen Ullmann) وماكولسي (Macaulay) (١٠٧) ووليم السن (William P. Alston) (١٠٨) وغيرهم ، وسوءه بمبدأ الاستماعة او الاستبدال وجعلوه افضل سبيل للتحقق من الترادف في الفاظ اللغة .

ومن اجل هذا كان الضرب الاول هو ما نعتده اساسا للقول بالترادف ، واما الضرب الثاني فليس من الترادف الحقيقي في شيء ، اذ لا خلاف في الالفاظ المتقاربة في المعنى على ان هناك علاقة وثيقة بين حدوث الترادف التام والالفاظ المتقاربة في المعنى ، فقد تصير هذه مترادفات تامة نتيجة التطور الدلالي وقد يحدث العكس من هذا . وسوف نسط القول في هذا في الفصل القادم .

وإذا كان بعض المحدثين وجهات نظر مختلفة في الترادف ، فمشة آخرون لم يدركوا هذه الفكرة قط ، ولم يفهموا لها معنى محددًا بأية حال . وذلك ما نجد عند طائفة من الباحثين الذين راحوا يصنفون المعجمات في الترادف على غير هدى ، خالطين بين الترادف في المفردات وبين الجمل والعبارات ، والتوارد والتجانس في المعاني ، ولم يميزوا الترادف الحقيقي من التطور الصوتي للالفاظ ، كما خلطوا بينه وبين الاشتراك اللفظي والمجاز والكناية ؛

Semantics an introduction to the science of meaning, p. 143. (١٠٧)

The principles of semantics, p. 108.

ودور الكلمة في اللغة - ستيفن اولمان : ص ٩٧

Philosophy of Language p. 441.

(١٠٨)

خطا عجيبا يثير الدهشة والاستغراب . غير آبهين بتعريفات القدامى ولا مكرئين بشروط المحدثين وتقسيماتهم للوضوع ؛ ولا ملزمين أنفسهم بأي قيد او اعتبار ، فكانوا يتهجم هذا كحاطب ليل . وسوف نتناول هذا بالتفصيل في الفصل الخاص بكثرة الترادف .

نخلص من هذا كله الى ان الترادف هو كما قرر القدامى : تلك الالفاظ المختلفة التي تدل على معنى واحد على سبيل الاشراد . بيد اننا نختلف معهم في تقيدهم الترادف بالوضع ، ذلك انه من الصعب ان نقف على حقيقة الالفاظ تبعا لمعانيها الوضعية في اللغة ؛ فالوضع الاصلي امر مجهول لدينا لا سبيل الى الوصول اليه والتطع به؛ لتعلقه بالتاريخ اللغوي الحيق واوليات اللغة التي يكتبها العوض . واما اشتراطهم في دلالة المترادفات على المسى الواحد ان تكون حقيقة لا مجازا ؛ فامر ليس له صفة الثبات في الالفاظ لاختلاط الحقيقة بالمجاز وتداخلها كثيرا في اللغة . فقد تصير الحقيقة مجازا والمجاز حقيقة ؛ وليس لدينا مقياس ثابت لتحديد ذلك ؛ وانا الامر مرده الى الحس اللغوي العام . ولما كانت مآلة الحقيقة والمجاز متغيرة ولا يمكن ان نلتس الترادف في الفاظ اللغة بمقتضى الوضع الاصلي فلا بد اذن ان ننظر الى الترادف تبعا للاستعمال ، معولين على الواقع اللغوي ؛ ومهتدين في نظرنا اليه بما قرره المحدثون من شروط واعتبارات وجيبة في تحققه ؛ وان كنا نجد صعوبة كبيرة في تحقق هذه الشروط في المترادفات في العربية لافتقارنا الى المعجم اللغوي التاريخي الذي يقيد استعمال الالفاظ بالزمان والمكان المعينين ويعنى بتطورها الصوتي والدلالي . وعلى هذا فلا مناص من التعويل على واقع الاستعمال اللغوي مقياسا للترادف ؛ فاذا كان الناس يتعملون الفاظا مختلفة بمعنى واحد ؛ من غير ان يشعروا بفرق بينها ؛ بحيث يمكنهم ان يتبدلوا كلمة باخرى فلا يتغير المعنى المقصود ؛ قلنا حينئذ ان هذه الالفاظ مترادفة .

ومن اجل هذا ينبغي لنا ان نتبعد من البحث تلك الجبل والعبارات التي تواردت في الدلالة على معنى واحد ؛ وكذا الالفاظ المتقاربة في المعنى

خلافاً لمن قال بترادفها • يضاف الى ذلك امراح كل الصيغ المختلفة والصور
اللغوية المتعددة للكلمة الواحدة ؛ سواء ما نشأ منها بسبب العوامل الصوتية
ام بسبب غيرها من العوامل كالتصحيف والتحريف والخطأ في السمع وغيوب
النطق •

وبعد ان عرضنا لمفهوم الترادف وتاريخه وتطوره وما تبع ذلك من تحديد
له ، يجدر بنا ان نبحث في تفسير حدوثه ؛ وهذا ما سنتناوله بالدرس في
النصل الاتي •

الفصل الثاني

تفسير حدود الزانية

سوف نتناول في هذا البحث دراسة اسباب وقوع الترادف في اللغة ، وما يتعل بذلك من عوامل مختلفة ، بغية الوصول الى الحقيقة اللغوية لحدوث هذه الظاهرة ، وما يترتب عليها من النظر الى مسألة الخلاف الطويل حولها من حيث الجواز والانكار .

ولعل من المفيد هنا ان نشير بايجاز الى تفسيرات القدامى والمحدثين قبل ان ناتي الى ذكر الاسباب مفصلة . فلقد اختلف اللغويين العرب في تفسير الترادف وتعددت مذاهبهم في النظر الى اسباب وقوعه في اللغة . واول ما يلاحظ على القدامى اهتمامهم البالغ بجمع الالفاظ المترادفة وتدوينها ، حتى اصبح هذا غرضنا لهم في الغالب يتسابقون اليه ويتفاخرون به . وقد كادوا يقتصرون على هذا النحى في معظم الاحوال ، فשלطهم ذلك عن النظر في المسائل المتعلقة بنشأة الترادف وكيفية حدوثه وتعليل اسبابه .

وهذه مصنفااتهم في الترادف التي وصلت اليها تكاد تغلو من التحليل والتفسير الا ما قل ونذر .

نعم ، لقد اشار بعضهم في احيان قليلة الى بعض اسبابه ، فذكروا اختلاف لغات القبائل في حدوثه ، واثاروا بصورة غير مباشرة الى المعرب والدخيل ، وقد كادوا يتقنون عند السبب الاول . وهذا يعني ان معظم القدامى كانوا يفسرون حدوث الترادف بتعدد الوضع . ويصح هذا حقا في تفسير القليل من الترادف ، ولا يصدق على الكثرة منه كما سيتضح لنا ذلك فقد تحقق عندنا ان ليس بالامكان تفسير الترادف بتعدد الوضع وتداخل اللغات المختلفة - ما عدا القلة منه - كما ذهب الى ذلك ابن جني وغالبية القدامى .

وفيسا يتعلق بالمعرب والدخيل : فانهم - في الواقع - لم ينصوا عليه حراحة
كما في البب الاول ، ولكن هذا استفاد ضمنا من اشاراتهم احيانا الى بعض
الالفاظ المترادفة بانها معربة او دخيلة . وهذا البب لا يصح ايضا الا في بضع
كلمات بالنسبة الى مترادفات الشيء الواحد كما ستبين .

وقد جعل بعضهم من اسبابه تكثير طرق الاخبار عما في النفس ، فقد
ينسى احد اللفظين ، او يصعب لفظه ، فيلجأ الى الاخر تسهيلا وتخفيًا . وعدوا
من اسبابه التوسع في طرق الفصاحة والحاجة اليه في الشعر وخروب البديع ،
ومن اجل تكثير وسائل التعمير والتفنن في الكلام ، ويان الخفي والمجهول
وشرح المهم وما الى ذلك^(١) . وهذه امور اشد تعلقا بفوائد الترادف منها
باسباب وقوعه .

ونجد من هذه الآراء ما يكاد يكون تفسيراً غيبياً له ، ومن ذلك ما صرح
به ابن حزم وهو يتحدث عن لغة آدم : (ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة
الاسماء على المسيات ، ثم صارت لغات كثيرة اذ توزعها بنوه بعد ذلك ،
وهذا هو الاظهر عندنا والاقرب)^(٢) . ويبدو لنا ان هذه التفسيرات لا تمت
بصلة الى الاسباب اللغوية لحدوث الترادف فضلا عما فيها من التحمل
والتكلف .

واما المحدثون فقد كانوا اكثر تنصيلا ودقة في تفسيرهم للترادف من اسلافهم
القدامى ، نتيجة تطور البحث اللغوي واكتشاف الكثير من الحقائق اللغوية المهمة
وخاصة في علم الدلالة والاصوات ، الا اننا مع ذلك نجد مواقفهم متباينة
في تفسيره . فالكثرة منهم قد تابعوا القدامى في القول باختلاف لغات القبائل
واكدوا هذا البب كثيرا ، ومنهم من رفضه وانكره تماما . ومنهم من كاد
يفسره بالمعرب والدخيل حسب ، فانكر بعضهم ذلك ايضا . في حين نسبة

(١) الزهر : ٤٠٥/١

(٢) الاحكام في اصول الاحكام : ٣١/١

آخرون الى عبث الرواة والخلق والخطأ وغير ذلك ، وثمة طائفة منهم اشارت الى تطور المعنى في حدوده بالاضافة الى الاسباب الاخرى ، فكانوا بهذا اكثر صوابا واتساعا من غيرهم^(٢) .

ونرى قصورا في هذه الاسباب والمسوغات التي ذكروها في تفسير الترادف اذ لا يمكن ان تطبق عليه بصورة شاملة . فهي تفاسير جزئية مبتورة وان كنا لا نرتاب في سحتها . كما اننا نرى ان معظم الذين عرضوا التفسير هذه الظاهرة قد جانبوا الصواب في تلمس الاسباب الحقيقة لها بحسب طبيعتها واهيتها ، فنسأل في سبب بعينه ، ومن مغفل لسبب ، ومنكر لآخر . واهم ما يلاحظ فيها ذلك الخلط بين اسباب الترادف الحقيقي وبين اسباب كثرته . ان هذا يدل على مبلغ خيرة الباحثين ازاء تفسير هذه الظاهرة ، وعلى مدى خلطهم واضطرابهم فيها ، ما حدا ببعضهم الى انكار الترادف ورفضه بسبب قصور هذه العوامل ، ولانها غير مقبولة او غير معقولة ، ولاسباب اخرى راوها هم .

ولاضطراب هذه الآراء وتناقضها احيانا ، وقصورها وبعدها عن التفكير اللغوي في احيان اخرى ، رأينا من الصواب ان نعرض عن هذا بادى الامر والا تساق وراء كل ما ذكره . فمن الافضل ان تتجه الى دراسة الترادفات ذاتها نستخرج منها الاسباب لعلنا نظفر بالتفسير الصحيح لحدوث الترادف في اللغة . وفي ضوء هذه الدراسة نستطيع بعدئذ ان نميز الفث من السمين ، والخطأ من الصواب فيما قيل بشأنه .

ان هذا السبيل هو الاسلم لمعرفة حدوث الترادف وفهم نشأته ، بعيدا عن الاجتهادات العقلية والافتراضات المنطقية وكل التفسيرات غير اللغوية . وسبيلنا الى هذا ، هو تحليل الالفاظ المترادفة وتتبع استعمالاتها وتطورها الدلالي ، بشتى السبل الممكنة على الرغم مما نجده في هذه المنهج من صعوبة

(٢) لم نثبت المصادر هنا لاننا سوف نذكرها في هذا الفصل كلا في مكانه المناسب .

بالغة ومشتقة كبيرة ، ومن تنص في المظان والمصادر التي لا تنفي بهذه الحاجة
ايضاء كاملا ، ولا تلبي متطلبات هذه الدراسة الا بمر واقتضاب .

وبعد ، فان استقراء المترادفات والبحث فيها يليان علينا تفسيرات تنشل
في جملة اسباب سنفصل القول فيها دون ان نفترض سببا ثم نأتي ونلتس له
الشاهد والحجة ، وسرى اهية كل سبب واثره في موضعه من هذا البحث .

أثر التطور الدلالي في حدوث الترادف

لعل من نافلة القول هنا ان نعرض لموضوع التطور الدلالي في الالفاظ ،
فذلك ما تناوله الباحثون وفصلوا القول فيه وفرغوا من اثباته وبيان سبله .
وقد اصبحت هذه المسألة - كما قررها علماء اللغات المحدثون - حقيقة لغوية
لا يختلف فيها اثنان . وقد سبق لنا ان بينا في التمهيد مفهوم هذا التطور وبرز
اسبابه ، وذكرنا اهم وجوهه وملامحه المثثلة في تعميم الخاص وتخصيص
العام وفي انتقال مجال الدلالة وتغيرها ، وغير ذلك من مظاهر تطور الدلالة
وسبله الكثيرة التي شرحها الدارسون .

ويمكننا ان نقرر حدوث الترادف في كثير من الالفاظ بسبب التطور
الدلالي الذي يحدث للالفاظ في اطوار حياتها . ذلك ان ظاهرة الترادف في
جوهرها مسألة دلالية قبل كل شيء ، وهي غالبا ما تكون نتيجة التطور في
دلالة الالفاظ فهي تؤلف موضوعا لغويا تاريخيا من حيث علم الدلالة التاريخية .
وبهذا التفسير يمكن ان نرد كثيرا من المترادفات الى هذه الحقيقة في التطور
والاستعمال . وهنا تبرز الحاجة الى ضرورة تتبع استعمال الالفاظ لمعرفة
تطورها الدلالي الذي جعلها مترادفة ، مع الاخذ بالحسبان تفاوت الزمان
والمكان والبيئة في مثل هذا التطور .

ومن اجل ذلك سنجد كثيرا من الفاظ اللغة قد ترادفت بسبب التطور ،
ولا سيما الالفاظ المتقاربة في المعنى ، والالفاظ التي تدل على معان كلية او
عامة ، والالفاظ التي تدل على معنى خاص او جزئي . وقد تصبح مثل هذه

الالفاظ مترادفة نتيجة تطورها الدلالي . اذ كثيرا ما يحدث ان يتخصص العام او ان يعمم الخاص ، او ان يتغير مجال الدلالة ، بفعل الاستعمال اللغوي ، فيختفي ذلك التباين بالتدرج ، ثم تصبح دالة على معنى واحد ، بمرور الزمن . وهكذا يحدث الترادف في مثل هذه الالفاظ بسبب تطور الدلالة فيها ضيقا واتساعا وتغير مجالها من محيط الى آخر . حتى ان احد المحدثين قد نظر الى الكلمات التي تشترك معانيها في بعض الاجزاء وتختلف في بعضها الآخر فتشبهها بدوائر متحدة المركز مختلفة في جزء من سطوحها ، او مشتركة في جزء من السطح فقط . فاذا مر عليها زمن طويل ، ودعت عوامل تغير المعاني الى ان تنطبق الدوائر بعضها على بعض ، صارت تلك الكلمات مترادفة . لان المعاني لا تبقى على حال واحدة ، فقد يصبح الخاص عاما او يصبح العام خاصا^(٤) .

وما يساعد على هذا الامر ، توافر تلك الالفاظ ذات المعاني المتقاربة والمعاني العامة والخاصة للشيء الواحد . وقد عقد اصحاب اللغة لالفاظ العموم والخصوص والالفاظ المتقاربة في المعنى ابوابا جيعوا فيها الكثير من هذا القليل^(٥) كما صنف بعض العلماء في هذا الضرب من الالفاظ كابن جني في كتابه الموسوم بـ (الفصل بين الكلام الخاص والعام)^(٦) الذي عدده المستشرق « جولد تهير » من كتب المترادفات وليس من كتب لحن العامة كما ذهب الى ذلك المستشرق تورييكة^(٧) وهذا ما يدل على مدى التقارب الدلالي بين هذه الالفاظ ، حتى اصبح مدعاة للفرقة بينها لئلا تختلط وتصبح بمعنى ، او تحب كذلك . ولهذا السبب كثيرا ما نلاحظ حدوث الترادف في هذه الالفاظ

(٤) في اللهجات العربية د . ابراهيم انيس : ١٧١

(٥) انظر : فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، فصل في العموم والخصوص ٣١١ - ٣١٢ والزهر ، معرفة العام والخاص وفيه خمسة نصول : ٢٦/١ وما بعدها .

(٦) مقدمة الخصائص : ٦٦/١

(٧) لحن العامة والتطور اللغوي د . رمضان عبدالنواب : ٦٧

التقاربة في المعنى ، لانها عرضة لاحتمالات التطور الدلالي اكثر من غيرها ، ومن ثم تؤول الى معنى واحد بفعل الاستعمال . وهذا ما جعل بعض العلماء يصنفون في مثل هذه الالفاظ التي صارت مترادفة او كادت ، ويعنون بالفروق بينها . ولعل اشهر هؤلاء ابو هلال العسكري الذي صرح في مقدمة كتابه بان هذا السبب هو الذي دعاه الى القول بالفروق اللغوية بين المعاني التقاربة او التي صارت بمعنى ، فهو يقول : (ثم اني ما رأيت نوعا من العلوم وفنا من الاداب الا وقد صنف فيه كتب تجمع اطرافه وتنظم اصنافه الا الكلام في الفرق بين معانٍ تقاربت حتى اشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء ، والارادة والمشيئة ، والغضب والسخط ، والخطأ والغلط ، والكمال والتمام ، والسنة والعام)^(٨) وسوف تبين ان مجمل الفروق التي ذكرها العسكري ، انما هي في حقيقة الامر ترجع الى هذا التقارب في المعنى اصلا ، ثم شرع الناس يتعملوننا فيما بعد بمعنى واحد . فراح العسكري يبين الفروق بينها ، معمولا على معانيها الاصلية ودلالاتها القديية كما وردت عن فصحاء العرب القدامى ، وذلك خشية الاشكال والخلط فيها . ويؤكد هذا ان العسكري كثيرا ما يفرق بين هذه المعاني التقاربة ، بحسب الاصل ، ثم يذكر بعد ذلك انها استعملت بمعنى واحد ، مشيرا الى التوسع فيها ، وسوف يأتي تفصيل ذلك .

ان دراسة الالفاظ المترادفة على اساس تطور الدلالة وملاحظة استعمالها من الناحية التاريخية ، يثبت لنا ان التطور هو سبب ترادف الكثير من الالفاظ ، ولا سيما تلك الالفاظ التقاربة في المعنى التي اشرنا اليها .

ففي اللغة كثير من الامثلة التي لا تعد ولا تحصر . ومن ذلك ، ان اصل الورد هو اتيان الماء ، ثم صار اتيان كل شيء وردا^(٩) . وقد جاءت الكلمة في القرآن الكريم بهذا المعنى الاخير في قوله تعالى (... فاوردهم النار)^(١٠)

(٨) الفروق اللغوية : ٧

(٩) جوهرة اللغة لابن دريد : ٤٣٣/٢ والزهر : ٤٢٩/١

(١٠) سورة هود آية ٩٨

وفي قوله تعالى (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون) (١١) وجاءت
 ايضاً بهذا المعنى في الحديث الشريف في قوله (ص) : (من فاته من ورده شيء
 فقرأه بين صلاة التجر الى الظهر ، فكاننا قرأه في ليلته) (١٢) . وان اصل القرب
 هو طلب الماء ، ولما كثر استعماله صار يقال ذلك لكل طلب . فيقال : هو يقرب
 كذا ، اي يطلبه ، ولا تقرب كذا . وفي اللسان عن الخطابي : (تقرب اي نطلب
 والاصل فيه طلب الماء ، ومنه ليلة القرب ثم اتسع فيه فقيل : فلان يقرب
 حاجته ، اي يطلبها) (١٣) . وان العقيرة في الاصل هي الساق المقطوعة ، ثم
 قالوا : رفع عقيرته اي صوته ، وسبب ذلك ان رجلاً عقرت رجله فرفعها وصاح
 فقيل بعد لكل من رفع صوته : رفع عقيرته (١٤) . وان النجعة معناها في الاصل طلب
 الفيت وكثرة الاستعمال صار كل طلب اتجاعاً . وان المنيحة اصلها ان يعطى الرجل
 الناقة او الشاة فيشرب لبنها ، ثم صارت كل عطية منيحة ، والوعى كان يعني
 اختلاط الاصوات في الحرب ، وليس نفسها ، ثم كثر استعمال ذلك حتى
 صارت الحرب وعى وكذلك الواغية . والزاوية كانت تعني في الاصل البعير
 الذي يستقى عليه ، ثم استعملت بعد ذلك بمعنى المزايدة فصارت المزايدة زاوية (١٥) .
 والالب في اللغة كان لا يعني العطش ، وانما هو الحوم حول الماء دون القدرة
 على الوصول اليه . ثم صار فيما بعد يعني العطش نفسه . فيقال : الالب :
 العطش . وقد سجل صاحب اللسان المعنيين عن الفارسي (١٦) ، في حين
 اقتصر ابن الكيت على ذكر المعنى الاول عن الفراء (١٧) . وهذا من باب تسمية

(١١) الانبياء : آية ٩٩

(١٢) ذيل نصيح ثعلب - لعبد اللطيف البغدادي ص ٣ = ضمن فصيح ثعلب
 والشروح التي عليه .

(١٣) اللسان مادة قرب : ٦٦٧/١

(١٤) اللسان مادة عقر : ٥٩٣/٤ .

(١٥) اللسان مادة روى : ٢٤٦/١٤ - ٢٤٧

(١٦) اللسان مادة الب : ٢١٦/١

(١٧) اصلاح المنطق : ص ٩٠

الشيء بسببه ، ذلك ان سبب الحوم حول الماء هو العطش . وهو من صور التطور الدلالي على سبيل المجاز المرسل الذي علاقه السببية .

ومن الامثلة الاخرى على حدوث الترادف في الالفاظ بسبب التطور الدلالي على جهة التميم والتوسع في المعنى ان كلمة الحوة في اللغة كانت تعني شية من شيات الخيل ، وهي بين الدهمة والكتة ، وقد كثر هذا في كلامهم وتوسموا في معناها حتى سوا كل اسود احوى ، فقالوا : ليل احوى وشعر احوى . وبهذا صارت الكلمتان بمعنى .

ومن هذا القبيل ان اصل البشم في اللغة هو : التخة للبهائم خاصة ، ثم كثر حتى استعمل في الناس ايضا ، وبذلك اصبحتا الكلمتان مترادفتين نتيجة هذا التوسع في الدلالة الذي جرى على سبيل تعميم الخاص ، وهذا واحد من مظاهر التطور الدلالي في الالفاظ . ومن هذا ايضا ان كلمة الخارب في اللغة ، كانت تطلق على سارق الابل خاصة ، ثم عسوا بها حتى صارت تقال لكل من سرق بعيرا كان او غيره ، جاء في اللسان : (والخارب : سارق الابل خاصة : ثم نقل الى غيرها اتساعا . . والخارب : اللص ، ولم يخص به سارق الابل ولا غيرها ، . . . يقال : خرب فلان اي صار لصا) (١٨) وبهذا اصبحتا لفظتا الخارب والسارق مترادفتين بسبب هذا التعميم في الدلالة (١٩) . ومثل هذا كثير في اللغة .

من هذه الامثلة تبين كيف ترادفت مثل هذه الالفاظ ، فنلاحظ انها قد كانت في الاصل متباينة في المعنى ، وان كان هذا التباين قليلا ، ثم صارت تدل على معنى واحد بسبب التطور الدلالي الذي حدث فيها لكثرة الاستعمال .

(١٨) اللسان مادة خرب : ٣٤٨/١ - ٣٤٩ .

(١٩) حول هذه الامثلة جميعا انظر : جمبرة اللغة لابن ذريرد : ٤٣٣/٢ - ٤٣٤ ، والصاحبي لابن فارس : ٩٥ - ٩٦ ، والزهر : ٤٢٩/١ - ٤٣٣ اضافة الى اللسان .

ولا يخفى هنا دور المجاز في هذا التطور كما في ترادف الراوية والمزادة ، والاب والعطش ، والوغى والحرب وغير ذلك . ومعلوم ان تطور دلالة الكلمة من الخاص الى العام وبالعكس ، او على سبيل المجاز بنوعيه ، هو من اهم وجوه التطور الدلالي . وقد اشار اللغويون القدامى صراحة الى هذا النمط من التطور واعترفوا به كما رأينا في هذه الامثلة التي تصوا فيها على اتساع المعنى بسبب كثرة الاستعمال . بيد ان القدامى على الرغم من اعترافهم بالتطور ، قد قصره على حقة معينة ووقفوا به عند غصور محددة ، وذلك كما بينا في التطور الدلالي وموقف القدامى منه .

وفي ضوء ما تقدم يكن ان قصر حدوث الترادف في كثير من الالفاظ . وللتحقق من صحة هذا التشير وبيان ماله من اثر نعرض لدراسة امثلة اخرى ، فن ذلك ان (البأس) في اصل معناها كانت خاصة بالحرب ، ثم حارت تطلق على كل شدة^(٢٠) . وقد جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى (فن ينصرتنا من بأس الله ان جاءنا)^(٢١) .

وتجدر الاشارة الى ان الدكتور عبدالعزيز مطر قد علل هذا التطور بنسب الدلالة^(٢٢) : حيث اوردته السيوطي فيما ساء : (فيما وضع في الاصل خاصا ثم استعمل عاما)^(٢٣) .

ويجوز حمله على المجاز المرسل ، اذ ان العلاقة المجازية واضحة بين المدلولين وهي التي سوغت اطلاق البأس بمعنى الحرب على كل شدة وذلك لعلاقة البنية . ومنها ان (حلا) تعني الضرب بالسوط والسيف خاصة ، ثم عم به بعضهم فقال : حلاه : ضربه^(٢٤) ، ومنها ان المهن اصله الصوف الملون

(٢٠) الجمهرة ٢٠٦/٣ وانظر : الزهر : ٢١/١

(٢١) سورة غافر آية ٢٩ . وانظر في تفسيرها : الكشاف للزمخشري : ١٦٤/٤ وتفسير القرطبي : ٢١٠/١٥

(٢٢) نحن العامة في نزهة الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٢

(٢٣) الزهر : ٢٩/١ : ٢٣١

(٢٤) اللسان مادة حلا : ٥٩/١

على قول أكثر أهل اللغة ، ثم عم به فقليل لكل صوف عين (٢٥) ، والحتم أصله الخزف الأخضر ، ثم اتسع فيه فقليل للخزف كله حتم (٢٦) .

ومن ذلك أيضا أن المجد في الأصل هو : امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم قالوا : مجد فلان فهو ماجد ، إذا امتلأ كرما (٢٧) . والافس : قلة لبن الناقة ، هذا هو الأصل ، ثم قالوا : افس الرجل إذا كان ناقص العقل ، فهو افسين ومافون (٢٨) . وبهذا أصبحت من أسماء الاحق . وهنا نلاحظ في المثالين الآخرين انتقال المعنى من الدلالة المادية الى المعنوية . والكثب بمعنى القرب ، الأصل فيه رمي الصيد من كثب أي من قرب . يقال : ارم الصيد فقد اكثبك أي دنا منك واكثبك الصيد والرمي أي دنا منك . وقد كثر في كلامهم فاتسع فيه حتى صار كل قريب مكثبا ، والاسم الكثب (٢٩) .

كذلك من امثلة وقوع الترادف بسبب التعميم في الدلالة ، اطلاق اسم الورد على كل زهر ، وهو في اللغة خاص بالاحمر (٣٠) . وحول اطلاق الوردة على كل زهرة يذكر فندريس أن في اللغات السلافية الجنوبية صار اسم الوردة يطلق على الزهرة عموما ، كما في الصربية والكرواتية وبعض اللهجات الألمانية ، ثم حدث مثل هذا أيضا في بعض اللهجات الإيطالية التي صارت تطلق اسم الوردة على كل زهرة أيا كانت ، واضطرت الى أن توجد للوردة اسما جديدا (٣١) . ومنها استعمال الحفان والتولب بمعنى واحد ، حيث استعمالها الشعراء زمن ابن الكيت - ت ٢٤٤هـ - للصغار مطلقا ، والاول

(٢٥) اللسان مادة عين : ٢٩٧/١٣

(٢٦) اللسان مادة حتم : ١٦٢/١٣ والزهر ٤٢٨/١

(٢٧) الجمهرة : ٤٣٣/٣

(٢٨) الجمهرة ٤٣٣/٣ والزهر ٤٣١/١

(٢٩) الجمهرة : ٢٠٣/١ والالفاظ المترادفة ص ١٤ - ١٥ واللسان مادة كثب :

٧٠٢/١ والزهر : ٤٣٢/١

(٣٠) اللسان مادة ورد : ٤٥٦/٣

(٣١) اللغة : ٢٥٨ - ٢٥٩

في الاصل لصغار النعام والثاني لولد الاتان من الوحش اذا استكمل الحول^(٢٢) . بيد ان ابن السكيت عد هذا الاستعمال من الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها . ويمكن تفسير استعمالها مترادفين بسبب تيسيم الدلالة ، والى مثل هذا اشار محقق كتاب ابن السكيت^(٢٣) . ومنها اطلاق الاستحمام على الاغتسال سواء اكان بالماء الحار ام البارد واستعمالها بمعنى . وليس الاصل كذلك لان الاستحمام اصله الاغتسال بالحميم اي الماء الحار . ثم عود بعد ذلك فمثل كل اغتسال باي ماء كان . وقد اعترف الجوهري بهذا الاستعمال نتيجة هذا التطور الدلالي وسجله بقوله : (والحميم : الماء الحار ، والحميمية مثله ، وقد استحمت اذا اغتسلت به ، هذا هو الاصل ، ثم صار كل اغتسال استحاما ، باي ماء كان)^(٢٤) . كما ذكر ابو بكر الزبيدي^(٢٥) وابن مكى الثقفي^(٢٦) ان اهل الاندلس وصقلية يستعملون الاستحمام بمعنى الاغتسال من غير تفرقة بينهما . الا انها قد حكنا بالخطأ على هذا الاستعمال وعدها لغتا ، وذلك لتسكها بالدلالة القديمة وهي ان الاستحمام خاص بالماء الحار .

واما من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة فهو تطور دلالي قد جرى على سبيل تيسيم الدلالة^(٢٧) .

ومنها استعمال السح واللدغ والنهش بمعنى واحد . والاول للعقرب . وكل ما يضرب بذنبه ، والثاني لما يضرب بفيه ، والثالث لما يأخذ باسنائه . هذا هو الاصل ، ولكن الناس يسمون دلالة كل منها ، بحيث ترادف الواحد

(٢٢) اللسان مادة تلب : ٢٢٢/١

(٢٣) الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت : ٢٧ تحقيق د . رمضان عبدالنواب .

(٢٤) الصحاح مادة حمم : ١٩٠٥/٥

(٢٥) لحن العوام للزبيدي : ٢٥٦

(٢٦) تنقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الثقفي : ٢١٧

(٢٧) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ٢١١ ، ١٦١

منها الاخرى ولا يفرقون بينها ؛ وذلك باعتراف بعض اللغويين الذين نقوا في
لحن العامة وسجلوا هذا الاستعمال وخطاوه لانه جاء بخلاف الاصل (٢٨) .
ويسكن تفسير ترادف هذه الالفاظ بتعميم الخاص ، والى مثل هذا ذهب
الدكتور منظر (٢٩) .

ومننا ايضا استعمال العش والوكر او الوكن مترادفة . والاول ما كان
من عيدان ، والثاني لما كان نقبا في جبل او حائط . والناس في استعمالهم
زمن ابن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ - لا يفرقون بين هذه الالفاظ وذلك باعتراف
ابن الجوزي نفسه الذي خطاهم في هذا الاستعمال لانه بخلاف الاصل (٤٠) .
ويبدو ان ترادف هذه الالفاظ قديم وذلك بدلالة قول ابي عمرو - ت ١٥٤ هـ - :
(الوكر : العش ، حيشا كان) (٤١) ومثل هذا كثير من الالفاظ التي تطورت
دلالتها على وجه تعميم الخاص فصارت مترادفة في طرائق الاستعمال اللغوي
من غير مراعاة او التفات الى التباين الذي كانت عليه . ولا يصح هنا الموقف
المتزمت لبعض اللغويين الذين اتركوا هذا التطور وعدوه لحنا ، نتيجة
محافظةهم الشديدة على الدلالة القديمة للكلمة . وهو موقف تدحضه
الدراسات اللغوية الحديثة التي تناولت ظاهرة لحن العامة ؛ لتعارضه مع
مفهوم التطور اللغوي عامة ومبادئ علم الدلالة الحديث خاصة . ولهذا
استهدنا به في اثبات هذا التطور من ناحية ، ولتعزير تفسيرنا لحدوث
الترادف في ضوء التطور الدلالي من ناحية اخرى . وسوف نمر علينا امثلة
اخرى في سياق هذا البحث .

وثمة ضرب من التطور الدلالي يجرى على عكس ما سبق ، وذلك بان

-
- (٢٨) تقويم اللسان لابن الجوزي : ١٧٩ ودرة الفواص للحريزي : ١٠٠
(٢٩) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ١٩٨
(٤٠) تقويم اللسان : ص ١٦٠
(٤١) اصلاح المنطق ص ٣٧٦ - ٣٧٧ وانظر : نقه اللغة وسر العربية للشعالبي
ص ٢٩٢ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة * ٢٨٤

تخصص الدلالة في الاستعمال بعد ان كانت عامة ، وهو ما يعبر عنه الباحثون بتخصيص العام او تضييق المعنى كما تقدم بيانه ، وهذا النوع من التطور يؤدي الى حدوث الترادف في الالفاظ ايضا . وامثلة ذلك : تخصيص الغم باسم الضأن واستعمالها بمعنى والغم في الاصل اسم عام يقع على الضأن والمعز جميعا ، ولكن الاستعمال قصره بعد ذلك على الضأن خاصة . يقول ابن مكي الصقلي : (ومن ذلك الغم : لا يعرفونها الا الضأن خاصة ، دون المعز ، وليس كذلك ، انا الغم اسم للضأن والمعز جميعا^(٤٢)) . ومثله استعمال البعير مرادفا للجل . والبعير يطلق على الجمل وعلى الناقة ، ثم خصوا به الجمل . وقد سجل هذه الاستعمالات ابن مكي الصقلي كما يجري بها الاستعمال فعلا ، بيد انه عددها لحنا بحجة انها بخلاف الاصل ، ووضعها في باب (ما جاء لشيئين او لاشياء فقصرود على واحد)^(٤٣) وما حقيقة هذه الا تطور دلالي تدرجي على جهة تخصيص العام ، وتخصيص العام ليس غلطا ، يعزز هذا ما ذهب اليه الدكتور مطر^(٤٤) . ومن ذلك تخصيص دلالة الدبر والجحر بالاست وحدها واستعمالها مترادفة . يقول الجواليقي حول استعمال هذه الالفاظ بمعنى واحد : (ومن ذلك الدبر تذهب العامة الى انه الاست خاصة ، وليس كذلك ، دبر كل شيء ، خلاف قبله . . وكذلك يجعلون الجحر اسما لها - أي للاست - خاصة ، وانا الجحر ما تحتقره في الارض الدواب ما لم يكن من عظام الخلق نحو جحر اليربوع والثعلب والارنب وشبه ذلك)^(٤٥) . وقد صوب عبداللطيف البغدادي هذا الاستعمال ووجهه توجيهها سديدا ، حيث قال في رده على الجواليقي : (قلت : هذا كله عام ، يجوز ان

(٤٢) تنقيف اللسان وتلقيح الجنان : ٢٠٩

(٤٣) المصدر السابق : ٢٠٩ - ٢١٠

(٤٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١٦١

(٤٥) تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي : ص ١٩ وانظر : التلويح في

شرح النصيح لابي سهل الهروي حيث اقتصر على ذكر الدلالة الاصلية

للجحر ص ٩٧ ضمن كتاب نصيح ثعلب والشروح التي عليه لحمد

عبدالمنعم خفاجي .

يخص : وتخصيص العام ليس غلطا (٤٦) . كذلك لم يخطئه الراغب الاصفهاني بل جعله من باب الكناية (٤٧) . وعلى هذا يجوز عندنا ايضا تفسير ترادف هذه الالفاظ على اساس المجاز الذي اصبح حقيقة بسبب كثرة الاستعمال ، وذلك لعلاقة المشابهة بين مدلولات هذه الالفاظ التي سوغت لانتقال مجال الدلالة على سبيل الاستمارة . وهذا من معالم التطور الدلالي الواضحة . ومن ذلك استعمال المثلث بمعنى الدينار لا غير . والمثلث هو : زقة الشيء ، وكل وزن يسمى مثقالا ، وليس مقصورا على وزن معين هذا باعتبار الاصل ، بيد ان الاستعمال قد قصره على الدينار وحده وجرى بهما مترادفين بشهادة ابي بكر الزبيدي (٤٨) والجواليقي (٤٩) وابن الجوزي (٥٠) . وقد ذهب هؤلاء جميعا الى تغطية هذا الاستعمال معمولين على الدلالة الاصلية ، وهذا عندهم قد جرى بخلاف ذلك . وليس الامر كما ذكروا ، لان المثلث اسم عام يشمل الدينار وغيره كما سبق ، ثم خص به الاستعمال الدينار فحسب ، وهذا ليس غلطا . وقد صوبه عبداللطيف البغدادي ايضا بقوله : (اقول : هذا ايضا عام قد خصه الاستعمال) (٥١) وهذا الرأي جدير بالاعجاب . وقد فره الدكتور مطر بتغير مجال الاستعمال وفي مكان آخر جعله من باب تخصيص العام (٥٢) . والثاني هو الاصح بالنظر الى طبيعة هذا التطور الذي بناه ، وبدلالة قول البغدادي .

(٤٦) ذيل نصيح ثعلب : ٦ - ٧ = ضمن نصيح ثعلب والشروح التي عليه ،

وانظر لحن العامة والتطور اللغوي : ٢٥٨

(٤٧) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني : ١٦٤ .

(٤٨) لحن العوام : ٢٢١ - ٢٢٢

(٤٩) تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة : ٢١

(٥٠) تقويم اللسان : ١٩٣

(٥١) ذيل نصيح ثعلب ص ٨ = ضمن نصيح ثعلب والشروح التي عليه .

(٥٢) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١١١ ، ١٩٦

ومن الالفاظ التي توافقت بسبب التطور الدلالي على هذا الوجه ،
اليقطين والقرع . اذ ان اليقطين في اللغة هو كل شجر يئسط على الارض ،
ولا يقوم على ساق كالقرع والقثاء والبطيخ ونحو ذلك^(٥٣) . الا ان الاستعمال
قد خص اليقطين بالقرع وحده دون سواء ، فاصبحت الكلمتان نتيجة هذا
التخصيص بمعنى واحد . وهذا ما يشهد به ويؤيده الواقع اللغوي كما سجل
ذلك اصحاب كتب لحن العامة ، الذين انكروا هذا التطور كعادتهم وخطاوا
الاستعمال ، لانه جرى بخلاف الاصل^(٥٤) . والغريب هنا حقا متابعة عبد
اللطيف البغدادي لهم في تخطئة هذا الاستعمال الذي سببه تخصيص العام .
اذ عده ما يضعه الناس غير موضعه ، مستهدا على ذلك بقول سعيد بن
جبير القائل : (كل شيء ينبت ثم يموت من عامه ، فهو يقطين)^(٥٥) . فسلك
مذهبا متشدا في ذلك ، وهذا لا يتفق تيماما مع قوله السالف الذكر من ان
تخصيص العام ليس غلطا لان الظاهرة واحدة . وليس من الصواب ان نعتد
الكلمة نيا كانت عليه من دلالة في الماضي ، ولا ننظر الى ما آلت اليه من
دلالة جديدة بحكم التطور اللغوي ، ثم نخطيء الاستعمال العام ونقول
بالثبوت تيماما لذلك . لان هذه الثبوت القائمة على الدلالة القديمة للكلمة
تبتعد عن واقع الاستعمال اللغوي ، ذلك ان الدلالة القديمة قد صارت شيئا
تاريخيا منيا في حياة الكلمة بسبب من تطورها الدلالي ، اذ هجرها الاستعمال
او تناساها بل ان الاستعمال العام يجعل مثل تلك الدلالة التاريخية القديمة
ولا يعنيه من الالفاظ الا دلالتها الحالية المتداولة والمستعملة فعلا .

ومن ذلك ايضا قصر دلالة الهلاك على الموت وحده ، في العربية .

(٥٣) اللسان مادة قطن : ٢٤٥/١٣

(٥٤) انظر : تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي : ١٢ وتقويم اللسان
لابن الجوزي : ٢٠٨ ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة
١٩٦ ، ٢٨١ .

(٥٥) ذيل الفصح البغدادي ص ٥ = ضمن نصيح ثعلب والشروح التي
عليه وانظر قول ابن جبير في اللسان مادة قطن : ٢٤٥/١٣

والهلاك اعم واشمل من ذلك في الاصل ، حيث دلت المقارنات السامية على ان كلمة (هلك) تعني الذهاب مطلقا ، فهي في العبرية لكل نوع من الذهاب ، في حين تحدد معناها في العربية فاصبح مقصورا على نوع واحد من الذهاب ، وهو الموت . وقد ادى هذا التطور الى وقوع الترادف بين الموت والهلاك^(٥٦) . ونختم هذه الامثلة بالحديث عن ترادف الريحان والاس ، فالريحان في الاصل اسم عام يشل كل نبت طيب الريح كالورد والنعنع والشام^(٥٧) . ولكن الاستعمال اللاحق خص به الاس دون سائر الرياحين ، وعلى وجه التحديد عند اهل الاندلس في القرن الرابع الهجري وعند اهل صقلية في القرن الخامس الهجري . وبهذا اصبحت الكلمتان بمعنى واحد بسبب هذا التخصيص وقد حكم الزبيدي وابن مكي الصقلي بالخطأ على هذا الاستعمال وصوباه بالرجوع الى الدلالة القديمة^(٥٨) . وترى انه كان ينبغي في الاقل الاعتراف بهذا في حدود بيتي الاندلس وصقلية اللغويتين اللتين حدث فيهما هذا التطور واستعمل اهلبا هذه الالفاظ مترادفة في ذلك الزمن المعلوم كما سجله الزبيدي والصقلي . وفي اللغة كثير من الالفاظ التي صارت تستعمل مترادفة نتيجة التطور الدلالي على سبيل تخصيص العام ، وسوف نأتي على ذكر أمثلة اخرى خلال هذا الفصل .

لقد ذكر الجاحظ ، (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) ان الناس يتعملون الفاظا بغير ما عرفت به دون مراعاة للفروق في استعمالها . اذ لاحظ عدة الفاظ لا يفرق الناس بينها في استعمالهم لها ، وهو يرى فروقا بينها قياسا الى الاستعمال

(٥٦) علم اللغة العربية ، د . محمود نهمي حجازي ص ١٤٨ ، وانظر في اللهجات العربية ص ١٧١ .
(٥٧) اللسان مادة روح : ٤٥٨/٢ .
(٥٨) لحن العوام للزبيدي : ٢٤١ وثقيف اللسان وتلقيح الجنان : ٢٠٨ وينظر لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١١٠ ، ١٦١ .

القرآني . فيقول : (وقد يستخف الناس الفاظا ويستعملونها وغيرها احق بذلك منها . الا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع والمجزر الظاهر . والناس لا يذكرون السَّعْبَ ويذكرون الجوع في حال التدرية والسلامة . وكذلك ذكر المطر ، لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام . والعامه واكثر الخاصة لا يفتعلون بين ذكر المطر وذكر النيث . . والجاري على افواه العامة غير ذلك ، لا يفتقدون من الالفاظ ما هو احق بالذكر واولى بالاستعمال .) (٥٩) والذي نراه في هذا النص المهم امران الاول يتعلق بسوقف الجاحظ نفسه من هذه الظاهرة ، وهو انه لم يخطيء ، صراحة هذه الاستمالات الدائرة في عصره كما فعل كثير من القدامى ، بل اكنفى بتسجيلها وتعليلها . فكانت ملاحظته اللغوية هذه وصفية وليست معيارية . والثاني يتعلق بحقيقة الفرق بين هذه الالفاظ . وفي ذلك نظر . ونحن اذا سلنا بما ذهب اليه الجاحظ ، فمن السهل تفسير هذه الاستمالات بالتطور الدلالي ، فالفرق بينها طفيف ودلالاتها متقاربة جدا . وعندئذ يكون تعليل الجاحظ لعدم تفرقة الناس بينها بسبب خفة اللفظ ، تعليلًا وجيبًا اذا ما ثبت الفرق بينها . الا اننا نتردد في ذلك ، اذ لم ترد كلمة « مسغبة » الا مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : (او اطعام في يوم ذي مسغبة) (٦٠) وقد فُرت بالمجاعة دون فرق . يقول صاحب الكشاف في تفسير المسغبة التي وردت في القرآن الكريم : (والمسغبة والمقربة ، والمترية ، مفعلات من سغب : اذا جاع . .) (٦١) وجاء في تفسير القملي : (قوله تعالى : « او اطعام في يوم ذي مسغبة » اي

(٥٩) البيان والتبيين : ٢٠/١

(٦٠) سورة البلد ، آية ١٤ . وانظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٣٥١ .

(٦١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقوابل في وجود التاويل للزمخشري ٧٥٦/٤ .

مجاعة • والسب : الجوع • والساغب : الجائع • (٦٢) كما روى عن ابن عباس قوله : (« في يوم ذي مسغبة » يعني ذي مجاعة بلغة هذيل •) (٦٣) واما صاحب اللسان فقد ذكر ان سب الرجل وسب سبها وسبها ومسغبة : جاع • والسبغة : الجوع ، وقيل : هو الجوع مع التعب • وقال الثراء في قوله تعالى : (في يوم ذي مسغبة) ، اي مجاعة • وفي الحديث : ما أظعمته اذ كان ساغبا ، اي جائعا • وفي حديث آخر : انه قدم خبير باصحابه وهم مسبون ، اي جياع • ويقال : يتيم ذو مسغبة اي ذو مجاعة (٦٤) •

ومن هذا يتضح لنا ان تفرقة الجاحظ ضعيفة من حيث الدلالة اللغوية لانه نظر اليها نظرة بلاغية تتعلق بالاستعمال القرآني واسرار تراكيه البيانية ، ناهيك عن اختلافها عن تفرقة اللسان اذ معنى السب فيه اشد من معنى الجوع علي رأي من فرق بينهما وهذا بخلاف ما ذكره الجاحظ • واكثر أهل اللغة يروون بين الجوع والسب • ونرجح ان تكون هذه لغات قبائل مختلفة واما كان الامر فان الاستعمال غالبا لا يفرق بينها بشهادة الجاحظ نفسه ، واما الغيث والمطر فسوف يأتي البحث فيها مفصلا •

وبنعل التطور الدلالي نجد في القرن الثالث الهجري العديد من الالفاظ التي اصبحت مترادفة في لغة ذلك العصر ، بعد ان مكن الاستعمال لها واختفت تلك الفروق الدقيقة بين دلالاتها • فلم يعد الناس في استعمالهم اللغوي العام يفرقون بينها ولا يراعون التباين في معانيها ، بل انهم يجهلون ذلك تماما • وهذا ما لاحظته وصرح به ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ في مقدمة كتابه « ادب الكاتب » وجعله من اسباب تأليفه ، فقال : (فما رأيت احدا منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ولا الحنف من الفدع ولا اللسي من اللطع ،

(٦٢) الجامع لاحكام القرآن لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ٦٩/٢٠

(٦٣) اللغات في القرآن ، المنسوب الى عبدالله بن عباس : ص ٥٢

(٦٤) اللسان مادة سبغ : ٤٦٨/١

فلما رأيت هذا الشأن كل يوم الى نقصان وخشيت ان يذهب رسمه ويعفوه اثره ، جعلت له حظا من عنايتي وجزءا من تألفي ... (٦٥) وبهذا كشف لنا المؤلف عن التطور الدلالي الذي حدث لطائفة من الالفاظ في عصره ، تلك الالفاظ التي صارت تستعمل بمعنى واحد وانمحت الفروق بينها نتيجة هذا التطور . وانها لعنقبة تلك الفائدة التي نجدها في تسجيل ابن قتيبة للالفاظ بحب معانيها التي آلت اليها في عصره وكما يجري بها الاستعمال فعلا ، وليس بحب معانيها الثقيلة والمروية (٦٦) ، الا ان ابن قتيبة لم يلم بهذا التغير الدلالي فذهب الى استكاره وتخطئة استعماله ، وعزاه الى انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية انذاك ، وهذا عنده ما ينبغي تجنبه والتبنيه عليه . ومن اجل ذلك راح يصوب هذه الالفاظ التي تطورت دلالتها بالرجوع الى معانيها القديمة كما وردت عن الاقدمين ، وهو في ذلك كله يرفض اي معنى جديد عندما يراه مخالفا لما كانت عليه الكلمة من دلالة سابقة . وقد عقّد لهذا الغرض بابا خاصا ساء : (باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه) وهو الباب الاول من كتاب المعرفة الذي احتواه (أدب الكاتب) (٦٧) ونجد في هذا الباب جملة من الالفاظ التي يستعملها الناس بمعنى واحد كما نص على ذلك ابن قتيبة ، وهو يخطيء ، هذا ، ويقول بالتروق بينها من أجل تصويبها ومراعاة الصحة اللغوية في استعمالها . ومن هذه الالفاظ التي

(٦٥) ادب الكاتب : ٦

الركع في الرجل ان تميل ابهامها على الاصابع حتى يرى اصلها خارجا ، والكوع في الكف ان تموج من قبل الكوع ، والكوع رأس الزند الذي يلي الابهام والكرسوع رأس الزند الذي يلي الخنصر . والحنف ان تقبل كل واحدة من ابهامي الرجلين على الأخرى . وقيل الحنف ان يمشي الرجل على ظهر قدمه . والقدع في الكف زبغ بينها وبين عظم الساعد وفي القدم زبغ بينها وبين عظم الساق ... واللس سمرّة في الشفتين تخالفها حمرة وذلك مما يمدح به ، واللطح يباح الشفتين وذلك مما يذم به . عن الاقتضاب في شرح ادب الكتاب لابن السيد البعلبوسى : ص ٣٠

وانظر : شرح ادب الكاتب الجواليقي ص ٥٤ - ٥٥

(٦٦) للفائدة انظر : العربية - بوحان فك : ص ١٢٢ - ١٢٣

(٦٧) ص ٢١

ترادفت بسبب التطور وخطأها ابن قتيبة معمولا على الاستعمال القديم ، كلمة الطرب حيث استعمالها الناس في الفرح دون الجزع ، ولكن المؤلف يذهب الى ان الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجزع . ويستشهد على ذلك بقول النابغة الجعدي :

واراني طربنا في اثرهم طرب الواله او كالمختبل^(٦٨)

وهذا صحيح بالنظر الى الاصل او بالنسبة الى ذلك الاستعمال القديم بيد ان الاستعمال اللاحق قد خص الطرب بالفرح وحده ، وجرى بهما مترادفين . وتخصيص المعنى تطور دلالي .

ومن ذلك الماتم يذهب الناس الى انه المصيبة ، ويقولون كنا في ماتم ، ويصوب ابن قتيبة هذا بان الماتم انا هو النساء يجتمعن في الخير والشر^(٦٩) . هذا صحيح باعتبار الاصل ايضا ولكن الاستعمال قد خص الماتم بالمصيبة فترادفت الكلمتان . ويكاد الناس لا يفرقون بين الخلف والكذب في استعمالهم اللغوي ، على حين يصر ابن قتيبة على التفرقة بينهما ، فيجعل الكذب للناسي والخلف للمستقبل^(٧٠) . وقد عقب عليه ابن السيد البطليوسي^(٧١) بان الكذب قد جاء مستعلا في المستقبل في قوله تعالى : (ذلك وعد غير مكذوب)^(٧٢) ولم يقيد الراغب الاصفهاني الخلف بزمن معين واما بشأن الكذب فقد ذكر ما يخالف رأى ابن قتيبة ، حيث قال : (الصدق والكذب اصلها في القول ما ضا كان او مستقبلا وعدا كان او غيره)^(٧٣) ولم نجد مثل هذه التفرقة في اللسان^(٧٤) .

(٦٨) ادب الكاتب : ٢٢ - ٢٢ وانظر ديوان النابغة الجعدي : ص ٩٢ وفيه « فاراني » .

(٦٩) ادب الكاتب : ٢١

(٧٠) الصدر نفسه : ٢٢

(٧١) الانتخاب في شرح ادب الكاتب للبطليوسي : ١١٢

(٧٢) سورة هود : آية ٦٥

(٧٣) المفردات في غريب القرآن : ١٥٦ : ٢٧٨

(٧٤) اللسان مادة كذب : ٧٠٤/١ وما بعدها

ويضع الناس الحشة موضع الاستحياء ، ولا يرى ابن قتيبة ذلك صوابا لانها بمعنى الغضب كما حكى عن بعض فصحاء العرب . واستعمال الحشة بمعنى الاستحياء او الحياء قديم ، بدلالة انكار الاصمعي له كما ذكر ابن قتيبة الذي تابعه في ذلك^(٧٥) . وقد عقب الجواليقي على هذا بقوله : (الحشة في اللغة لها موضعان ، احدهما الغضب والاخر الحياء . وقيل للبرد : الحشة ، الغضب والحشة الحياء ، ما معنى ذلك ؟ فقال : الغضب والحياء كلاهما تقصان يلحق النفس ، فكان مخرجهما واحدا)^(٧٦) كما ذكر البليوسي في رده ان الحشة تكون بمعنى الاستحياء . وقد استعمل المتنبي الاحتشام بمعنى الاستحياء وذلك احد ما رد عليه من شعره ، فقال :
 ضيف ألم برأسي غير محتشم واليف أحسن فعلا منه باللهم^(٧٧)

والحمد والشكر من الالفاظ المتقاربة في المعنى ، وبسبب هذا التقارب ، اختلفت دلالتها حتى صارت واحدة ، ولم يعد الناس يفرقون بينهما زمن ابن قتيبة والمسكري . فقد جرى الاستعمال بما مترادفين واختفى ذلك الفرق الدقيق بين معنيهما نتيجة التسميم والحمد في الاصل اعم من الشكر . وابن قتيبة يلاحظ هذا الاستعمال في عصره ويحكم عليه بالخطأ حيث يقول : (ومن ذلك الحمد والشكر لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، فالحمد الثناء على الرجل بما فيه من حسن ، تقول : حمدت الرجل اذا أثنت عليه بكرم او حب او شجاعة واشباه ذلك ، والشكر له : الثناء عليه بمزوف اولاه ، وقد يوضع الحمد موضع الشكر ، فيقال : حمدته على معرفته عندي كما يقال شكرت له ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد ، فيقال شكرت له على شجاعته)^(٧٨) . واما ابو هلال العسكري فقد فرق بينهما تفريقا طويلا ،

(٧٥) ادب الكاتب : ص ٢٢

(٧٦) شرح ادب الكاتب للجواليقي : ١٢٢

(٧٧) الاقتصاب في شرح ادب الكاتب : ١٠٨ - ١٠٩ وانظر ديوان المتنبي

بشرح العسكري : ٢٤/٤

(٧٨) ادب الكاتب : ٢٧

يختلف عن التفرق الذي قال به ابن قتيبة ، فهو تارة يرجع الى اصل الكلمة-
في اللغة وتارة يفرق بينهما تفرقا كلاميا ، وثالثة يفرق بينهما تبعا للنقح-
والحكمة والشرع ، ورابعة من جهة البلاغة(٧٩) . ولا يكاد الباحث يحس-
بأية تفرقة لغوية واضحة فيها ، بل يكاد لا يفهم منها شيئا الا بجهد ومشقة .

ومن هذا يتضح لنا مدى تمسف وتكلف القائلين بالتفروق وعدم اتفاقهم-
على فرق بعينه وانغاليهم مالة تطور دلالة الالفاظ . فهم يلتصون شتى-
الاعتبارات وان كانت غير لغوية من اجل القول بالتباين بين الالفاظ التي-
عادت بمعنى واحد في مجرى الواقع اللغوي نتيجة تطورها الدلالي .

وهكذا يبضي ابن قتيبة في ملاحظة هذه الظاهرة ، فيعترف صراحة بان-
الاستعمال اللغوي في عصره لم يعد يفرق بين : الظل والقيء ، وبين الال-
والسراب وبين العترة والذرية ، وبين النقيير والمسكين ، وبين الخائن والسارق ،
وبين البخيل والليث وبين الاربي والملف ، وبين الملة والخبزة ، وبين الفاقرة-
والدهاية ، وبين المزادة الراوية(٨٠) ، الى غير ذلك من الالفاظ التي صارت-
سواء من حيث الدلالة ، ولم يعد الناس يتبينون فروقا بينها ولا يراعون-
ذلك التباين في معانيها . وابن قتيبة - وغيره - اذ يحدث مثل هذا ويلاحظه ،
وينص عليه شاكيا متبرما ، نجده يبين تلك التفروق الدقيقة بين هذه الالفاظ
تبعا لمعانيها القديمة التي عفا عليها الزمن والاستعمال ، ذلك انه اتخذ من
الدلالة القديمة معيارا وحيدا للصحة اللغوية فانكر اي تطور يحدث بخلاف
ذلك ، وعده لحنًا . وقد يلتبس فروقا غير لغوية ، او ما ليس موضع اتفاق.

(٧٩) الفروق اللغوية : ٣٥ - ٣٦

(٨٠) ادب الكاتب الصفحات على التوالي : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٣٧ - ٣٨ ، ٣٨ ، ٥٦ ، ٦٥ - ٦٦ .

لدى اللغويين ، كما في تفرقة بين الفقير والمسكين^(٨١) ، فهي ربما تصح في نظر بعض التقباء ولا تصح عند آخرين من أهل اللغة .

ومها يكن موقف المؤلف ، فانه قد افادنا كثيرا في الوقوف على تغير المعاني لجملة من الالفاظ الى القرن الثالث الهجري ، وبفضل ذكره لدلالة الكلمة الحالية في عصره ودلالاتها القديمة او الاصلية على سبيل المقارنة ، تم معرفتنا لمدى التطور الذي حدث لهذه الالفاظ . وبهذا يكون من السهولة عندنا ان نمزو ترادف هذه الالفاظ المتقاربة في المعنى الى التطور الدلالي بخلاف سبله ، ذلك الذي ادى الى تداخل معانيها وسحح باطلاق اللفظة على الاخرى ، وبذلك اختفت تلك الفروق التي كانت عليها هذه الالفاظ . وسوف يأتي بيان هذا بالتفصيل في طائفة منها عند دراسة الفروق .

وقد لاحظ بعض الباحثين تشدد ابن قتيبة في مذهبه اللغوي ، وأخذوا عليه غلظه ووهسه في طائفة من المسائل التي ذكرها وجعلها من باب اللحن ، معمولا في ذلك على ما رواه ابو حاتم عن الاصمعي ، كما اثبت هذا شارح كتابه ابن السيد البليوسي الذي نبه على مواضع غلظه واثار الى وهسه في العديد منها ، ومتابعته الاصمعي في هذا المنحى المتشدد^(٨٢) . كذلك رد عليه الجواليقي الذي شرح كتابه ايضا في بعض المسائل^(٨٣) . واثار الى ذلك

(٨١) هذه المسألة قد اختلف فيها أهل اللغة كثيرا وتنازعوا حول تحديد الفرق الدقيق بين اللفظتين حتى نقض احدهم قول الآخر . فمذهب يونس بن حبيب ومن وافقه ان الفقير احسن حالا من المسكين ، ومذهب الاصمعي ومن وافقه ان المسكين احسن حالا من الفقير . وقد ذكر ابن قتيبة ان الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لاشيء له ؛ فقلعه الثعالبى وجعل العكس هو الصحيح ، وجوز ان يكون الفقير مثل المسكين دونه في القدرة على البلغة . ومن اللغويين من سوى بينهما . انظر تفصيل ذلك في : ادب الكاتب : ٢٥ ، وفتح اللغة للثعالبى : ٨٥ ، واللسان مادة فقر : ٦٠/٥ - ٦١ ، واصلاح المنطق : ٢٢٦ - ٢٢٧ . والاتصاف في شرح ادب الكاتب : ١١٤ ، وشرح ادب الكاتب للجواليقي : ١٤٢ .

(٨٢) الاتصاف في شرح ادب الكاتب : ١٠٦ .

(٨٣) شرح ادب الكاتب : ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

من المحدثين الدكتور عبدالعزيز مطر ، حيث أحصى اثنين وثلاثين لفظا تنير مجال استعمالها عما ورد عن العرب ، وكان ابن قتيبة قد جعلها من باب اللحن في المعاني وذكر معانيها الاصلية^(٨٤) . وكذلك المستشرق يوهان فك الذي رأى في ابن قتيبة مثالا عن مبدأ (تنقية اللغة العربية) المتطرف ، وأشار الى متابعتها الاصمعي بما عرف عنه من تشدد وتزمت . كما لاحظ ان الطالب التي فرضها لمراعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤديها معاصروه على وجه الدقة ، بل هو نفسه قد اصطدم هنا وهناك بقواعده ، وحتى الشعر الرفيع في عصره لم يف بسطاب مبدأ تنقية اللغة^(٨٥) .

وهكذا نرى ان هذا الحفاظ وذاك التشدد لم يستطيعا ان يوقتا تطور اللغة المستمر .

المجاز :

المجاز بنوعيه طريق واسع من طرق التطور الدلالي ، وهو من اهم السبل التي يتم بها انتقال مجال الدلالة . حيث ينتقل معنى الكلمة من محيط الى آخر بطرق ابرزها الاستعارة اي المجاز القائم على علاقة المشابهة ، والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته غير المشابهة ، كالتبعية والزمانية والمحلية والالية والمجاورة وباعتبار ما كان وما سيكون وغير ذلك من علاقات المجاز المرسل كما سبق بيانها . ويدخل في باب المجاز الكناية وذلك باعتبارها نوعا منه . وفي ضوء المجاز والكناية يمكن ان نضر الكثير من ترادف الالفاظ ، وقد مرت بنا بعض من الامثلة على ذلك . ونظرا لاهية هذا السبب في حدوث الترادف فقد رأينا ان نخضع بشيء من التفصيل .

يقول ابن جنبي في تعريف الحقيقة والمجاز ويان الفرق بينهما : (الحقيقة : ما اتر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة . والمجاز : ما كان يشد

(٨٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٦٣

(٨٥) العربية : ١٣٢ ، ١٣٥

ذلك) (٨٦) . وهنا تكمن الصعوبة البالغة في النصل والتفرق بين الحقيقة والمجاز ؛ اذا ما اخذنا بهذا المفهوم . وذلك انا نجعل الكثير عن استعمال الالفاظ تبعا للوضع الاصلي في اللغة وعن كينية اطلاق الاسماء على مسياتها اول مرة ؛ وهذا ما يتطلب التوغل في التاريخ اللغوي السحيق الذي لا نستطيع الوقوف على حقائقه . حتى عاد البحث في الالفاظ بحسب اصل الوضع ضربا من الحدس والتخمين .

وقد لاحظ العلماء - من قداماء ومحدثين - ان قضية المجاز والحقيقة . انا هي مسألة ليست ثابتة ؛ بل هي نسبية متغيرة ؛ ذلك ان الحقيقة والمجاز كثيرا ما يتبادلان هذه الصفة ؛ فهما في حركة دائبة وانتقال مستمر . فما كان حقيقة قد يصير مجازا ؛ وما كان مجازا قد يصير حقيقة . ومقياس ذلك هو الاستعمال والعرف اللغوي . وقد بين ابن جني انتقال المجاز الى الحقيقة ؛ ونص على ان المجاز اذا كثر لحق بالحقيقة (٨٧) على الرغم من تعريفه السابق لهما بحسب اصل الوضع في اللغة . كما نقل السيوطي عنهم قولهم : (ان الحقيقة قد تصير مجازا وبالعكس فالحقيقة متى قل استعمالها صارت مجازا عرفا ، والمجاز متى كثر استعماله صار حقيقة عرفا) (٨٨) .

وتختلف نظرة علم اللغة الحديث الى قضية الحقيقة والمجاز عن النظرة اللغوية التقليدية فتصنيف الدلالات الى دلالة حقيقية ودلالة مجازية يعكس تصورا استاتيكا (ثابتا) للغة ؛ وكان اللغة قد حددت معنى حقيقيا ثابتا لكل لفظ من الالفاظ ان خرج عنه المعنى كان مجازا . فكيف نعلم اصل الوضع وكيف نحدد المعنى الاصلي الاول لكلمة ما ؟ واللغة لم تصل الينا في طور نشأتها ؛ بل بعد الاف السنين من التداول الشفوي ؛ وهل لنا ان

(٨٦) الخصائص : ٤٤٢/٢ وانظر : الساجي حول مفهوم الحقيقة والمجاز :

ص ١٩٦ وما بعدها .

(٨٧) الخصائص : ٤٤٧/٢ وما بعدها

(٨٨) الزهر : ٢٦٧/١ - ٢٦٨

تحدث عن اصل الوضع عند دراستنا لكلمة عربية دون ان نبحت الكلمة في اللغات السامية مستخرجين الصيغة السامية التي هي اذهب في القدم^(٨٩) . ويرى فنديرس ان المجاز وان كان هو السبب في خلق العديد من المعاني للفظ الواحد في اللغة ، الا انه سرعا ما ينسى ، ويصبح المعنى الجديد الذي دخل اللفظ عن طريق المجاز لا يقل في حقيقته عن المعنى الاول الذي كان له . ونحن اذا اردنا ان نحدد معنى الكلمة او معانيها ، فعلى ان ننظر الى استعمالها كما هي اليوم ، لا الى تاريخها . ويقول فنديرس : (في التسليم بأن للكلمات معنى اساسيا ومعاني ثانوية صادرة عن الاول اثارا لآلة وجهة النظر التاريخية . ووجهة النظر التاريخية تلك لا قيسة لها هنا)^(٩٠) .

ومن الباحثين المحدثين من يرى ان شرط المجاز ، هو ان يشير عند ساعه دهشة او غرابة . وقد جعلوا هذا مقياسا للفصل بين ما هو حقيقة وبين ما هو مجاز وتبعاً لهذا ، فليس من المجاز عند هؤلاء ، تلك الاساليب التي توسيت فيها الناحية المجازية واصبحت من الشيوع والدوران بحيث لا تثير في الذهن دهشة او غرابة كما في طلعت الشمس وركب المخاطر^(٩١) . ففصل ما بين الحقيقة والمجاز في دلالة مثل هذه الالفاظ هو شعور الناس . يكون اطلاق اللفظ على مدلوله هو تسمية مباشرة او نوع من التشبيه او المجاز مناسبة بينهما^(٩٢) .

وعلى الرغم من وجهة نظرة المحدثين الى الحقيقة والمجاز ، فقد وافقوا القدامى في مسألة انتقال المجاز الى الحقيقة . يقول الدكتور ابراهيم انيس : (وحين تر الايام على تلك المجازات ويكثر استعمالها ، لا تلبث ان تنسى

(٨٩) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ٨٥

(٩٠) اللغة : ٢٢٨ - ٢٢٩ وانظر : الوجيز في فقه اللغة لمحمد الانطاكي

٢٧٢ - ٢٧٤ دور الكلمة في اللغة - ستيفن اولمان ص ١١٢

(٩١) في اللبجات العربية : ١٨١ - ١٨٢

(٩٢) فقه اللغة وخصائص العربية د. محمد المبارك ٢٢١

الناحية المجازية فيها : وتصبح معانيها حقيقية . (٩٣) ويقول الدكتور محمّد المبارك ان استعمال اللفظ بالمعنى الجديد يكون في بادئ الامر عن طريق المجاز ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة وتصبح دلالاته على مدلوله الجديد دلالة حقيقية لا مجازية (٩٤) .

ومن هذا كله يتبين لنا انه ليس ثمة حد فاصل واضح كل الوضوح للتفريق بين الحقيقة والمجاز ، ذلك ان هذه المسألة ذات طبيعة متغيرة كما ذكرنا . ولهذا كثر الخلط بينهما . والناظر الى المعاجم يجد انها كثيرا ما تخلط بينهما ولا تنس على ذلك في معظم الاحوال . بل انها لم تمن بهذه الناحية لانها لم تتبع الالفاظ تبعا تاريخيا بحسب تطورها من الحقيقة الى المجاز ، هذا اذا استثنينا الزمخشري الذي حاول في معجمه (اساس البلاغة) ان يصنف الدلالات على اساس الحقيقة والمجاز وان يعنى بالثفرة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية للكلمة وبدأ بالحقيقي منها ، فوقع في عدة اوهام بارجاعه المعاني الحية الى المعنوية والصحيح هو العكس . كما عد المجاز حقيقة في بعض الالفاظ ، ومن هذا اعتباره الكتابة بمعنى النسخ حقيقة وبمعنى الخرز مجازا والصواب العكس . وقد اعترض على هذا النهج في الثفرة بانه نظر الى المعاني الحقيقية والمعاني المجازية على انها ثابتة ، مع ان الحقيقة والمجاز كثيرا ما يتبادلان مراكزهما ، وهما في حركة دائبة واتقال . مستر (٩٥) .

زد على هذا ان الباحث اللغوي الحديث ، يلاقي قدرا غير يسير من الصعوبة في الكشف عن الحقيقة والمجاز في الالفاظ وهذا ما بينه استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في تحقيقه لعدة استعمالات لغوية ، حيث كشف عن طبيعة تطورها وانتقالها من المعنى الحقيقي الى المجازي ، ومنها استعمال

(٩٣) في اللهجات العربية ١٨١ - ١٨٢

(٩٤) فقه اللغة وخصائص العربية : ٢٢١ وانظر دور الكلمة في اللغة . ص ١٧٧ - ١٧٨

(٩٥) البحث اللغوي عند العرب د . احمد مختار عمر : ١٦٠

الجرورة بمعنى الجنابة والذنب ومنها الاستعمال الشائع : (اشه راغم) او
 (على الرغم من) . وقد اثبت الدكتور السامرائي ان هذه الالفاظ بهذا
 الاستعمال ؛ انا هي على سبيل المجاز بعد ان وضح معانيها الحقيقية . وقد
 عبر عن الصعوبة في هذا الامر بأننا نجعل في كثير من الاحيان الظروف التي
 تسببت في اطلاق اقوال كتب لها الشيوع ودعت الى استعمالها استعمالا
 واسعا . وربما اجتهدنا الاجتهاد الدقيق في استعادة شيء من معرفة تلك
 الظروف^(٩٦) . كذلك تمثل هذه الصعوبة كما قررها الدكتور السامرائي
 بقوله : (ولكن النظر في المعجم العربي القديم لا يصر بهذه العلاقة بين
 المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي اتبته اليه المادة وخلصت له . وعلى
 هذا فان المعنى الحقيقي صار من قبيل المواد المهجورة لعدم الحاجة الى
 استعماله .)^(٩٧) وهذا ما يؤكد صعوبة الفصل بين الحقيقة والمجاز ومن
 ثم كثرة الخلط بينهما .

وعلى اية حال ؛ فان ما يعنينا هو كون المجاز سببا من اسباب الترادف
 في كثير من الالفاظ وذلك في ضوء ما قدمنا من انتقال المجاز الى الحقيقة
 وصعوبة التفرقة بينهما . لان البحث في الاصول التاريخية لكثير من الالفاظ
 المترادفة ؛ يثبت لنا أنها في حقيقتها لم تكن اساء اصيلة للشيء ؛ وانا اطلقت
 عليه وسمي بها عن طريق المجاز ولا بد هنا من تفصيل القول في هذا .

ان كثيرا من المسميات في اللغة غالبا ما يعبر عنها باسماء مختلفة على
 سبيل المجاز وذلك لاسباب اجتماعية كثيرة كالعادات والتقاليد والاداب
 ولاعتبارات نفسية متنوعة كالتشاؤم والتناؤل والحياء والخوف والحب وغير
 ذلك من العوامل والدوافع التي تدفع الناس الى تسمية الشيء تسمية مجازية
 بدلا من التعبير عنه باسمه الحقيقي الصريح . وقد تكون الخرافة من تلك

(٩٦) التطور اللغوي التاريخي : ٣٦ - ٣٧

(٩٧) المصدر السابق ص ٣٧

الاسباب ، خاصة في تلك المجتمعات التي يسودها الاعتقاد بان ذكر الشيء باسمه الصريح يؤدي الى حضوره ، فيتحاشى الناس التلغظ بالكلمات الدالة على اشياء مخيفة متعفين عنها بالكنايات^(٩٨) . وكثيرا ما يقع لدى المتوحشين ان يكون لبعض الالفاظ طابع من السرية والخفاء ينجم بعض الافراد من استعمالها . وليس هذا الامر مقصورا على الاقوام البدائية ، فاننا اذا رجعنا الى تاريخ اكثر اللغات مدنية ، وجدنا حوادث من هذا التحريم لا تقل صرامة عما عند الامم المتوحشة^(٩٩) . وتعرف هذه الظاهرة لدى المحدثين بـ « تحريم المفردات » Taboo وقد بين بعضهم دور الكناية والاستمارة في تجديد المفردات وكثرتها وتنوعها للتعبير عن الشيء بسبب هذا التحريم . فالكناية ليست الا صورة مهذبة متحضرة مما يسمى تحريم المفردات وان اوضح علامة للدلالة على التحريم الذي اصاب بعض الافكار او بعض الاشياء هو وجود الاستمارات ، كما يقول فنديرس^(١٠٠) . وقد ذكر ستيفن اولمان ان استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من اي مغزى سيء او مخيف بكلمات (الالاماس) يعد ضربا من ضروب حسن التعبير اي الكناية (euphemism) وان حسن التعبير وسيلة مقنعة بارعة لتلطيف الكلام وتخفيف رقعته . وتعتمد اللغة الى استعمال هذه الوسيلة مع كل شيء مقدس او ذي خطر او مثير للرعب والخوف ، كما تطبقه على الاشياء الشائنة او غير المقبولة لدى النفس . ويقول ستيفن اولمان ايضا ان (حسن التعبير كالمبالغة وغيرها من ضروب المجازات ذات الدافع والباعث النفسين ، قد تذهب اهميته ويؤول الى الانحطاط . فاذا ما كثر استعماله تعرض لفقدان خاصية الرقة واللفظ فيه ، بدلا من ان يدل على الفكرة المحظورة بطريق غير مباشر يصبح مرتبطا بها

(٩٨) الوجيز في فقه اللغة : ٢٩٤ وانظر : دور الكلمة في اللغة : ص ١٧٧-١٧٨
(٩٩) اللغة ، فنديرس : ٢٨١ ، وانظر دور الكلمة في اللغة لستيفن اولمان ص ١٧٤ وما بعدها .

(١٠٠) اللغة - ٢٨٠ - ٢٨٢ وانظر : علم اللغة العربية . حجازي ص ١٥-١٦

ارتباطاً مباشراً ، ومن ثم يصير غير ممكن الاستعمال كأسلوب من أساليب تلطيف الكلام) (١٠١) .

ومها يكن السبب الذي يكمن خلف التسمية المجازية والظرف اللغوي الخاص الذي استعملت فيه اول مرة ، ومهما تكن الاسباب والاعتبارات المتباينة التي اوحت الى الناس ان يسوا الشيء باسماء مختلفة ويطلقوا عليه العديد من الالفاظ على سبيل المجاز ، فانه برور الوقت يخلق الكثير من الاسماء المختلفة للشيء الواحد ، اذ ان هذه الاسماء المجازية ، لطول العهد بها وكثرة استعمالها وشيوعها ، تنى فيها الناحية المجازية ، ثم تصبح دالة على المسمى دلالة حقيقية لا مجازية ، وذلك على ما يناد من انتقال المجاز الى الحقيقة بفعل الاستعمال . بل ان دلالتها عليها اقرب الى الذهن من دلالتها الاصلية لشيوع المعنى الجديد واتساره بعد طول العهد بهذا الاستعمال (١٠٢) . وهكذا يصبح امامنا في اخر الامر العديد من الاسماء المترادفة للمسمى الواحد . ولهذا كان المجاز سبباً مهماً من اسباب ترادف الالفاظ . وهذا ما عبر عنه بعض المحدثين بـ (المجازات المنية) (١٠٣) ويبدو ان هذا التعبير غير دقيق لان المجاز نفسه ليس سبباً للترادف ما لم يتحول الى حقيقة بفعل الاستعمال ، ولان انتقال المجاز الى الحقيقة هو السبب المباشر في حدوث الترادف ؛ وان كان باستطاعة الباحث احياناً ان يكشف التسمية المجازية ويميزها من التسمية الحقيقية الوضعية ، اذ لا قيمة هنا للصفة المجازية في الالفاظ سواء اكانت معروفة ام مجهولة . فذلك مسألة تاريخية ، والمستعمل للغة لا يعنيه اكانت الالفاظ قد استخدمت استخدماً مجازياً ام حقيقياً بقدر ما تعنيه دلالتها الحالية . ولا شك ان الاستعمال غالباً

(١٠١) دور الكلمة في اللغة ص ١٧٧-١٧٨ ولا يخفى ما في هذا النص المترجم من تعبيرات غير سليمة من الناحية اللغوية كقوله غير ممكن الاستعمال كأسلوب من أساليب . . . « والصحيح ان يقال : « غير ممكن الاستعمال بصفته اسلوباً من » وفي النصوص المترجمة الاخرى شيء من هذا .

(١٠٢) فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٢١ .

(١٠٣) في اللبجات العربية : ١٧١ - ١٧٢

ما يجعل التفرقة بين الحقيقة والمجاز في كثير من الفاظ اللغة . وذلك ما ذهب اليه فندريس في تأكيد ان المعنى الجديد للكلمة الذي اكتسبته عن طريق الاستعارة قد ابعدها عن معناها الاصيلي القديم ، وهذه الاستعارة مسألة تاريخية في حياة الالفاظ ، لا يتصددها المتكلم في استعماله للالفاظ بمعناها الجديد . وقد مثل فندريس لهذا الامر بقوله : (قد يعترض معترض فيقول بأنه قد مرت لحظة كان يحس خلالها بأن كلمة (ريشة) استعارة . ولكن هذه اللحظة لم تطل ، فأية كلمة في اللغة الجارية ليس لها الا معنى واحد في الوقت الواحد . اذ لما كانت ريشة الاوزة تستعمل في الكتابة ، كان الذي قال « اخذت ريشتي لاكتب كلمة » قد استعمل كلمة ريشة بمعنى اداة للكتابة . ولم يتخذ استعمال استعارة ، وسامعه لم يقدر غير هذا التقدير) (١٠٤) وهذا ما يؤكد ان التسمية المجازية لا تقل في اهميتها عن التسمية الحقيقية من حيث الدلالة على الشيء . . على انه لا يجوز اعتبار كل مجاز مبيها للترادف على وجه الاطلاق . فرب معترض يقول ان من شروط الترادف الا يكون مجازا . وللجواب عن هذا نقول ان ذلك مقيد بما قدمنا من صيرورة المجاز حقيقة واختفاء الناحية المجازية في التسمية تماما ، او انا نجعل ان هذا الاسم مجاز في الشيء ، وذلك حقيقة فيه . فالاسم الذي كان يدل على مساه مجازا ثم شاع استعماله حتى صار دالا عليه دلالة اسمه الحقيقي الصريح هو الذي نعنيه هنا سبيبا للترادف . فما دامت مثل هذه الالفاظ قد أصبحت تدل على شيء واحد دلالة مباشرة ، دون ان نلح فيها اي اثر مجازي ، بل نكاد نجعل انها مجاز البتة ، فلا مناص حينئذ ، في مثل هذه الحالة ، من التسليم بترادفها .

وعلى اساس المجاز الذي صار حقيقة ، نسر الكثير من الالفاظ المترادفة فان التأمل في طائفة كبيرة من المترادفات والتحقيق فيها من الناحية التاريخية ، يبين لنا بوضوح انها في حقيقتها ، ليست اسما اصيلا للشيء ، وانما اطلقت عليه مجازا اول الامر . ولما كان كثير من هذه الاسماء المجازية قد استقر

(١٠٤) اللغة فندريس : ص ٢٢٩

مجازه مكان حقيقته في اذهان الناس بعد ان مكن الاستعمال له فقد اصحت تتدل على الشيء دلالة مباشرة حقيقية كدلالة اسمه الاصيل ، وبذلك صارت مترادفة . ومن امثلة ذلك ترادف الوغى والحرب . « والوغى في الاصل اختلاط الاصوات في الحرب ، ثم كثر ذلك فصارت الحرب وغي » بنص ابن دريد^(١٠٥) . وتسمية الحرب وغي هي عندنا على المجاز المرسل لعلاقة المسبب ، وذلك لان الحرب مسببة لاختلاط الاصوات . وعلى المجاز المرسل ايضا تفر ترادف الراوية والمزادة . اذ ان « الراوية هو البعير او الحمار الذي يستقى عليه الماء » ، والمزادة هي الوعاء الذي يكون فيه الماء^(١٠٦) . وبسبب المجاورة في المكان اتقل معنى الراوية من الدابة التي يستقى عليها الى المزادة . فصارت الكلمتان بمعنى واحد . وغني عن البيان ان المجاورة هي احدى علاقات المجاز المرسل ، والعرب تسي الشيء باسم غيره اذا كان مجاورا له او كان منه بسبب على حد تعبير ابن قتيبة^(١٠٧) . وعلى هذا النحو تفر قول ابن دريد : (والراوية : البعير الذي يستقى عليه ثم صارت المزادة راوية)^(١٠٨) . ويبدو ان تسمية المزادة راوية قديم ، وذلك بدلالة ملاحظة ابن السكيت - ت ٢٤٤ هـ - لهذا الاستعمال والحكم عليه بالخطا لانه بخلاف الاصل ، جاعلا اياه من باب ما يضعه الناس في غير موضعه ، حيث يقول : (وتقول : هي المزادة ، التي يستقى فيها الماء ، ولا تقل راوية ، انما الراوية البعير او البغل او الحمار الذي يحل عليه الماء)^(١٠٩) كما لاحظ ابن قتيبة - ت ٢٧٦ هـ - ان الناس يتعملون الراوية بمعنى المزادة ، الا انه لم يقل بتخطئه . وقد فسره بقوله : (وقولهم للمزادة راوية ، والراوية البعير الذي يستقى عليه

- (١٠٥) الجمهرة لابن دريد : ٤٢٢/٢ .
(١٠٦) اللسان مادة روى : ٢٤٦/١٤ - ٢٤٧ .
(١٠٧) ادب الكاتب : ٢١ .
(١٠٨) الجمهرة : ٤٢٢/٢ .
(١٠٩) اصلاح المنطق : ٢٢١ .

الماء ، فسي الوعاء راوية باسم البعير الذي يحمله^(١١٠) وقد صوبه ابو بكر الزبيدي - ت ٣٧٩ هـ - على وجه تسمية الشيء بما قرب منه وما كان من به^(١١١) . وهذا توجيه شديد . كذلك جوزه الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) على سبيل الاستعارة بقوله (والعامه تسمى المزايدة : راوية . وذلك جائز على على سبيل الاستعارة بقوله (والعامه تسمى المزايدة : راوية . وذلك مذهب ابن السكيت في القول بالتخطئة ؛ على الرغم من اعترافه بان الناس يسون المزايدة راوية^(١١٢) .

ان هذا التباين في المواقف المتثل بالجواز والانتكار ازاء استعمال الراوية مرادفة للمزايدة بسبب التطور الدلالي ، انما هو ناتج عن اختلاف اللغويين في مقياس الصواب اللغوي من حيث التوسع والاختصاص بالمعنى الجديد او رفضه والمحافظة على القديم ومما يكن موقف المنكرين المتشدد ، فلا شك ان في اطلاق الراوية على المزايدة مجازا مرسلًا وهو اشر من ان يستدل عليه كما رأينا . وهذا ما تؤكد دراسة لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة^(١١٣) . ومعلوم ان المجاز المرسل صورة من صور التطور الدلالي الواضحة .

نموذج في مرادفات الداهية « دراسة » :

لعل من الامثلة الواضحة على حدوث الترادف بسبب المجاز والكناية ما نجده في ترادف الالفاظ الكثيرة على الداهية^(١١٥) ، وقد تناولنا بالدراسة

(١١٠) ادب الكاتب : ٦٥ - ٦٦

(١١١) لحن العوام : ٢٢٥ - ٢٢٧

(١١٢) الصحاح مادة روى : ٢٢٦٤/٦

(١١٣) تقويم اللسان : ١٢٢

(١١٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٦ - ٢٨٧

(١١٥) حول مرادفات الداهية الكثيرة والشواهد على استعمالها ينظر :

الغريب المصنف ، باب الدواهي واسماؤها ، ورقة ٢٢٨ أ - ب ، وكثر

الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ ، باب الدواهي : ص ٤٢٨ - ٤٢٧ ،

وقته اللغة ورسر العربية ، فصل في الدواهي : ص ٣٠٩ ، والالفاظ

الكتابية : ص ١٥٢ - ١٥٤ ، والمرصع : ص ٣٦١ - ٣٦٢ . والالفاظ

الترادفة : ٢١ ، ٣٥ - ٣٦ ، والمخصص : ١٢٦/١٢ - ١٤٧ .

جلة من هذه الالفاظ لتكون نموذجاً نبين فيه ما للجواز من اثر كبير في ترادف الالفاظ . فلو تأملنا هذه الالفاظ التي عدت مرادفات للداهية تبين لنا ان اغلبها ليس بالاسماء الاصلية لها ، وانما استعيرت للدلالة عليها لمناسبة ما . فقد اطلق على الداهية كثير من الاسماء المختلفة على سبيل المجاز ، وكني عنها بالمديد من الالفاظ لاعتبارات مختلفة ووجود متفاوتة ، بدلا من التعبير عنها باسمها الحقيقي الصريح . ولما كثر استعمال تلك الاسماء المجازية في معنى الداهية وطال العهد بها ، اندرت معانيها الاصلية او كادت تجهل ، فانقلت الى الدلالة على الداهية ، حتى صارت حقيقة فيها ، لا يلحظ فيها اي اثر للمجاز .

فمن اساء الداهية التي ترادفت على هذا النحو مثلا : « النَّيْرَبِ » التي اصلها النسيمة . يقول ابن دريد : « رجل ذو نيرب ، اي ذو نية واحله فيا يزعم بعض اهل اللغة من النرب ، والياء زائدة ، وربما سبت الداهية نَيْرَباً » (١١٦) .

وفي ضوء العلاقة بين المدلولين يمكن ان نقرر تسمية الداهية نيرباً بالمجاز المرسل الذي علاقته السببية ، وذلك باعتبار النسيمة سببا للداهية .

ومن مرادفات الداهية : أم حَبَوَ كَرَمٍ او حَبَوَ كَرِيٍّ او حَبَوَ كَرَانٍ . وتلثتني منها « أم » يقال : وقع في حَبَوَ كَرَمٍ . ويقال : جاء فلان بأم حبوكرى اي بالداهية . (واصله الرَّمْلَةُ التي يُفْخَلُ فيها ، ثم صرفت الى الدواهي .) على حد قول ابن الكيت (١١٧) . وهذا الترادف يمكن

(١١٦) الجمهرة : ٢٧٧/١ ، والمزهر : ٤٣٢/١ . وفي اللسان مادة نرب : ٧٥٥/١ ان النرب هو الشر والنميمة ، ونرب الرجل : سمي ونم ، ورجل نيرب وذو نيرب اي ذو شر ونميمة ، وامرأة نيربة ، والنيربة النميمة .

(١١٧) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ : ص ٤٣٢ ، والمخصص : ١٤٤/١٢ ، وينظر : اللسان مادة حبوكر : ١٦٢/٤ ، والدررة الفاخرة في الامثال السائرة ، لحمزة الاصفهانى : ٤٨٥/٢ ، وجمهرة الامثال لابن حلال

تفسيره ايضا بالمجاز المرسل للعلاقة البيية بينهما . وذلك باعتبار هذه الرملة التي يضل فيها السالك سببا للداهية . أو باعتبار العلاقة المكانية .

كذلك من اسائها : (الدهيم) يقال : جاء بالدهيم اي بالداهية . والدهيم كانت في الاصل اسم ناقة ثم استعيرت فيما بعد للدلالة على كل داهية . وسبب ذلك كما ذكروا ان قوما من العرب خرجوا للغزو فقتل منهم سبعة اخوة ، فحلت رؤوسهم على ناقة عمرو بن الزبان واسما الدهيم ، حتى رجعت بهم . ثم صارت الدهيم : مثلا في كل داهية وصارت علما لها نتيجة اقترانها بهذه الحادثة (١١٨) . وكتب اللغة والامثال تكاد تجمع على سبب تسمية الداهية بالدهيم على هذا الوجه ، ومثل هذا تسمية الداهية باللتيا والتي وهي الداهية الكبيرة والصغيرة وكني عن الكبيرة بلفظ تصغير تشبها بالحية : فانها اذا كثر سها صغرت . لان السم يأكل جدها . وقيل الاصل فيه ان رجلا تزوج امرأة قصيرة ، فقاسى منها الشدائد وكان يعبر عنها بالتصغير ، فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة ، فطلقها وقال : بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدا . فجرى ذلك على الداهية . وفي الامثال : جاء بعد اللتيا والتي ، يكفى بها عن الشدة ، وهما علمان للداهية ، ولهذا استغنيا عن الصلة (١١٩) .

ومن اسائها : « الفاقرة » يقال : عمل به الفاقرة أي الداهية . وقد جاءت في قوله تعالى : (تَطْنِنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةً) (١٢٠) . قال ابو

العسكري : ٤٧/١ ، ومجمع الامثال للميداني : ٣٦١/٢ . والمرصع : ص ١٤٠ .

(١١٨) اللسان مادة دهم : ٢١١/١٢ - ٢١٢ ، وكنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، والمزهر ٢/٢٥٦ ، وجمهرة الامثال : ٤٧/١ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ٢٩٣ ، ومجمع الامثال : ١٥٦/١ ، ٢٠٥ ، والدرة الفاخرة في الامثال السائرة : ١٠٤/١ ، ٢٤٠ - ٢٤١ ، والمرصع : ص ١٦٩ .

(١١٩) مجمع الامثال : ٩٢/١ ، ١٦٤ ، وينظر : جمهرة الامثال ١/٢٢٣-٢٢٤ (١٢٠) سورة القيامة : آية ٢٥ .

اسحق في معناها : « توطن ان يفعل بها داهية من العذاب ونحو ذلك »
 واصل « الفارقة من التفتّر وهو الوسم الذي يتفتّر الأنف » ، وعي اذلال
 البعير وترويضه من قولهم : « قد فتّرت أنف البعير أفقيره ، اذا حرك رزته
 بحديد او مروءة ثم وضعت على موضع الحزء الجريء وعليه وتر مكلوي »
 لتذله به وترويضه . ومنه قيل : عسل به الفارقة » ، بمعنى الداهية (١٢١) .

وهنا انتقلت دلالة الكلمة من المجال المادي الى المجال المعنوي . وواضح
 ان في تسمية الداهية فارقة مجازا علاقته المشابهة ، اي انهم شبهوا الداهية
 بالفارقة التي تعمل للبعير .

ومن اسمائها : « سلاّ جمل » وقد بين ابن الكيت الوجه في الطلاق
 هذه التسمية على الداهية بقوله : (وقع فلان في سلاّ جمل اذا وقع في امر
 وداهية لم يثر مثلها ولا وجه له ، لان الجمل لا يكون له سلا : انا هو
 للناقاة فثبه ما وقع فيه بما لا يكون ولا يرى) (١٢٢) ، وجاء في اللسان :
 (وقع القوم في سلاّ جمل ، ووقع في سلى جمل اي في امر لا مخرّج له
 لان الجمل لا سلى له ، وانا يكون للناقاة) (١٢٣) ، وكذا جاء في كتب
 الامثال (١٢٤) .

ومن اسمائها : « عرقّ القربة » يقال : لتقيّ منه عرقّ القربة ،

(١٢١) اصلاح المنطق : ص ٢٥١ ، وكنز الحفاظ : ص ٤٢٦ ، واللسان مادة
 فقر : ٦٢/٥ ، ٦٤ .

(١٢٢) كنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، وفيه : « قال ابو بكر : والحواب ان يكتب
 بالياء لانه يقال شاة سليات » وفي شرح التبريزي (سلى) بدلا من سلا ،
 ص ٢٨ . وفي نقه اللغة وسر العربية : « وقعوا في سلى جمل »
 ايضا . ص ٣٠٩ ، وكذا في اللسان وبعض كتب الامثال .

(١٢٣) اللسان : مادة سلا : ٣٩٦/١٤ . وينظر : المخصص : ١٢٨/١٢ .

(١٢٤) الدرّة الفاخرة : ٢٩٩/١ ، وجبهة الامثال : ٦٤/٢ ، ٣٢٦ ، ومجمع
 الامثال : ٢٦٠/٢ .

اي امرا شديدا^(١٢٥) . ولاهل اللغة اراء مختلفة بشأن هذه التسمية والاصل فيها .

قال الكسائي عرق القربة اي يقول نَصَبْتُ لك وتكلفت وتعبت حتى عَرِقْتُ كعرق القربة ، وعرقها سيلان مائها . وقال ابو عبيدة : تكلفت اليك ما لا يبلغه احد حتى تجشمت ما لا يكون لأن القربة لا تعرق . وقال الاصمعي عرق القربة معناه الشدة ولا ادري ما أصله . وقيل اراد اني قصدتك وسافرت اليك واحتجت الي عرق القربة وهو ماؤها . وقيل : لقيت منه عرق القربة اي شدة ومشقة ، معناه ان القربة اذا عرقت وهي مدهونة خبث ريحها . وقال ابن الاعرابي : كلفت اليك عرق القربة وعلق القربة ، فاما عرقها فعرك بها عن جيد حلينا ، وذلك لان اشد الاعمال عندهم السقي . وقال الجوهري فيها : العرق انما هو للرجل لا للقربة ، وأصله ان القرب انما تحملها الأماء الزوافر ومن لا معين له ، وربما افتقر الرجل الكريم واحتاج اني حلها بنفسه فيعرق لما يلحته من المشقة والحياء من الناس ، فيقال : تجشمت لك عرق القربة . وقيل غير ذلك^(١٢٦) . وايا كان الوجه فهذه التسمية ليست حقيقية وذلك بدلالة ما جاء في اللسان من ان العرق هو ما جرى من اصول الشعر من ماء الجلد ، هو في الحيوان اصل وفيا سواه مستعار^(١٢٧) .

ومن اسماها : « أم ادْرَاص » يقال : وقع في ام ادراص وهي الدواهي واصله جِجْرَة الفأر . ووقع في ام ادْرَاص مُشَلَّلَة اي في موضع استحكام الهلكة . يضرب ذلك في موضع الشدة والبلاء . لان ام ادراص ججرة محشية ، اي مלאى ترابا ، فهي ملتبة ، والدَّرْص هو ولد الفأر واليربوع والقنفذ

(١٢٥) كنز الحفاظ : ٤٢١ .

(١٢٦) اللسان : مادة عرق : ٢٤٠/١ - ٢٤١ ، وينظر مجمع الامثال ١٢٧/١

وجمهرة الامثال : ١٩٨/٢ .

(١٢٧) اللسان مادة عرق ٢٤٠/١ .

والارنب ونحوها ، وأم ادراعص : اليربوع^(١٢٨) . ونحو هذا ما جاء في كتب الامثال^(١٢٩) .

ومن اسائها : « الصل » ، واصله الحية التي تقتل من ساعتها ، وقيل الحية التي لا تنفع فيها الرقبة^(١٣٠) . وعلى هذا تكون تسمية الداهية بالصل مجازا علاقته المشابهة .

ومن اسائها : « الرقيم » يقال : وقع فلان في الرقيم الرقشاء ، اي في الداهية الدهياء . واللغويون اذ ينصون على ان الرقم هي الداهية ، لا يبنون الوجه في اطلاق هذه اللفظة على الداهية . ومن السهولة معرفة المناسبة في هذه التسمية ، اذا ما علمنا ان الرقم هي الحية الرقشاء وهي من اجث الحيات واطلبها للناس^(١٣١) . وبهذا يكون استعمال الرقم بمعنى الداهية قد جرى على وجه الاستعارة لعلاقة المشابهة ايضا .

ويصدق هذا التشير على تسمية الداهية بـ « أم الرديقت » يقال : جاء بأم الربيق على أريقت . يضرب مثلا للرجل يجيء بالداهية وهي أم الرديقت ، وأريقت تصغير أو رقت . وقد ذكر الاصمعي ان الاورق شر الابل ، وقال : تزعم العرب انه من قول رجل رأى الغول على جبل أو رقت ، فقال : جاء أم الربيق على اريق ، والرديقتة في الاصل عثوة في جبل تجعل في عتق لبيبة او يدها تسكها ، وقيل ان الرديقت والرديقتة ، الجبل والحلقة تشد بها الغنم الصغار لتلا ترضع^(١٣٢) .

(١٢٨) كنز الحفاظ : ص ٩٢ ، ٤٣٢ . واللسان مادة در ص : ٣٥/٧ .
(١٢٩) الدرر الفاخرة : ٤٨٥/٢ ، وجمهرة الامثال : ٤٣/١ ، ٤٧ ، ٨/٢ ،
ومجمع الامثال : ٣٣١/١ ، المرصع : ٥٩ ، ١٦٧ .
(١٣٠) كنز الحفاظ : ص ٤٣٢ ، واللسان مادة صل : ٣٨٥/١١ ، وينظر :
جمهرة الامثال : ٣٥٧/٢ ، ومجمع الامثال : ٢٧/١ .
(١٣١) كنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، واللسان مادة رقم : ٢٤٩/١٢ - ٢٥٠ ،
وينظر : جمهرة الامثال : ٤٧/١ ، والمرصع : ص ١٨٦ ، ١٨٨ والمخصص
١٣٩/١٢ . ومجمع الامثال ١٢/١ ، ١٦٩ ، والدرر الفاخرة : ٤٨٥/٢ .
(١٣٢) كنز الحفاظ : ٤٣٠ - ٤٣١ ، والمخصص : ١٤٤/١٢ ، واللسان : مادة
ربق : ١١٢/١٠ - ١١٤ ، ومادة ارق : ٥/١٠ .

وقال ابو عبيد : ام الربيق الداهية ، واصله من الحيات وقال الميداني :
 هذا التركيب يدل على شيء يحيط بالشيء ويدور به كالرَبْقَة ، ورَبَقْت
 فلانا في هذا الامر ، اي اوقعته فيه حتى ارتَبَقَ وارْتَبَكَ ، فكان أم الربيق
 داهية تحيط وتدور بالناس حتى يرتبقوا ويرتبكوا فيها (١٣٣) . وارجح هذه
 الوجود ما ذكره الميداني بدلالة ما جاء في اللسان من معنى الربق في الاصل .

ومن اسائها : « أم طَبَق واحدى بنات طَبَق » يقال : لتيت منه
 بناتِ طَبَق وهي الداهية ، وجاء باحدى بنات طبق اي الداهية . ويروى ان
 اصلها الحية ، اي انها استدارت حتى صارت مثل الطَّبَق . وقيل بنت
 طبق سَلْحَنَاء ، تزعم العرب انها تبيض تسعا وتسعين بيضة كلبا سَلْحِنِف ،
 وتبيض بيضة تَنْقُف عن اسود ، اي عن حية . وقيل : قيل للحيات بنات
 طبق لاطباقها على من تلمعه ، وقيل انا قيل لها بنات طبق لان الهواء يسكها
 تحت اطباق الأسنفاط المَجَكَّدَة (١٣٤) .

ومن اسائها « صَسَام » يقال للرجل يجيء بالداهية : صَمِي
 صَسَام ، اي اخري يا صام . واصلها الحية فيا يقال ، فكأنه قيل لا
 تجيبي الراقي ايتها الحية ودومي على حالك وبذلك تتم الداهية (١٣٥) .

ومثل هذا قولهم للداهية « ابنة الجبل » يقال : صي ابنة الجبل ، اي

(١٣٣) مجمع الامثال : ١٦٩/١ ، وينظر : الدرر الفاخرة : ٤٨٤/٢ ، وجميرة
 الامثال : ٤٧/١ ، والمرصع : ص ١٨٥ .

(١٣٤) كنز الحفاظ : ص ٤٣٥ ، والمخصص : ١٤٥/١٢ ، واللسان مادة طبق :
 ٢١٣/١ - ٢١٤ ، وينظر : الدرر الفاخرة : ٥٠٣/٢ ، وجميرة الامثال :
 ٤٢/١ ، ١٨٠ ، والمرصع : ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(١٣٥) كنز الحفاظ : ص ٤٣٥ ، واللسان مادة صم : ٢٤٤/١٢ - ٢٤٥ ،
 وينظر الدرر الفاخرة : ٤٩٦/٢ ، وجميرة الامثال : ٥٧٨/١ ، ومجمع
 الامثال : ٢٩٦/١ ، والمرصع : ص ٢٢٢ .

لخرسي ايتها الداهية ، واصليا الحية ايضا ، لان الجبل مأواها . وقيل ان
الاصل في « ابنة الجبل الحية التي لا تجيب الراقي » وقيل : قيل للداهية :
ابنة الجبل لانها تثقل كأنها جبل . وقيل ان ابنة الجبل هي الصدى ، وهو
الصوت الذي يرجع اليك من الجبل .

وقيل غير ذلك^(١٣٦) ونرى ان الوجه في تسمية الداهية بهذا الاسم هو
اما تشبيه لها بالحية او بالجبل لثقله .

ويقال للداهية : « المؤيد » يقال : رماه الله باحدى الموائد والمآورد
اي الدواهي . وقد بين ابن كيسان الاصل فيها فقال ان مؤيد مشتعل
من الأيد وهو الشدة والقوة . واما مؤيد فن الؤاد وهو القتل
بالدفن . فهذان وجهان كل واحد منهما من اشتاق ليس من صاحبه . والذي
ذهب اليه ابو يوسف انهما شيء واحد قدمت الهزة فيه وأخرت . ويكون
كل واحد منهما على حياله في معنى الداهية^(١٣٧) .

ويقال لها : « العنّاق » واصليا دابة اصغر من الفهد تصيد كل شيء
حتى الطير : وتاكل اللحم وتمد من السباع . وقد استعيرت للدلالة على
الداهية والخيبة وذلك ان العناق هذا مائر لا خير فيه ، وفي المثل : « لقي
عنّاق الارض ، وأذّتي عناق » اي داهية قيل : يريد انها من الحيوان
الذي يضنّاد به اذا علم . وقيل ان العناق بمعنى الخيبة ، ومنه يقال : لقيت
اذني عناق اي داهية^(١٣٨) . يوضع العناق موضع الخيبة .

(١٣٦) كنز الحفاظ : ٢٥ - ٤٣٦ ، واللسان مادة جبل : ١١/٩٧ ، وينظر :
الدرّة الفاخرة : ٢/٤٩٩ ، جمهرة الامثال : ١/٤١ ، ٢١٤ ٥٧٨ ، مجمع
الامثال : ١/٣٩٤ ، المرصع : ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(١٣٧) كنز الحفاظ : ص ٤٣٤ ، وقول ابن كيسان هذا من جملة ملاحظاته
اللفظية على الفاظ ابن السكيت والطبوعة بحواشي الكتاب والتقصود
بابي يوسف ابن السكيت . وينظر : اللسان مادة ايد : ٢/٧٦ - ٧٧ ،
ومادة واد : ٢/٤٤٢ ، ومادة اود : ٢/٧٤ - ٧٥ .

(١٣٨) كنز الحفاظ : ص ٤٣٦ ، واللسان مادة عنق : ١٠/٢٧٥-٢٧٦ وينظر :
مجمع الامثال : ١/١٦٢ .

ويقال لها : « العنقاء » واسمها طائر ضخم ليس بالعقاب ، وقيل
 «العنقاء اسم لا مسمى له ، وقيل : إنها طائر كانت تنقض على الطير فتأكلها فبجاعت
 وانقضت على صبي فذهبت به فضربتيا العرب مثلا للداهية فقالت : طارت
 بهم العنقاء وألوت به العنقاء . وقيل فيها غير ذلك (١٣٩) .

ويقال لها : « أم مَبْثُور وأم مَبْجَار » وهي في الاصل : الهَفْصَبَة
 التي ليس لها منفذ ، شبه بها الامر الملبس كالداهية والحرب الشديدة .
 يقال وقع التوم في أم مَبْثُور اي في امر ملبس شديد ليس له منفذ كهذه
 البغبة التي لا منفذ لها . وتروى احيانا « أم مَبْثُور » بالياء ، قيل كانها
 مشتقة من العَيَّارة وهي الحجارة النليظة المجتمعة الشديدة (١٤٠) .

ويقال لها : « تَعْلَسٌ » وتروى « تَعْلَسٌ » يقال : سقط فلان في
 تَعْلَسٌ وهي الداهية . والفكس هو ظلمة اخر الليل اذا اختلطت بضوء
 الصباح . وقد كانت الغارات تقع بعكس اي بكرة . وعلى هذا تكون تسمية
 الداهية بهذا الاسم على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الزمانية ، واما اذا
 كان « تفلس » اسم واد كما قيل ، فتكون علاقة المجاز عندئذ المكانيه (١٤١) .

ويقال لها : « أُغْوَرِيَّةٌ » ومنه قولهم : وقع فلان في أُغْوَرِيَّةٍ ، اي في
 داهية والاعوية كالمُغْوَرَاة وهي حثيرة كالزبدية تحترق للذئب ويجعل
 فيها جدي ، اذا نظر الذئب اليه سقط عليه ، يريد فيضاد ، وفي الامثال من
 حفر مغواة وقع فيها ، ومن هذا قيل لكل مهلكة مُغْوَرَاة على
 التشبيه (١٤٢) .

(١٣٩) كنز الحفاظ : ص ٢٦ ، واللسان مادة عنق : ٢٧٦/١٠ ، وينظر :
 جبهة الامثال : ١٦/٢ .

(١٤٠) كنز الحفاظ : ص ٩٦ ، واللسان مادة صبر : ٤٤١/٤ - ٤٤٢ ، وينظر :
 المخصص : ١٣٩/١٢ ، والمرصع : ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١٤١) كنز الحفاظ : ص ٩٢ ، واللسان مادة غلس : ١٥٦/٦ ، ومادة تفلس :
 ٣٣/٦ ، وينظر : مجمع الامثال : ٣٦٩/٢ .

(١٤٢) كنز الحفاظ : ص ٤٢٢ ، واللسان مادة غوي : ١٤١/١٥ - ١٤٢ ،
 وينظر : جبهة الامثال : ٢٨٩/٢ .

ويقال لها « الزَّبِير » يقال : جاء بالزبير اي بالداهية . واصل
الزبيرة : الشعر الذي بين كتفي الاسد . وقيل : هو شعر مجتمع على
موضع الكاهل من الاسد وفي مِرْفَتَيْهِ ، وكل شعر يكون كذلك مجتمعا
فهو زُبيرة^(١٤٣) . وتسمية الداهية زبيراً استعارة ، بيد انه يسبب ان
تسدل على العلاقة بينهما ولعلها الشدة والقوة لانه يقال للرجل الشديد
القوي الزبير والزبير .

ويقال لها : زَبَاءٌ ذاتٌ وَبَرٌ ، تشبها لها بالناقة النفور لصعوبتها ،
اذ ان الأزب هو الكثير الوبر والشعر من النوق ، لا يكاد يكون الا ثوراً ،
لانه يبت على حاجبيه شعيرات ، فاذا ضربته الريح هز .

وفي المثال : كل أَرْبٍ تَنُثُورُ وانثر من أَرْبٍ . لان البعير الازب
يرى طول الشعر على عينيه فيحبه شخصاً ، فهو فافر ابداً . وقال ابن
الاعرابي : الأزب من الابل : شر الابل وانثرها تثار^(١٤٤) .

ومن اساء الداهية التي تروجا كتب اللغة « القِنَطِيرُ والقِنَطِيرِ »
يقال : جاء فلان بالقنطر او بالقنطير اي بالداهية . ولم تستدل على اصلها ،
ولعلها من قطر بمعنى رماد على قطريه اي جانبيه حيث يقال : طعنه فقطره ،
أي القاد على قطره اي جانبه ، فتقطر اي سقط ، ثم استعيرت للداهية باعتبار
انها تقطر بصاحبها^(١٤٥) .

(١٤٣) كنز الحفاظ : ص ٤٢٢ ، اللسان مادة زبر : ٢١٦/٤ - ٢١٧ .
(١٤٤) كنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، واللسان مادة زب : (١/٤٤٤) ، وينظر :
الدرة الفاخرة : ٢/٣٦٨ ، وجبيرة الامثال : ١٥٤/٢ ، ٢١٧ ، ومجمع
الامثال ٢/٣٥٥ .

(١٤٥) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ وكنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، واللسان مادة
قطر : ١٠٦/٥ - ١٠٧ ، ومادة قنطر : ١١٨/٥ - ١١٩ .

ومن اسمائها « الأُرْبِيُّ » وفي اطلاق الاربي على الداھية وجهان كلاهما على الاستعارة ، ففي اما من قولهم : ارب في ذلك الامر ، اي بلخ فيه جهده وطاقته وفطن له ، لأن اصل الأُرْب هو الدهاء والمكر . وأما ان تكون كالأُرْبِيَّة وهي العقدة^(١٤٦) ، فاستمرت للداھية على التشبيه ويبدو ان هذا الوجه هو الاقرب .

ومن اسمائها : « الطَّلَاطِلَة » يقال : رماه الله بالطلاطلة اي بالداھية : واحلها الداء العضال الذي لا دواء له ، وقيل انها سقوط اللهاة^(١٤٧) . وعلى هذا فاملاق هذه التسمية على الداھية تشبه لها بهذا المرض العضال او لأن هذا الداء مسبب للداھية . وايا كان الوجه فالعلاقة بين المدلولين قريبة .

ومنها « ذات العراقي » يقال : لقيت منه ذات العراقي اي الداھية . قيل سبت بذلك لأن ذات العراقي هي الدلو ، والدلو من اسماء الداھية . وقيل : ان العرقوة والعراقي من الجبال : الغليظ الصعب المرتقى ، وبه سبت الداھية ذات العراقي ، كما قال الازھري^(١٤٨) .

ومنها « الذَّرْبِيَّة » وفيها عدة صور ، يقال : لقيت منه الذريبا ، والذَّرْبِيَّين والذَّرْبِيَّ ، اي الداھية . وهذه التسمية على الاستعارة ايضا أخذنا من قولهم : ضرب الجرح اذا فسد واتسع ولم يقبل البرء والدواء ، ومنه الذريبا بمعنى الداھية كما ورد في اللسان^(١٤٩) .

ومنها « ثالثة الأثافي » يقال : رماه الله بثالثة الاثافي ، اي بالداھية وقد سبت بها على الاستعارة ايضا ، ذلك ان حقيقة « ثالثة الاثافي » هي الجبل

(١٤٦) كنز الحفاظ : ص ٤٢٩ ، واللسان مادة ارب : ٢٠٩/١ ، ٢١١ ، وينظر : جبهة الامثال : ٣١٢/١ .

(١٤٧) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ ، وكنز الحفاظ : ص ٤٢٨ ، واللسان مادة طلل : ٤٠٨/١١ ، وينظر : مجمع الامثال : ٣٠٤/١ .

(١٤٨) كنز الحفاظ ص ٤٣٢ ، واللسان مادة عرق : ٢٤٨/١٠ - ٢٤٩ ، وينظر : المرصع : ص ٢٥٨ .

(١٤٩) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ ب وكنز الحفاظ : ص ٤٣٢ ، واللسان مادة ضرب : ٢٨٧/١ .

أو القطعة منه ، شبت الداهية به . قال ابن كيسان : سألت أبا العباس عن
ثالثة الاثافي فقال : الجبل تجعل صخرتان الى جانبه وتنصب عليه وعليهما
القدر ، فهو ثالث للشمسيتين اللتين جعلتا الى جنبه وهو اعظم الاثافي (١٥٠) .
وقال الميداني بشأن قولهم : رماه الله بثالثة الاثافي ، انه يضرب لمن رمى
بداية عظيمة ، لان الاثافي ثلاثة احجار ، فاذا رماه بالثالثة وهي القطعة من
الجبل فقد بلغ النهاية (١٥١) .

ومنها : « وامئة » يقال : وقع في وامئة اي في داهية (١٥٢) . ويقول
ابن سيدة في هذا الاسم : « أراه اسما لاني لم اسح له فعلا » ولم نستدل
على اصله ، ولعله من قولهم : ومى بالشيء اذا ذهب به (١٥٣) ، ثم سبت
الداهية به على الاستعارة .

ومنها : « الفليقة » وفيها عدة صور لفظية . يقال : جاء بالفليقة اي
بالداهية . وتقول العرب ايضا : يا للفليقة بمعنى الداهية (١٥٤) . واصلاها
الكتية العظيمة . وقيل : هي الكثيرة السلاح . وقيل : هي الجيش
العظيم (١٥٥) . وكل هذه متقاربة . وواضح ان في اطلاق هذه اللفظة على
الداهية استعارة علاقتها المشابهة .

وهناك الكثير من الالفاظ الاخرى التي سبت بها الداهية على هذا

(١٥٠) كثر الحفاظ : ص ٤٣٥ ، فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٩ ، اللسان
مادة ثفا : ١١٣/١٤ - ١١٤ .

(١٥١) مجمع الامثال : ٢٨٧/١ ، وينظر : جوهرة الامثال ١/٤٧٨ - ٤٧٩ .
(١٥٢) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ ، وكثر الحفاظ : ص ٤٣٢ ، واللسان
مادة وما : ٢٠١/١ .

(١٥٣) اللسان : مادة وما : ٢٠١/١ - ٢٠٢ ، وينظر : مادة ومي : ٢٠١/١ - ٢٠٢ .
(١٥٤) الغريب المصنف : ورقة ٢٢٨ ، وكثر الحفاظ : ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ،
وفقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٩ ، واللسان مادة فلق : ٣١١/١ -
(١٥٥) اللسان : مادة فلق : ٣١١/١ - ٣١٢ .

النحو ، ثم صارت اعلاما لها نتيجة التطور اللغوي . وقد نص بعض اللغويين
كخزعة الاصفهاني على طائفة منها بأنها كنى للداهية^(١٥٦) .

يتضح لنا من هذه الدراسة ان معظم مرادفات الداهية ليست اصيلة من
حيث الدلالة عليها ، وانما سبت بها على سبيل المجاز والكناية ، وما الى ذلك
من وجوه التجوز في تسمية الشيء ، ولكثرة الاستعمال وغلبته ، تنوسي
الاسل في هذه الاسماء حتى صارت حقيقة في الداهية . واذا كان باستطاعة
البحث اللغوي التاريخي ان يكشف لنا الصفة المجازية في طائفة من اسماء
الداهية ، مينا سبل انتقالها وتطورها من معانيها الحقيقية الى معنى الداهية ،
فشة اسماء اخرى للداهية تعذر بيان ذلك فيها ، اذ يصعب التعرف على الوجوه
والسبل التي سوغت انتقالها من معانيها الاصلية الى الدلالة على الداهية ، ذلك
ان اللغويين غالبا ما يسوقون الالفاظ الكثيرة على انها اسماء للداهية
ويستشهدون بالنصوص اللغوية على ذلك دون بيان الاصل فيها ، وان
اشاروا اليه احيانا ، فيبدو بعيدا عن معنى الداهية ، اذ انهم لا يبينون العلاقة
بين ذلك المعنى والداهية ولا سبل انتقاله اليها . ولهذا لا نستطيع في كثير
من الاحيان ان نوجه المناسبة في استعارة هذه الالفاظ للداهية . وكما ان
كتب اللغة ومعاجيبها القديمة لا تشير الى التوصل الى هذا المعنى المجازي ،
ولا الى الظروف او الحال الذي يسر هذا الانتقال من الحقيقة الى المجاز . والنظر
في المعجم العربي القديم لا يبيّن بهذه العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى
المجازي الذي اتهمت اليه المادة وخلصت له^(١٥٧) . ويضاف الى هذا ان البحث
في اصول تلك الالفاظ التي سبت بها الداهية وتنوسيت فيها الصفة المجازية
امر ليس باليسير ذلك انه يتطلب التوغل في العصور التاريخية والاملاص
على تلك الظروف اللغوية السحيقة ، والبحث في الحياة الاجتماعية والحضارية ،

(١٥٦) الدرّة الفاخرة في الامثال السائرة : ٢/٨٥ .

(١٥٧) التطور اللغوي التاريخي : ٢٧

من أجل معرفة طريقة انتقال معنى اللفظ من الاصل الحقيقي الى المجاز والظرف الذي تسبب في هذا الانتقال ، لتوصل الى ان هذه الاسماء للداهية وغيرها التي تبدو لنا حقيقة فيينا ، قد كانت في بدء استعمالها في الداهية مجازا . وهذا ما نجعل فيه الكثير ولقد سبق ان بينا الصعوبة في مثل هذا الامر . ولهذا كله صرنا نجد طائفة من الاسماء التي اطلقت للدلالة على كل داهية من غير ان نستدل على اصلها ، واذا عرفنا اصل بعضها فان ذلك يبدو بعيدا عن معنى الداهية بالنسبة لنا . ونحن - وان كنا لا نرتاب في عدم اصالة الكثير من اسماء الداهية - نجعل اصلها الحقيقي وطريقة انتقالها الى الدلالة على الداهية والظرف اللغوي الذي تسبب في هذا الانتقال وذلك للاسباب التي ذكرناها آتفا . ومثل الاصمعي لا يعرف اصل عرق القرية واصل الاقورين وهما من اسماء الداهية^(١٥٨) . ومن اجل ذلك تعددت تسميات اللغويين واختلقت في اطلاق طائفة من الاسماء على الداهية كما رأينا .

نخلص من هذا كله الى ان دور المجاز كبير ومهم في حدوث المرادفات الكثيرة للداهية . ولا أدل على ذلك من ان الداهية انما هي من اسماء المعنى وليت شيئا ماديا يمكن تشخيصه بالحواس كما هو الحال في اسماء الذات وان هذه الالفاظ الكثيرة التي سبت بها الداهية ، كانت في اصل حقيقتها ذات مدلولات حية مادية كما بينا . وما لاشك فيه ان انتقال دلالة اللفظ من المجال المادي الى المجال المعنوي المجرد انما هو مجاز . لان الدلالة المادية للفظ هي الاصل والحقيقة فيه ؛ وما سواها من المعاني تطور دلالي له . وتعد هذه الحقيقة من بدييات علم اللغة الحديث . يقول ستين اولمان في كيفية تغير المعنى : (ومن النماذج الشائعة للاستعارة استخدام الكلمات ذات المعاني المادية للدلالة على المعاني المجردة)^(١٥٩) . ان المجاز لا يفسر لنا حدوث الترادف حب وانما يعلل ايضا كثرته الى حد كبير ، وأوضح ما يتجلى هذا

(١٥٨) كنز الحفظ : ص ٤٣١ ، وينظر اللسان مادة : عرق : ٢٤١/١٠ ،
ومادة قور : ١٢٤/٥ .

(١٥٩) دور الكلمة في اللغة : ص ١٦٦ .

في نشأة المرادفات الكثيرة للداهية . ولهذا السبب كثرت اساء الداهية في العربية الى الحد الذي بلغت فيه مئات من الالفاظ . فقد جمع حمزة الاصفهانى من اسائها ما يزيد على اربعمائة اسم ، وعلق على هذه الكثرة متعجبا بان تكاثر اساء الدواهي من الدواهي .^(١٦٠) على انه يمكن تفسير هذه الكثرة بطبيعة المسى (الداهية) ووقعه في نفوسهم ، وبطبيعة الحياة العربية القاسية انذاك التي يتعرضون فيها لمختلف الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعية المؤذية والقاتلة . فالعلاقة قائمة وجد وثيقة بين الداهية ومظاهر بيئهم المادية والاجتماعية . فالحرب داهية وكذلك الغزو والثار والموت والمعاهات والامراض والكوارث الطبيعية والتعط والجوع والسنة المجذبة وقلّة المطر والكلال وكل ما يثير الخوف ويبب الاذى . ومن الدواهي عندهم ايضا بعض صنوف الحيوان وبعض اشكال الارض كأن تكون مضللة او صعبة المرتقى او لا منفذ لها او لاتبت شيئا ، وكذلك ضروب من الحيات والافاعي السامة والقاتلة الى غيرها من اعيان وشخوص بيئهم المادية التي اطلقوها على الداهية لصلة ما بينها . ولهذا كثيرا ما نجد الخلط والتداخل بين هذه المسيات والداهية ولا سيا بينها وبين اساء الحية والحرب والمعاهات والحيوان القاتل والصحراء بسبب الصلة الوثيقة بين مدلولات هذه المسيات والداهية ما سوغت لهم ان يستيروها للدلالة على الداهية غير ان الدلالة المادية لهذه الاساء بالنظر الى اصلها تجعلنا نتطع بعدم اصالة معظمها ، ما استعمل بمعنى الداهية الا تجوزا كما ذكرنا .

وهذه الكثرة في الواقع تعبر عن نظرة العرب الحسية الى مسى كالداهية ، وتكشف لنا نطا من تفكيرهم وعاداتهم ومجرى حياتهم وما فيها

(١٦٠) وذلك في كتابه : الموازنة بين العربية والفارسية وتارة يعرف باسم الخصائص وهو من الكتب غير المطبوعة . وتوجد منه قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٩٠ لغة) وتقع في حسين ورقة ، وبها خروم واوراقها بالية ، انظر انباء الرواة للقفلى : ٢٣٥/١ ، و ٢٢/٤ وفقه اللغة وسر العربية للشمالي : ٢٠٩ وانظر المزهري : ٢٢٥/١ . والدرة الفاخرة في الامثال السائرة : ٢٧/١ .

من ظواهر وحوادث وهي كذلك تبين لنا مدى علاقة اللغة بالبيئة المادية . وقد انعكس هذا كله على سلوكهم اللغوي فاستعاروا من بيئتهم المادية الصحراوية ومعالها الاجتماعية كثيرا من اسماء شخوصها واعيانها ، وكنوا بها عن الداهية اول الامر ، ثم صارت اعلاما لها فيما بعد ، وهذا ما يفصح لنا عن طريقة العرب الاقدمين في اطلاق العلم والشهرة وعن طبيعة تصورهم للداهية ، وهو ما اشار اليه استاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في تعليقه على مترادفات الداهية التي ذكرها ابن الاثير في كتابه (المرصع) ، بقوله (انا على سبيل المثال تبين من الكتاب كيف تصور العرب « الداهية » هذا الكيان المعنى المجهول الذي تخيلوه على هيئات مختلفة . فهو تارة انسي واخرى حيواني وطورا شيء اخر من شخوص الطبيعة الحية .) (١٦١)

وما ينبغي ذكره ان هذه الاسماء ليست جميعها مترادفة حقا كما سنرى فيما بعد . وقد حدث مثل هذا الامر لطائفة من المسيمات في لغات اخرى . فنشأة المترادفات الدالة على الداهية في العربية وكثرتها بسبب المجاز والكناية يماثلها حدوث المترادفات التي تدل على الموت في اللغة الانكليزية للسبب نفسه مع الفارق في الكثرة بالنسبة الى العربية (١٦٢) . فقد ذكر استيغن اولمان (Stephen Ullmann) ان ثمة موضوعات معينة تكون مراكز لتجمع المترادفات حولها بسبب اهميتها في المجتمع والحياة ، ومثل لهذا بعدة مسيمات في الانكليزية والفرنسية ما له مجاميع من المترادفات كفكرة (الموت) التي وصفها بانها مركز دائم لجذب الترادف بسبب اهميتها . ثم اشار المؤلف بعد ذلك الى دور المجاز والكناية في مجموعة المترادفات الدالة على هذا المعنى معززا قوله بالامثلة (١٦٣) وقد علل كثرة مرادفات الموت تعليلا وجيها حين

(١٦١) المرصع ، لابن الاثير : ١٥

(١٦٢) حول اسماء الموت ينظر : المخصص : ١١٩/٦ - ١٢٢ .

(١٦٣) Semantics an introduction of the science of meaning, p. 149 — 150.

قال : (والواقع ان الثروة الطائلة من المترادفات التي ولدتها جميع اللغات لتخفيف صدمة الموت ووقمه على النفس انما ترجع الى هذا القانون : قانون « الاستهلاك بكثرة الاستعمال » والحاجة الدائمة الى التجديد . وليس دور هذا القانون في هذا المضمار باقل من دور الموت نفسه ، ذلك المجال الذي يضطرنا الى التويع والتجديد في اصطلاحاته بسبب ماله من تأثير عاطفي) (١٦٤) .

ولا يقتصر المجاز على تفسير حدوث مترادفات الداهية والموت وحدهما بل يفسر ايضا طائفة اخرى من المترادفات لمسيات نحو الذئب والاسد والحية والشعب والحرب والزوجة والصحراء والجبل وغير ذلك . واكثر ما يتجلى هذا السبب في الاسماء المترادفة الدالة على الجنس وما يتصل به . اذ اننا نستطيع ان نفسر ترادف الكثير من هذه الالفاظ تبعا للتسمية المجازية وحيورتها الى حقيقة بفعل الاستعمال . ويبان ذلك ان معظم هذه الالفاظ المترادفة انما هي في الاصل كناية او مجاز يشيع ويتشر على ألسنة الناس حتى يصبح حقيقة ، ثم يسي بجاز اخر حتى يعود حقيقة في المسمى ايضا ، وهكذا تتعدد الالفاظ للمسمى الجنسي فتشأ من بعد مجموعة من المترادفات التي تدل عليه . ومرد ذلك الى ان المعاني الجنسية ومسمياتها مما يتخرج الناس في التعبير عنها باسائها الصريحة الموضوعية لها ، مراعاة للاداب الاجتماعية والاعتبارات الاخلاقية . ولهذا يلجؤون الى المجاز في التسمية ويستبدلون الكناية باللفظ الصريح . ثم تنسى الصيغة المجازية بمرور الزمن في هذه الاسماء وتصبح حقيقة في الشيء المسمى لكثرة استعمالهم اياها ، يعزى هذا التفسير ما حكاه ابو حيان التوحيدي عن ابن فارس ، حيث قال : (حدثني ابن فارس : جرى بين يديه اسماء الترج وكثرتها ، فقال بعض الحاضرين : ماذا ارادت العرب بتكثيرها مع قبحتها ؟ فقال : لما رأوا الشيء قبيحا جعلوا يكون عنه ، وكانت الكناية عند فئسوها تصير الى حد الاسم الاول ، فينتقلون الى كناية اخرى فاذا اتعت ايضا رأوا فيها من القبح مثل ماكنوا عنه من اجله ،

(١٦٤) دور الكلمة في اللغة : ص ١٧٨

وعلى هذا فكثر الكنايات ، وليس غرضهم تكثيرها (١٦٥) .

وقد وقعت الكناية عن الامور الجنية وما يتبع ذكره صراحة ، في القرآن الكريم ، حيث عدل عن التصريح بها باسمائها المعروفة المباشرة الى الكناية عنها في عدة مواضع . من ذلك كناية القرآن عما يخرج من الانسان بالفائط وذلك في قوله تعالى (او جاء احد منكم من الفائط) (١٦٦) واصله المكان المطنن من الارض . وكنى عن الاستاء بالادبار في قوله تعالى : « يضربون وجوههم وأدبارهم » (١٦٧) فقد اخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد في هذه الآية قال : يعني استاءهم ولكن الله يكني (١٦٨) . وحقيقة الدبر في اللغة هو تقيض القبل ، ودبر كل شيء خلاف قبله (١٦٩) ، ومثل هذا ما نجده في كناية القرآن عن الجوع بالعديد من اللفاظ المختلفة الواردة في الآيات الكريبات كما روي عن ابن عباس وغيره من علماء التفسير (١٧٠) . وفي اللغة الشيء الكثير من هذا ، حيث نجد العديد من اللفاظ للشيء الواحد لهذا السبب ولا سيما الجنس وما يستتبع ذكره حياء او خوفا .

وهذا الامر يبدو واضحا في اللغات الاوربية الحديثة ولا سيما اللغات الشمالية منها ، فالانكليزية مثلا تخرج من ان تعبر في لغة التخاطب عن (البطن) باسمه الصريح ، فتطلق عليه غالبا (The stomach) اي المعدة (١٧١) . وقد اشار فندريس الى ان هذا الامر واقع في لغات اخرى معللا تعدد التسمية

(١٦٥) مثالب الوزيرين ، اخلاق صاحب بن عباد وابن العميد . لابي حيان التوحيدي ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(١٦٦) سورة النساء آية ٢

(١٦٧) سورة الانفال آية ٥

(١٦٨) الاتقان في علوم القرآن : ٤٧/٢ وينظر الصاحبى .

(١٦٩) اللسان مادة دبر : ٢٦٨/٤

(١٧٠) الاتقان في علوم القرآن : ٤٧/٢

(١٧١) علم اللغة د . علي عبدالواحد وافي : ٢٢٩ ، وفيه ان اللغة اللاتينية لا تجد غضاظة في التعبير عن العورات والامور المستهجنة والاعمال الواجب سترها بببارات مكشوفة ، او في تسميتها باسمائها الصريحة .

في مثل هذه الامور بالمجاز والاستعارة ، وذاكرا ان أسماء أجزاء الجسم تمد
الميدان التقليدي لاتقالات المعنى ، وان عددا كبيرا منها يترجح في اللغات
المختلفة وينتقل بسهولة من عضو الى عضو او من جزء الى آخر . ثم ضرب
الامثلة لذلك ، وقال : (قد يوجد في بعض هذه الامثلة استعارة او بتعبير
افضل انتقال شعوري . فالذهن قد يضيف مختارا اسم احد الاعضاء الى
العضو الذي يجاوره لتعدد المزاج او لسبب آخر . ويمكننا ان نقطع بوقوع
الاستعارة اذا كانت الالفاظ تثير فكرة جنسية وفي هذه الحالة يمكن تفسيرها إما
بوازع من الحياء واما على العكس بسوء التصد^(١٧٢) وقد ذكر ايضا أن « أسماء
اعضاء الجسم المخزية وبصفة عامة الكلمات التي تطلق على افعال مشهورة ،
بقذارتها اشد من غيرها تعرضا للنقل . ويمكننا ان نقول ان الكلمات القذرة
عامة كثيرة التبادل . اللهم اذا كانت الكلمة المخجلة نفسها قد اطلقت على
مدلولها بطريق استعارة معلومة للتكلم . اذ لا يوجد في هذه الحالة سبيل
لاطلاقها على عضو آخر . وهي الناطق يجمع بينها كونها كلمات قذرة ، وهذا
تعريفها . فيمكن ان تستعمل دون قيد للدلالة على ابي جزء من الجسم مادام
قذرا . قد يكفي وجود شبه بعيد او جواز تافه لا يحس ليؤغ انتقال
الكلمة من معنى الى آخر » . وفي كل اللغات امثلة من هذه الظاهرة^(١٧٣) .

ومن هذا كله يتضح لنا السبب الحقيقي في كثرة الاسماء المترادفة
الدالة على الجنس التي حذلت بها المعجمات وكتب اللغة والتي بلغت العشرات
للمعنى الواحد وربما المئات . وبمثل هذا ايضا يمكن ان تفسر ترادف الاسماء
التي يتخوف منها او يستقبح ذكرها صراحة او كل ما يستحب فيه الكناية
والتلحيز لاسباب اجتماعية ونفسية مختلفة كالحب والحياء والخوف والتشاؤم
والتفاؤل وغيرها من الاسباب التي تحل الناس على التسمية المجازية . ولهذا
كثرت الاسماء التي تدل على الصحراء والاعشى والموت والمصائب وبعض
انواع الحيوان وكل ما يفر منه الانسان فيعدل عن التصريح به الى الكناية

(١٧٢) اللغة . فندريس : ٢٦٠ - ٢٦١

(١٧٣) اللغة . فندريس : ٢٦٠ - ٢٦١

عنه ثم ترادفت تلكم الاسماء بحكم التطور الدلالي ، وهذا ما يؤكد لنا عدم اصالة المترادفات التي نشأت على هذا النحو ، ولقد ذهب نثر من المحدثين العرب الى حدوث الترادف بسبب المجاز والاستعارة بيد انهم لم يربطوا ذلك بسألة التطور الدلالي ولم يبينوا علاقة العوامل الاجتماعية والنفسية واثرها في هذا السبب ، وأن من اشار منهم اليه لم يجعله صراحة من أسباب نشأة الترادف في اللغة (١٧٤) . على حين ان بعضهم قد اغفله تماما (١٧٥) .

ومن المحدثين الاجانب من تطرق الى ذلك فقد اشار اليه فندريس في عدة مواضع مؤكدا دور الاستعارة والكناية في تعدد التسمية بسبب العوامل الاجتماعية والنفسية (١٧٦) . وذهب استين اولمان الى هذا السبب صراحة في النصل الذي عتده لدراسة الترادف في طائفة من اللغات ، اذ ذكر ان الاستعارة (Metaphor) والكناية او حسن التعبير (Euphemism) من اسباب حدوث الترادف في اللغة . وقد اكد المؤلف في دراسته هذه دور الاستعارة الصورية - او المجاز الصوري القائم على المشابهة - في حدوث سلسلة واسعة من المرادفات للشيء ، وقد ضرب لذلك أمثلة مختلفة من اللغتين الانكليزية والفرنسية ، مبينا أن الكثير من هذه المرادفات مجازية في حقيقتها . ومن هذه مثلا مجموعة المترادفات التي تدل على البطل او الامير والمترادفات التي تدل على السفينة والبحر في الانكليزية القدية والمترادفات التي تدل على الغني والفقير والبخيل في اللهجات الفرنسية ، اضافة الى المترادفات الدالة على الموت في الانكليزية كما ذكرنا (١٧٧)

(١٧٤) انظر : الانداد في اللغة ، محمد حين آل ياسين : ٣٠ ، ٢٧ وعلم اللغة د . علي عبدالواحد وافي : ٢٣٩ وفتح اللغة وخصائص العربية ، محمد مبارك : ٢١٥ - ٢١٧ وفي اللهجات العربية د . ابراهيم انيس ١٩٦ وما بعدها .

(١٧٥) فصول في فقه العربية . رمضان عبدالنواب : ص ٢٧٩ وما بعدها .

(١٧٦) اللغة : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

Semantics (op. cit. p. 149 — 151).

(١٧٧)

وقد آورد المؤلف نفسه في مكان آخر أن الاستعارة - أي المجاز القائم على
المشابهة - تعد مصدرا من مصادر الترادف والمشارك اللفظي (١٧٨) .

وحين عرض لتغير المعنى قال « ان هناك حالات أخرى لا حصر لها
يكون تغير المعنى فيها غير مرتبط بأية حاجة عملية ، حيث لا يسئل هذا
التغير على سد النقص الموجود في الثروة اللفظية ، وإنما يضيف امثلة جديدة
الى المترادفات الموجودات بالفعل » (١٧٩) .

وفيما يتعلق بحقيقة ترادف الالفاظ في ضوء التطور الدلالي ينبغي القول
أنا إذا نظرنا إليها نظرة (تاريخية) - آخذين بنظر الاعتبار الاصول التاريخية
لدلالاتها - فأننا لا نجد ترادفا فيها ، أما إذا نظرنا إليها نظرة (وصفية) - آخذين
بنظر الاعتبار ما آلت اليه من دلالات - فأننا نلمس حقيقة ترادفها .

وهذا يعني ان حقيقة ظاهرة الترادف لا تظهر بوضوح الا من خلال
المنهج الوصفي ، وهو يعني ايضا ان الباحث اللغوي لا يستطيع ان يدرس
ظاهرة الترادف - في أية لغة - دراسة صحيحة الا في ضوء المنهج الوصفي ،
ذلك أنه لا عبرة للاصل التاريخي للكلمات في حالة الاستعمال اللغوي الآني
لها ، فقد يخبرنا الاثنائيون والباحثون في الاصول التاريخية للكلمات ان
هناك فروقا في الدلالة بين الالفاظ المترادفة بحسب الاصل ، غير ان هذه
النظرة قد تكون صحيحة تاريخيا ولكن لا أهمية لها في موضوعنا هذا لان
مستعمل اللغة لا يدركه ولا يشعر به كما ان (من المقرر أن وصف أية حالة
معينة من حالات اللغة يجب ان يكون دائما بمعزل عن مسألة الرجوع الى
الاصول التاريخية او احياء هذه الاصول ، كما انه لا أمل لنا البتة في الحصول
على صورة حقيقية لنظام اللغة الا اذا شعرنا بشعور المتكلم ووضعنا أنفسنا
مكانه) (١٨٠) .

Ibid., p. 212.

(١٧٨)

(١٧٩) دور الكلمة في اللغة - ص ١٥٢

(١٨٠) دور الكلمة في اللغة ص ١١٣

الصفات الغالبة

يلاحظ في موضوع التسمية وتعددتها أنه كلما حظي الشيء المسمى بسكينة كبيرة ، أو كانت له أهمية خاصة عند الناس ، كثرت أساؤدها لوجوه استخدامه وتنوع احواله وصفاته ، و (إذا تعددت وجود الاستعمال لحيوان ما تعددت اسماؤه) (١٨١) . وقد تمثل هذا الامر الطبيعي في اللغة وظهر اثره في مفرداتها بوصفها اداة للتعبير عن الواقع الاجتماعي وما فيه ، وذلك ما نجده في مسميات من نحو السيف والجمال والناقة والعسل والخمر والصحراء والاسد والذئب والحية وغير ذلك من الظواهر الحيوية او الطبيعية التي تصور اهم جوانب الحياة العربية انذاك . فلا شك ان مثل هذه المسميات قد كانت من معالم الحياة العربية البارزة ، ومن اماراتها الواضحة ، فيها عرفت واشتهرت وكان لها شأن اياما شأن في حياة العرب القديمة ، حتى صارت اعلاما يستدل بها عليها ، وسمات تميزها من غيرها . ومن هنا تبدو لنا ضرورة الربط بين كثرة اسماء الشيء وتعدد نعوته وبين ما له من مكانة او أهمية في حياة القوم ، فبين الاثنين علاقة وثيقة تلحها متشكلة في كثرة الالفاظ التي تعبر عنه متى كان وثيق الصلة بحياتهم ، اثير المنزلة عندهم .

وفي ضوء هذه العلاقة نستطيع ان نفهم ظاهرة حدوث الترادف في طائفة من الالفاظ ، تلك الظاهرة التي لا تعدو ان تكون تعبيراً عن طبيعة البيئة العربية وانعكاساً لأهم مظاهرها ، وهذا أمر قد اغفله الدارسون في تفسيرهم للترادف ، مقتصرين على الجانب اللغوي ، في حين لا يمكن فصل هذه الظاهرة عن طابع الحياة العربية بآية حال ، ولا يصح تفسيرها بمعزل عما عرفت به ، فكان لابد من النظر الى تعدد الالفاظ والصفات التي تدل على هذه المسميات في ضوء أهميتها وعلاقتها بالبيئة العربية . فاذا ما اخفنا الى هذا الامر الذي اوجد كثيرا من الصفات والالفاظ للمسمى الواحد ،

(١٨١) الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٩٥

التطور اللغوي ، امكنا معرفة علاقة الصفة بنشأة الترادف وادراك حقيقة
الخلاف في ذلك .

ان استقراء الالفاظ المترادفة والتأمل فيها من الناحية اللغوية التاريخية،
يظهر لنا بجلاء ان طائفة كبيرة منها قد كانت صفات للمسمى ثم جرت مجرى
الاسماء له على وجه الغلبة ، فعدت من باب المترادف بفعل الاستعمال وقد
اثارت هذه المسألة جدلا واسعا لدى علماء اللغة ، أساء هي أم صفات ؟
فذهب من انكروا الترادف الى انها صفات ، ملاحظين فيها معنى الوصفية .
اما القائلون بالترادف فمنهم من اخرجها من المترادفات للسبب نفسه ، ومنهم
من عدّها مترادفة شأنها شأن الاسماء لا فرق . ومن المتأخرين من رأى انها
غير ذلك ، وانما هي قسم اخر سماه «التكافؤ» ومن هذا الضرب اسماء
الله تعالى واسماء رسوله (ص) (١٨٢) . وقد سبقت الاشارة اليه في الفصل
الاول .

ومبعث خلافهم فيها أن الاسم يدل على ذات المسمى على سبيل التجريد
لا لمعنى فيه ، في حين تدل الصفة على الشيء وتشير الى معنى خاص فيه .
فقد (يوجد من الاسماء ما يطلق على المسمى بالوضع أسما للذات لا لمعنى
فيه ، كاليف بازاء هذه الالة المعروفة كيف كانت . ومنها ما يطلق عليه لصفة
فيه كالصارم ، فانه موضوع له لصفة الحدة) (١٨٣) كما يقول ابن الاثير .
وعلى هذا يجري القول في سائر الالفاظ التي عرف بها السيف .

وقد عبر بعضهم عن هذا الفرق بوحدة الاعتبار ، فاليف والصارم
مثلا ، وان « دلا على شيء واحد ، ولكن باعتبارين أحدهما على الذات ،
والاخر على الصفة» وعلى هذا كانا متباينين وليس مترادفين ، لاشتراط
تحقق وحدة الاعتبار في المترادفين (١٨٤) .

(١٨٢) انظر تفصيل ذلك في : الصحابي ص ٩٦ والمرص ص ٢٥٢ والمزهر :

٤٠٢/١ - ٤٠٥

(١٨٣) المرص ص ٢٥٢

(١٨٤) المزهر ٤٠٢/١

ويبدو لنا عند التحقيق ان اطلاق مثل هذه الالفاظ على السيف مثلا قد كان بسبب اعتبارات ووجوه مختلفة لوحظت فيه عند استعمالهم إياه ، لتعدد سبل استعماله وآثاره ولأختلاف انواعه واحواله وتفاوت صناعته وما الى ذلك . « فاذا كان السيف عريضا فهو صفيحة ، واذا كان صقيلا فهو خشيب ، وقيل : هو الذي بدىء طبعه ولم يحكم عمله ، واذا كان رقيقا فهو مهو . واذا كان فيه حزور مطشنة فهو منقر ومنه سمي ذو الفقار . واذا كان قطاعا فهو غضب وحسام وقاضب وهذام وبتار . واذا كان يمر في العظام فهو مصمم واذا كان يصيب المفاصل فهو مطبق واذا كان ماضيا في الضربة فهو رسوب وكذلك ذو الكريفة ، واذا كان صارما لا ينثني فهو صمصامة وصمصام . واذا كان نافذا ماضيا فهو اصليت ، وقيل : يقال سيف صلت واصليت اذا جرد من غنده واذا كان كليللا لا يضي فهو : كهام وددان . واذا امتهن في قطع الشجر ونحو ذلك فهو معضد . واذا كان قد سوي وطبع بالهند فهو : مهند وهندي وهندواني وهندوكي . واما اذا كان معمولا بالشارف ، وهي قرى من ارض العرب تدنو من الرف ، فهو مشرفي » . واما القياسي فيقول الاصمعي فيه : ولا ادري الى أي شيء نسب ، ويكتفي بأن النصل اسم من أسائه دون ان يذكر فرقا (١٨٥) .

وهكذا تعددت الالفاظ المختلفة للسيف بحسب هذه الوجوه والاعتبارات الكثيرة . وواضح ان الفرق بين هذه الالفاظ في انها تدل على السيف لخاصية معينة فيه ، على حين تدل كلمة «سيف» على المسمى مجردة من هذه الاعتبارات والوصاف فهي تقع على الكل أيا كان . ولا بد انهم كانوا يراعون مثل هذه الفروق ويلحظون تلك الاعتبارات في استعمالهم لهذه الالفاظ واطلاقها على السيف في الاصل ، ولا سيما في نظر البدوي

(١٨٥) فقه اللغة وسر العربية للعالبي : ص ٢٥٠ - ٢٥١ وانظر : الغريب المصنف : ورقة ٧٤ ب - ٢٧٥ . وكنتز الحفاظ : ص ٥١٤ - ٥١٥ والخصص : ١٦/٦ - ١٧ ، ١٩ - ٢٨ واللسان مادة خشب : ٢٥٢/١ ومادة قضب : ٦٧٩/١ ومادة غضب : ٦٠٩/١

مستعمل السيف وصاحبه ، الذي يدرك هذا التباين ويحس به اكثر من غيره
 نتيجة معانيته وخبرته وتسامه المستمر بالسيف وشؤونه . غير أنه يروى
 الزمن ولكثرة تداول هذه الالفاظ - او الصفات - وشيوعها في
 الاستعمال ، كتب لها الغلبة والشهرة فغلبت غلبة الاسماء ، وربما طغى
 بعضها في الاستعمال على الاسم الحقيقي المجرد «السيف» وخاصة تلك
 الالفاظ التي تشير الى صفات مستحسنة محمودة فيه ، تلك الالفاظ التي تدل
 على احسن السيوف وافضلها عندهم نحو الحام والصارم والعضب والمشرقي
 والمهند واليماني والبتار وغيرها . فان هذه الالفاظ الغالبة المشهورة في
 السيف قد كانت صفات له لا ريب في ذلك . بيد أنه قد اغفل فيها معنى
 الوصف شيئاً فشيئاً بسبب كثرة الاستعمال ، وتوسمهم فيها ، فأمت
 منافسة لكلمة (السيف) من حيث الدلالة عليه ، حتى صارت طائفة منها
 مترادفة لا يلحظ فيها معنى الوصف بقدر دلالتها العامة على السيف .

وفي هذه الحال يمكننا القول أنهم قد آتعملوا هذه الالفاظ أسماء
 للسيف فقط دون اشعار بمعنى الوصفية فيها . او قل أنهم قد سوا السيف
 بصفاته المشهورة او بما عرف به من السمات المفضلة الذائعة الصيت ، وهم
 لا يعنون بها معانيها الوصفية ذاتها وانما يعنون بها السيف حسب . غير ان
 مثل هذه التسمية ليست اصلية حقيقية او وضعية ، بل هي تسمية لاحقة بفعل
 كثرة الاستعمال وطول المهد به ، فالاسم الاصلي القديم هو السيف وما عداه
 شهرة اشتهر بها ثم غلبت عليه . والتطور اللغوي هو الذي مكن هذه الالفاظ
 من الانتقال الى الاسية وأغفال الجانب الوصفي فيها . واذا كان البدوي في
 العصور المتقدمة يدرك بحسه اللغوي الفروق بين دلالات هذه الالفاظ ،
 فان الامر لم يمد كذلك في نظر العربي الذي يعيش في العصر العباسي مثلاً
 في القرن الرابع او الخامس الهجري . إذ أصبح لا يعنيه في الغالب من هذه
 الالفاظ الا دلالتها العامة على السيف مجردة من تلك الاعتبارات وذلكم
 التباين الذي قد يوحي به الاشتقاق . ومن يستقر دواوين الشعر العربي المتأخرة

يجد مصداق هذا في اطلاق طائفة من هذه الالفاظ على السيف وهم يريدون بها مجرد الدلالة عليه . ودونك على سبيل المثال ديواني ابي الطيب المتبي وأبي فراس الحداني . فقد تبين لي من إستقراء ديوان المتبي إستعمالات كل لفظ من الفاظ السيف ، وخلصت من هذا الاحصاء الى ان المتبي قد استعمل كلمة (اليف) إسما أصليا أربعاً ومائة مرة . على حين استعمل ستا وعشرين صفة من صفاته في تسع وثلاثين ومائة مرة . ومن هذه الالفاظ ما يدل على السيف ويشير الى زيادة معنى الوصف فيه ، ومنها ما يراد به السيف فقط نحو الحمام التي استعملها ثنائي عشرة مرة ، والصارم التي استعملها سبع عشرة مرة ، والهندية او الهندواني او الهند التي استعملها ثلاث عشرة مرة ، والمشرقي التي استعملها ثنائي مرات ، والعضب التي استعملها خمس مرات ، والمناخل التي استعملها تسع مرات ، والضمامة أو العضماء التي استعملها مرتين ، والينائي التي استعملها مرة واحدة ، الى غير ذلك من الاستعمالات الاخرى للالفاظ المتعلقة بالسيف . ويبدو واضحا من هذا الاحصاء ان استعمال الالفاظ التي تدل على اليف او عليه وعلى صفة فيه هي أكثر من إستعمال الاسم الحقيقي الصريح لليف في ديوان المتبي ، ويدل هذا على شيوعها وغلبتها ومدى طغيانها على الاسم الاحلي . وان المتبي قد استعمل طائفة من هذه الالفاظ استعمال الاسم ولم يكن يقصد بها الا اليف ، ومن الشواهد على ذلك ، على سبيل المثال قوله :

واورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالدا (١٨٦)
وقوله :

وتحبي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما يحيي التسم والجدا (١٨٧)
وقوله :

(١٨٦) ديوان ابي الطيب المتبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان : ٢٧١/١ .
(١٨٧) المصدر السابق ٢٨٢/١

فأن الحمام الغضيب الذي قتلتم به في يد القاتل (١٨٨)
وقوله :

قلدتني بينه بحمام أعتبت منه واحدا أجداده (١٨٩)
وقوله :

فخرنا لغضيب أروح مشتمله وسهرى أروح معتله (١٩٠)
وقوله :

يكون لهم إذا غضبوا حماما ولليجاء حين تقوم ساقا (١٩١)

فلو اتنا استبدنا كلمة السيف بهذه الالفاظ لما تغير المعنى في الايات ، وقد يخلت الوزن في بعضها ، ولا نسى ان مفهوم الترادف الحقيقي هو استبدال لفظة بأخرى على سبيل الاستعاضة دون أي تغيير في معنى النص . وما نستدل به على ان مثل هذه الالفاظ نحو المهند والصارم والحمام والغضب الواردة في ايات المتنبي السالفة الذكر ، يقصد بها السيف ، دون نظر الى ما فيها من الوجوه والاعتبارات الاخرى ، هو ان العكبري شارح ديوان المتنبي قد فسر هذه الالفاظ بالسيف ولم يشر الى اي معنى آخر فيها غير الدلالة على الذات . فهو يقول في تفسير قول المتنبي : واورد تشي والمهند في يدي . . . البيت : (المعنى : يقول اورد تشي (وفي يدي السيف) مهالك لا يصدرن واردها حيا اذا لم يجالده ويقاتله .) (١٩٢) وفي شرح قول المتنبي : قلدتني بينه بحمام . . . البيت يقول الواحدي . (يقول : قلدتني سيفا لا مثل له في السيوف ، فهو عديم المثل ، كمن لم تعقب اجداده مثله .) (١٩٣)

(١٨٨) المصدر السابق ٢٩/٣

(١٨٩) المصدر السابق ٥٠/٢

(١٩٠) المصدر السابق ٢٦٧/٣

(١٩١) المصدر السابق ٢٩٩/٢

(١٩٢) ديوان ابي الطيب المتنبي شرح ابي البقاء العكبري ٢٧١/١ وشرح

الواحدي ص ٧٤٣ برلين ١٨٦١ .

(١٩٣) المصدر السابق ٥٠/٢

وفي شرح قول المتنبي : فخر العضب ... البيت ، يقول العكبري : (الغرب : العضب : السيف) وفي معنى هذا البيت يقول الشارح : (يقول : سفي ورمحي يفخران بي ، لا افخر بهما)^(١٩٤) وفي شرح قول المتنبي : يكون لهم اذا غضبوا حساما ... البيت ، يقول العكبري ايضا : (المعنى : يقول : يكون هذا المدوح سيفاً لهم ، يبطشون به عند غضبهم وساقا للحرب يعتمدون عليها ...)^(١٩٥) ويفهم من شرح العكبري كذلك لقول المتنبي : وتحى له المال الصوارم والقنا ... البيت ، وقوله ، فإن الحام الخضب ... البيت . ان الصوارم هي السيوف وان الحام هو السيف ، حيث لم يشر الشارح الى اي فرق في ذلك^(١٩٦) . يتضح لنا من هذا ان العكبري ومن نقل عنهم قد فهموا من هذه الالفاظ دلالة السيف حسب وذلك اما من خلال شرح الايات السابقة او بالنص صراحة على ذلك كما رأينا . وهذا ما يؤكد لدينا ان مثل هذه الالفاظ صارت تعني السيف فقط ولا تلاحظ فيها تلك الوجوه والاعتبارات التي كانت عليها بحسب دلالتها الاصلية او القديمة .

أما في ديوان أبي فراس الحمداني فقد تبين لي من إستقراءه أن الشاعر قد استعمل السيف إسما أصليا اثنتين وستين مرة ، على حين استعمل الالفاظ الأخرى التي تدل على السيف لصفات وإعتبارات فيه كما هي في الاصل ، اربعا وسبعين مرة . وواضح من هذا ان استعماله لهذه الالفاظ أكثر من استعماله الاسم الحقيقي للسيف . ولم يكن يعني الشاعر بطائفة من هذه الالفاظ غير دلالتها العامة على السيف ، اذ استعملها أسماء للسيف ، ومن الامثلة على ذلك قوله :

ولكن نبا منه بكفي صارم وأظلم في عيني منه شهاب^(١٩٧)

(١٩٤) نفه ٢/٢٦٧

(١٩٥) نفه ٢/٢٩٩

(١٩٦) ديوان المتنبي بشرح العكبري ١/٢٨٢ و ٢/٢٩

(١٩٧) ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق د . سامي الدعان ص ٢٤

وقوله :

وويلك من أردى أخاك برعش وجلل ضربا وجه والدك العضا(١٩٨)

وقوله :

محرب ، هه حمام صقيل وجواد مطهم ، عنجوج(١٩٩)

وقوله :

وان حاربوا كت المجن امامهم وان حاربوا كت المهند واليدا(٢٠٠)

وقوله :

تخالط فيها الجحفلان كلاهما فغن القنا عنها ونبن البواتر(٢٠١)

وقوله :

وفي أرضاك أغضاب الموالي وإكراه المناصل والنصال(٢٠٢)

وقوله :

يسان مهري لامر ، لا ابوح به

والدرع ، والرمح ، والصصامة الخدم(٢٠٣)

ويصدق على هذه الالفاظ في هذه الايات ما قلناه بشأن استعمالها عند المتبني وذلك من حيث اسميتها ودلالاتها على اليف من غير ان يراد منها وجوه واعتبارات اخرى كالتي يراها قدامى اللغويين .

وقصارى القول في مثل هذه الالفاظ انها كانت تدل على اليف بحسب صفاته ولاعتبارات اخرى فيه ، ثم اباح الناس لاقصم من بعد استعمالها استعمال اليف وتوسعوا فيها اذ كتب لهذه الالفاظ ان تشيع وان يكثر

(١٩٨) المصدر السابق ص ٣٦ .

(١٩٩) ديوان ابي فراس الحمداني ص ٥٨

(٢٠٠) المصدر السابق ص ٨٥

(٢٠١) المصدر السابق ص ١١٢

(٢٠٢) المصدر السابق ص ٢٨٢

(٢٠٣) المصدر السابق ص ٢٤٨

استعمالها لموافقتها للغرض من السيف فغلبت عليه وصارت تطلق ويزاد بها
 السيف ومن هنا عدت من المترادف . وبهذا التفسير يمكن ان نوجه التباين
 في هذه الالفاظ تبعا للاصل وان نفهم ترادفها نتيجة تطورها وفقدانها المعاني
 الوصفية بفعل الاستعمال وغلبته . بيد اننا لا نعتقد بأن معنى الوصف قد
 تنوسي تماما في هذه الالفاظ كلها التي تربى على المائة ، فصارت تبدل على
 السيف دلالة واحدة ذلك أن القسم الأغلب منها ما زال يشعر بشيء من التباين
 في معانيها وان كان ذلك طفيفا .

والواقع ان القلة منها - وعلى وجه الخصوص الصفات الغالبة -
 والمشهورة هي التي غلبت غلبة الاسماء وتنوسي فيها معنى الوصف فانتقلت الى
 الاسمية وصارت اعلاما عليه يتبدل بها عند اطلاقها على السيف . فهي
 بمنزلة العباس والعاثر والحسن في تسمية اشخاص بأعيانهم . وانما اصل
 هذه اوصاف ثم نقلت الى العلمية عليهم . والى مثل هذا اشار الاستاذ عبد
 الحميد الرازي (٢٠٤) .

بمثل هذا نقر حدوث الترادف في طائفة من الفاظ السيف . ويمرر
 صحة هذا التفسير ان انتقال الصفة الى الاسمية جائز من الوجوه اللغوية وليس
 بالأمر الغريب في منظور التطور اللغوي الذي نجد فيه نظائر كثيرة لهذه
 الحالة . ويبدو ان الشبه والتقارب الشديد بين الاسم والصفة من حيث
 الدلالة هو الذي يسر لهذا الانتقال والتطور وساعد عليه . ومما نستدل به
 على هذا التطور ما اشار اليه الاقدمون من التوسع في دلالة بعض الالفاظ وما
 اصابها من التطور في القديم . فمن ذلك ما نص عليه الاصمعي في بعض اسماء
 السيف ذاتها بقوله : (والخشب وهو الذي بدا طبعه ثم صار الخشب لما
 كثر عند العرب الصنيل) (٢٠٥) . وقوله هنا في الصمصامة (الصمصامة : سيف

(٢٠٤) محاضرات الاستاذ عبدالحميد الرازي على طلبة الصفوف الرابعة في
 فقه اللغة ص ١٨١

(٢٠٥) الغريب المصنف : ورقة ٢٧٥ وانظر : اللسان مادة خشب : ٢٥٢/١

عرو بن معد يكرب غلب عليه ؛ يعني ان كل سيف قاطع صمصامة (٢٠٦) وقوله في القاسي وهو من اسماء السيف ايضا : (ولا أدري الى أي شيء نسب) (٢٠٧) وقوله في النصل : (والنصل اسم من اسمائه) (٢٠٨) اقول : فاذا كان مثل الاصمعي وهو من قدامى اللغويين - ت ٢١٤ هـ - قد لاحظ توسع الدلالة في بعض اسماء السيف بفعل الاستعمال ، حتى صار الخشيب عند العرب الصقيل ، وغلب الصمصامة على كل سيف قاطع ، ولا يدري النسبة في القاسي لأي شيء ويقول ان النصل من اسماء السيف ولا يذكر أي فرق ، فما بالك اذن باستعمالات هذه الالفاظ وما شاكلها في العصور التالية المتأخرة وما حدث لها من التطور والاتساع في الدلالة وعدم مراعاة التباين في الاستعمال ؟ يؤكد هذا ما سجله ابو بكر الزبيدي في القرن الرابع الهجري ان اهل الاندلس يقولون للسيف صمصامة وصمصام دون ان يشير الى اي فرق في ذلك (٢٠٩) . ويفهم من هذا انهم يريدون به السيف مطلقا . وتكمن قيسة شهادة الزبيدي هذه في انها تسجيل للاستعمال اللغوي في ذلك العصر .

وكثيرا ما نجد في كتب اللغة ما يدعو اللغويون بـ « الصفات الغالبة » وهي اشارة الى شيوع هذه الالفاظ وكثرة تداولها وغلبتها حتى يصار بها الى اسماء في الاستعمال . ومن هذا ما جاء في اللسان حول الحنة والسيئة : قوله (وقد كثر ذكر السيئة في الحديث ، وهي والحنة من الصفات الغالبة . يقال : كلمة حنة ، وكلمة سيئة ، وفعلة حنة وفعلة سيئة) (٢١٠) وكذلك قوله : (والحاجب : البواب ، صفة غالبة . . . وحجبه : اي منعه عن

(٢٠٦) المخصص : - ٢٨/٦

(٢٠٧) القريب المصنف ورقة ٢٧٥

(٢٠٨) المصدر السابق : الورقة نفسها

(٢٠٩) لحن العوام ص ١٢٦ .

(٢١٠) اللسان مادة سرا : ٩٧/١

الدخول . (٢١١) ونحو هذا قوله في تسمية العظمين اللذين فوق العيشين بلحها وشعرها ، بالحاجين ، وأنها صفة غالبية (٢١٣) . ومن هذا أيضا ما روى عن اليرافي أن (الحرب : تقيض السلم ، اثني وأصلها الصفة كأنها مقاتلة حرب) (٢١٣) . ومثلها كلمة جهنم التي استخدمت نعمتا يشير الى معنى العمق ثم أصبحت من أسماء النار بعد ذلك . فقد ذكر ابن منظور أن الجهننم تعني القمر البعيد وأن لفظه جهنم استخدمت صفة تشير الى معنى العمق حيث يقال : بر جهنم : أي بعيدة القمر وجنابم كذلك . وبعد بيان أصلها يقول : (وبه سميت جهنم لبعدها قمرها) (٢١٤) ويتضح من هذا كيف تكون الصفة سبلا من سبل تسمية الأشياء وأحدى طرائق اطلاق الالفاظ على المسيات . وما أكثر أسماء الاعلام التي جاءت على هذا السبيل ، اي ما كان أصله صفة ثم صار علما للشيء علاوة على اسمه الحقيقي الصريح ، وعندئذ يكون للشيء الواحد أكثر من اسم واحد يدل على هذا ما ورد في اللسان عن ابن شميل قوله :

(ذات الجنب هي الدببيلة وهي علة تثقب البطن ، وربما كنوا عنها فقالوا : ذات الجنب ... وصارت ذات الجنب علما لها ، وإن كانت في الأصل صفة مضافة) (٢١٥) . وفي اللسان أيضا بشأن اطلاق الأدهم على القيد : (والأدهم القيد لسواده ، وهي الأدهم ، كسروه تكسير الأسماء وإن كان في الأصل صفة لأنه غلب غلبة الاسم .) (٢١٦) وقد قال العجاج لابن القبعثري : (لأحملك على الأدهم ، يعني القيد ، فتجاهل عليه ، وقال : مثل

(٢١١) اللسان مادة حجب : ٢٩٨/١

(٢١٢) اللسان مادة حجب : ٢٩٨/١ - ٢٩٩

(٢١٣) اللسان مادة حرب : ٣٠٢/١

(٢١٤) اللسان مادة جهنم : ١١٢/١٢ وانظر ما كتبه محمد ناطر حول كلمة جهنم أصلها وتطورها في مجلة الفكر التونسية ص ١٦ وما بعدها .

(٢١٥) اللسان مادة جنب : ٢٨١/١

(٢١٦) المصدر السابق مادة دهم : ٢١٠/١٢

الامير يحمل على الادهم والاشهب) (٢١٧) . وفي اللسان عن ابن سيده حول تسمية ضرب من الحيات بالارقم : (الارقم من الحيات الذي فيه سواد وبياض والجمع اراقم ، غلب غلبة الاسماء فكر تكبيرها ولا يوصف به المؤنث) (٢١٨) . وعن ابن حبيب : (والارقم اذا جعلته نمطا قلت ارقش وإنما الارقم اسمه) (٢١٩) .

ومن الامثلة الاخرى التي تبين منها تطور الصفة وانتقالها الى الاسمية قولهم للمنية شعوب ، واللغويون على خلاف حول هذه التسمية اهي صفة للمنية ام اسم لها ؟ فقول إن « الشعبة هي القُرقة » تقول شعبتهم المنية اي فرقتم ومنه سميت المنية شعوب ، وهي معرفة لا تنصرف ، ولا تلخظها الالف واللام . وقيل شعوب والشعوب كلتاها المنية لانها تفرق ، اما قولهم فيها شعوب بغير لام ، والشعوب باللام ، فقد يمكن ان يكون في الاصل صفة ، لانه من امثلة الصفات بمنزلة قتول وضروب ، واذا كان كذلك فاللام فيه بمنزلة العباس والحصن والحارث ، ويؤكد هذا انهم قالوا في اشتقاقها انها سميت شعوب لانها تشعب اي تفرق . وهذا المعنى يؤكد الوصفية فيها . وهذا اقوى من ان تجعل اللام فيه زائدة . ومن قال شعوب بلا لام ، خَلَّصَتْ عنده اسما صريحا واعراها في اللفظ من مذهب الصفة فلذلك لم يكثر منها اللام كما فعل ذلك من قال عباس وحارث الا ان روائج الصفة فيه على كل حال ، وان لم تكن فيه لام . الا ترى ان ابا زيد حكى انهم يسمون الخبز جابر بن حبة وإنما سموه بذلك لانه يجبر الجائع ، فقد ترى معنى الصفة فيه، وان لم تدخله اللام . ومن ذلك قولهم : واسط ، قال سيويه : سموه واسطا لانه وسط بين العراق والبصرة فمعنى الصفة فيه ، وان لم يكن

(٢١٧) نحه اللغة وسر العربية ص ٢٦٢

(٢١٨) اللسان مادة رقم ٢٤٩/١٢ - ٢٥٠

(٢١٩) المصدر السابق مادة رقم ٢٥٠/١٢

في لفظة لام» (٢٢٠) . وقد ذكر الاصمعي أن « شعوب » اسم للنمى وهي معرفة عنده لا تدخلها الالف واللام ، ومع قوله بأنها سميت شعوب لانها تفرق ، الا انه لم يقل بمعنى الوصفية فيها . وقد استشهد على ذلك بقول ابي الاسود :

فقام اليها بها ذابح ومن تدع يوما شعوب يجيها (٢٢١)

ومن هذا يبدو لنا مدى تصف من يقول بمعنى الوصفية في مثل هذه الالفاظ وذلك بالنظر الى اشتقاق مادة الكلمة وما يوحى به من معنى الوصف وباعتبار العلة الاصلية في التسمية . والتثبت بمعاني الالفاظ تبعا لاشتقاقها هو انكار صريح لمبدأ تطور الدلالة ، كما ان القول بالعلل في تسمية الاشياء والبحث عن اسبابها امر مرغوب عنه في الغالب عند مستعصي اللغة . فكم من الالفاظ بعدت عن معانيها الاشتقاقية الاصلية ، وكم من الاسماء يجعل السبب في اطلاقها على مسمياتها ؟ فالذي يقول شعوب لا يعني ذلك المعنى الوصفي المتأتي من الاشتقاق بقدر ما يعني النية حسب . وكذا القول في تسمية الخبز جابر بن حبة وتسمية مدينة بعينها واسطا ، وذلك كما قيل لان الخبز يجبر الجائع ولأن هذه المدينة وسط . حيث لا ينصرف ذهن المتكلم الى معاني هذه الالفاظ بحسب اشتقاقها وسبب تسميتها ، وإنما الذي يعنيه من أمرها ان هذه الالفاظ أسماء اعلام على مسمياتها ، وهي بمثابة الرموز التي يستدل بها عليها . وان صحت هذه الاعتبارات التي يقول بها هؤلاء فانما هي على الاصل وبمقتضى الاشتقاق ، ثم نقلت هذه الالفاظ الى الاسمية واصبحت تستعمل اعلاما من غير اعتبار بالاصل .

وما يؤكد تطور الصفة وانتقالها الى فصيلة الاسماء ما اقره البحث اللغوي الحديث من أن التأمل في طائفة من الالفاظ والبحث فيها من خلال

(٢٢٠) اللسان مادة شعب : ٥٠١/١

(٢٢١) اصلاح المنطق : ص ٢٢٥ - ٢٢٦ وقد جاء في اللسان من غير نسبة

مادة شعب : ٥٠١/١ وينظر الديوان ص ١٤٧

تطورها اللغوي التاريخي يظهر ان ثمة اسماء كثيرة كانت في الاصل صفات .
فقد لاحظ بعض المحدثين العلاقة الوثيقة بين الصفة والاسم والشبه الحاصل
بينهما ، وأنها يتبادلان الدور في كل اللغات وقالوا بتحول احدهما الى الاخر
بفعل الاستعمال .

وهذا ما بينه فندريس فذكر ان « الصفة من جهتها لا يمكن تمييزها من
الاسم تمييزا واضحا ، اذ يبدو انهما في اللغات الهندية الاوربية صادران عن
اصل مشترك وأنها في كثير من الحالات يحتفظان بصيغة واحدة وأن الاسم
والصفة يتبادلان الدور في كل اللغات ولذلك لم يكن بينهما حد فاصل من
الوجهة النحوية فيمكن الجمع بينهما في فصيلة واحدة هي فصيلة
الاسم» (٣٣٢) . كما بين فندريس ان الاسم يصير صفة وبالعكس فهو يقول
بأن « كون الاسم يتطبع ان يصير صفة بتلك السهولة يرينا انه لا يوجد
فرق جوهرى بين هاتين الكلمتين » (٣٣٣) وانه « كثيرا ما يقال في التعبير عن
هذا الفرق ان الصفة اشمل مضمونا من الاسم . وهذا حق ولكن على شرط
ان تضاف اليه العبارة التالية : في نظر المتكلم » (٣٣٢ ب) . « وتطبع الصفة
بدورها ان تصير اسما وهذا يحدث كلما اضيف الوصف العام الذي يعبر عنه
بالصفة الى فرد خاص ، أي كلما صارت الصفة وهي شائعة بطبيعتها - معرفة -
ومن ثم جاء استعمال هذه الصفات المعروفة في اسماء الاعلام . وذلك هو
السبب في ان اسماء الاعلام التي اصلها صفات تستعمل بالترفيف » . وهي ايضا
تمدنا بعدد كبير من اسماء الاشياء » (٣٣٢ ج) .

وإلى مثل هذا ايضا ذهب ستيفن أولمان في دراسته تغير المعنى وأسبابه
وأشكاله ، حيث ذكر ان الصفة تتحول الى اسم ، جاعلا هذا الامر من صور
التطور الدلالي في الالفاظ . كما تقدم بيان هذا في التمهيد حول تطور
الدلالة . والملاحظ ان انتقال الصفة الى الاسمية غالبا ما يكون له ميلان ،
اولهما هو الصفة الشائعة والغالبة التي تستعمل بالترفيف وهو من باب

(٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ب ، ٢٢٢ ج) اللغة : ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٨ .

اقامة وصف الشيء مقام اسمه وثانيهما هو عن طريق الاضافة حيث يحذف المضاف ويقوم المضاف اليه مقامه وهو من باب اضافة الموصوف الى صفته . وفي هدى هذا تفسر ترادف كلمات مثل الدنيا والحياة والاصل الحياة الدنيا ، ومثل المسجد والجامع والاصل مسجد الجامع وفي فقه اللغة للثعالبي فصلان الاول بعنوان : (فصل في اضافة الشيء الى صفته) والثاني بعنوان (فصل في اقامة وصف الشيء مقام اسمه) وقد اورد الثعالبي جملة من الامثلة على ذلك من القرآن الكريم وكلام العرب (٣٣٣) .

وتبعاً لمبدأ انتقال الصفة الى الاسمية نتيجة التطور اللغوي كما بينا ، يمكن ان نقرر ان الصفة بهذا المعنى هي من اسباب وقوع الترادف في اللغة . ويثبت هذا ان البحث في الالفاظ المترادفة من الناحية اللغوية التاريخية يكشف لنا بوضوح ان كثيراً من الالفاظ انما هي في اصولها صفات ثم صارت اسما بفعل الاستعمال . والحق ان الصفة تعلق لنا الكثير من ترادف الالفاظ ، ولها اثر كبير في ذلك كما في مترادفات السيف والخرة والعسل والاسد والذئب وغيرها . وعلى هذا يصح عندنا ما ذهب اليه دارسون محدثون في عدمهم الصفة سبباً في نشأة الترادف ، يقول محمد المبارك : (ولو نظرنا الى وضع الالفاظ وتسمية المسميات من وجه آخر لوجدنا ان للشيء المسمى وجوها وصفات كثيرة ويمكن ان يسمى باكثر من صفة من صفاته وان يشتق له من الالفاظ كلمات متعددة تبعاً لتلك الوجوه والصفات ومن هنا ينشأ الترادف ... وهذا هو ابرز اسباب نشوئه وظهوره في جميع اللغات) (٣٣٤) وهذا القول صحيح في جملة ولكن فيه

(٢٢٣) ص ٣٣٤ ، ٣٦٢

(٢٢٤) فقه اللغة وخصائص العربية د . محمد المبارك ص ١٩٩ - ٢٠٠ وينظر :

كلام العرب د . حسن ظانفا : ص ١٠٥

و : في اللهجات العربية د . ابراهيم انيس : ص ١٧٠ - ١٧١

و : فصول في فقه العربية د . رمضان عبدالنواب : ص ٢٨١

و : دراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح ص ٤٣٢

و : محاضرات الاستاذ عبدالحميد الراضي في فقه اللغة على طلبة الصفوف

الرابعة لكلية الاداب ص ١٨١ - ١٨٢

شيء من الاطلاق ، ينبغي تحديده وحصره بالصفة الغالبة غلبة الاسم التي تطورت فبلغت مرحلة الاسمية وتنوسي فيها معنى الوصفية . حتى عدت من باب الاعلام المنقولة عن صفات . فليست كل صفة ميبية للترادف ما لم تستعمل استعمال الاسماء دون اي اعتبار آخر . واذا ما علمنا ان القدامى يشترطون الوضع والاصالة في الترادف ، فعندئذ لا ترادف في مثل هذه الالفاظ التي جرت على هذا السبيل ان اخذنا بهذا الشرط . واما اذا اعتبرنا بتطور هذه الالفاظ وما آلت اليه فحينئذ تبدو مترادفة . وعلى اية حال . فان ترادفا كهذا انما هو نسبي وليس مطلقا وينبغي تمييزه من الترادف الوضعي الاصيل ، كما اشرنا الى هذا آنفا . على ان ما تعارف عليه اللغويون في تسيئهم هذه الالفاظ بـ «الصفات الغالبة» كان على جانب كبير من الوجاهة والصواب ، وكان هذه الالفاظ قسم ثالث يقع بين الاسمية والوصفية . فهي ليست بالصفات المحضة وليست بالاسماء تماما . ولعل هذا ما يوفق بين الرايين المختلفين ازاء هذا الضرب من الالفاظ . بيد ان الاصل والتطور يعينان على التفرقة بين الاسمية والوصفية في هذا المجال . ومن هنا اختلف حكم اللغويين عليها من حيث كونها اسما او صفات ، وهو ما يفسر لنا ترجيح هذه الالفاظ بين الوصفية والاسمية عندهم بحسب نظرهم الى اصليا او الى انتقالها وتطورها ، ولهذا نجدهم احيانا يقولون هي اسما للسيف وحيانا يقولون هي صفات له . وقد تمثل هذا الخلاف في كتب اللغة التي تسوق هذه الالفاظ تارة تحت باب اسما السيف وتارة تحت باب صفات السيف او نعوتها (٣٣٥) .

ولعل من ابرز مظاهر الخلاف حول هذه الالفاظ من حيث كونها اسما للسيف او صفات له ، تلك المناظرة اللغوية التي جرت بين ابي علي الفارسي وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة الحمداني ، فقد حكى الشيخ

(٢٢٥) انظر : الغريب المصنف : ورقة ٧٤ ب وفقه اللغة ومر العربية : ص ٢٥٠ والمخصص : ١٦/٦ - ١٧ ، ١٩ - ٢٨ والرصع ص ٢٥٢

القاضي ابو بكر بن العربي بنده عن ابي علي الفارسي قال : (كنت بمجلس سيف الدولة يحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : احفظ للسيف خين اسما ، فبسم ابو علي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا ، وهو السيف .

قال ابن خالويه : فابن المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال ابو علي : هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة (٣٣) . ونستطيع أن نوجه جدليها بأنه اختلاف في وجات النظر . فأبو علي الفارسي قد نظر الى هذه الالفاظ نظرة لغوية تاريخية فعدها صفات باعتبار الاصل وبحسب الاستعمال القديم وذلك كما سجلتها كتب اللغة ودونها الرواة زمن جمع المفردات وعصور الاحتجاج . في حين لم ينظر اليها ابن خالويه بمثل هذه النظرة ، وانما نظر اليها نظرة وصفية ومن خلال الاستعمال في عصره ، فعدها اسما وذلك باعتبار الدلالة الحالية لها وبالنظر الى ما آلت اليه من اغفال الوصفية فيها بفعل الاستعمال واقترانها بلام التعريف التي تشعر باستيتها ناهيك عن اتحاد هذه الالفاظ في دلالتها على السيف اصلا . ويوجه طبيعة هذا الخلاف ما ذكرناه سابقا بشأن هذه الالفاظ واطلاقها على السيف اول الامر ثم ما حدث لها من التوسع والغلبة بحيث صارت دلالتها على السيف دلالة تجريد لا وصف . فحكم الفارسي عليها بالوصفية هو بمقتضى اصلها او استعمالها القديم ، وحكم ابن خالويه عليها بانها اسما في القرن الرابع الهجري يدل على تطورها وانتقالها من الوصفية الى الاسمية وعدم مراعاة الفروق بينها .

والا فهل الترق بين الاسم والصفة واضح بما يحدد هذا وذاك ؟ هو سيف باعتبار طرفه الحاد ، فالمادة (س ي ف / س و ف) تدل على الطرف والبدن ، وهو مهند من الهند ، وهو حسام يحسم الامور ، وهذا كله تفسير

(٢٢٦) المزهر : ١/٥٠ . وانظر اسماء السيف عن ابن خالويه في المصدر نفسه ١/٤٩ - ٤١٠ . وقد ذهب ابن فارس مذهب ابي علي الفارسي في حواره مع القائلين بترادف هذه الالفاظ واسميتها ، وهو مذهب شيخه نعلب كما صرح بذلك . ينظر صاحبي ص ٢٢ - ٢٣ ، ٤١ ، ٩٦ - ٩٧ .

لا يحسنه مستخدم كل كلمة من الكلمات (٣٣٢) . ويميز هذا ما لاحظته بعض القدامى كالاصمعي في نصح السابق من التوسع في دلالة بعض هذه الالفاظ في ذلك الزمن المبكر ، وما أوردناه بشأن استعمالها عند المتبني وأبي فراس الحمداني وعند أهل الأندلس يشهد على ما نذهب إليه .

بمثل هذا التوجيه تنظر الى الخلاف في هذه المسألة ولنا نرى خطأ بمعنى الكلمة في رأي كل من الفارسي وابن خالويه ، بقدر ما هو اختلاف في وجهات النظر اللغوية . وربما كان لعامل المنافسة اثره في تخطئة احدهما للآخر ، لا سيما ان هذه المحاوره قد جرت في مجلس سيف الدولة وبحضور جماعة من أهل اللغة . ومع ميلنا الى رأي ابن خالويه وترجيحه وذلك لما بينا ، لا نزع ان هذه الالفاظ الخمسين كلها اسماء للسيف ، ولا نحسبه بذكره لهذا العدد من الالفاظ إلا مبالغا ، ومفاجرا مباحيا بحفظه ومعرفته اللغوية . ولهذا نعتدل فنقول ان طائفة منها هي التي غلبت غلبة الاسماء فصارت اعلاما للسيف وخاصة في الاستعمال المتأخر ولا سيما حين يراعى مفهومها بين الناس في عصر معين .

على هذا النحو تشر حدوث الترادف في هذا النمط من الالفاظ وتنظر الى علاقة الصفة بنشأة الترادف وأدراك حقيقة الخلاف بشأنها . فنخلص مما تقدم كله الى القول بأن هذا السبب نسبي وليس ثابتا مطلقا كما اشرنا . اذ يبدو ان القول بالترادف او بالتباين في مثل هذه الالفاظ يتوقف على حسن المتكلم ونظرتة اللغوية الى حد كبير . فمن شاء عدها مترادفة وذلك بالنظر الى اتحاد دلالتها على الذات دون التفات الى ما فيها من الوجوه والاعتبارات ، وهو الغالب في الاستعمال . ومن شاء عدها متباينة وذلك بالنظر الى ما في دلالتها من تلك الوجوه والاعتبارات ، وهو التليل في الاستعمال ان لم يكن نادرا . ولهذا ليست النظرة المتطرفة بصائبة في الحكم على مثل هذه الالفاظ من حيث ترادفها وليس من الصواب القطع بشيء من هذا نظرا لترجح هذه الالفاظ بين الوصفية

(٢٢٧) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ٨٦-٨٧

والاسمية وعدم قوة الفرق ووضوحه فيها مما جعل النظرة ازاءها مختلفة . ولا نرى أصوب من قول القائل فيها : (والحاصل ان من جعلها مترادفة ينظر الى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن ينسج ينظر الى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات) (٢٢٨) وهو ما نذهب اليه مع ملاحظة ان مراعاة التباين فيها في الواقع هو القليل في الاستعمال كما أسلفنا .

بقي ان نعرض لطائفة من الامثلة الاخرى التي وقع فيها الترادف على هذا النحو . فما قلناه في ترادف الفاظ السيف يصدق على كثير من اسماء الخمرة والغسل والصحراء واسماء بعض الحيوانات . فعند التحقيق تتبين ان الكثير من هذه الاسماء في الاصل قد اطلقت على المسمى على سبيل الوصف ، ثم ما لبثت ان جرت مجرى اسماء الاعلام له بفعل الاستعمال . ويمثل هذا بوضوح في الفاظ الخمرة التي يقول فيها الثعالبي ان اكثرها صفات . (٢٢٩) فيما اوردها الفيروز آبادي على انها اسماء (٢٣٠) .

فمن الفاظ الخمر التي ترادفت واصلا صفات : الصهباء . جاء في اللسان : (والصهباء : الخمر ، سميت بذلك لونها . قيل : هي التي عصرت من عنب ابيض ، وقيل : هي تكون منه ومن غيره ، وذلك اذا ضربت الى البياض قال أبو حنيفة : الصهباء اسم لها كالعلم ، وقد جاء بغير ألف ولا م لانها في الاصل صفة ، قال الاعشى :

وصهباء طاف يهوديها وبرزها وعليها ختم (٢٣١)

ومنها : الكميت . وهي في الاصل من الالفاظ التي سميت بها الخمرة

(٢٢٨) الزهر : ٤٠٥/١

(٢٢٩) فقه اللغة وسر العربية : ص ٢٧٠

(٢٣٠) وذلك في كتابه : المجلس الانيس في تحريم الخندريس وينظر المخصص

٧٢/١١ - ٨٢

(٢٣١) اللسان مادة صهب : ٥٢٢/١ - ٥٢٣ . وانظر : كثر الحفاظ ص ٢١٤

والجليس الانيس : ورقة ٢٨٠ - ب وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٧١

على سبيل الوصف ايضا . يقول ابن السكيت : سميت كميثا لانها حمراء الى الكلفة وقال ابن سيده : الكميث الخمر التي فيها سواد وحمرة . وقال ابو حنيفة الدينوري : هو اسم لها علم وان كان في اصله صفة ، والكميثة في الاصل لون بين السواد والحمرة (٢٣٢) .

ومنها : الشمول . واللغويون ليسوا متفقين على سبب بعينه في هذه التسمية . ف قيل اما لاشتغالها عقل متعاطيها واحاطتها به ، واما لانها جامعة لشمول الشراب . وقال ابو عمرو وابو عبيدة : الشمول الخمر لانها تشمل بريحتها الناس . وقال ابن السكيت : سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال . وقال ابو حنيفة : سميت شمولا لانها تشمل على العقل فيذهب به . وقال ابو حاتم : شملت الخمر وضعتها في الشمال اي لتبرد ، ولذلك سميت شمولا ومشولة (٢٣٣) . وايا كان السبب فان الشمول قد جرت في الاستعمال اللغوي بمعنى الخمر واصبحت اسما لها . وقد اورد الفيروز آبادي الكثير من الشواهد على ذلك . ومنها : العقار . وقد اختلفوا ايضا في سبب هذه التسمية . فسي اللسان عن ابن الاعرابي : (وكلا ارضي كذا عقار وعقار : يعقر الماشية ويقتلها ، ومنه سمي الخمر عقارا لانه يعقر العقل) (٢٣٤) . وفي مكان آخر من اللسان أن : العقار : الخمر ، سميت بذلك لانها عاقرت العقل وعاقرت الدن اي لزمته . يقال عاقره اذا لازمه وداوم عليه ، واصله من عقر الحوض . وقيل : هو ماخوذ من عقر الحوض لان الواردة تلازمه . وقيل : سميت عقارا لان اصحابها يعاقرونها أي يلازمونها . وقيل : هي التي تمقر شاربها . وقيل : هي التي لا تلبث أن

(٢٣٢) كنز الحفاظ ص ٢١٤ والجليس الانيس : ورقة ١٠٠ ب . ونقه اللغة
وسر العربية ص ٢٧١

(٢٣٣) الجليس الانيس ورقة ١٧٥ - ب وورقة ٢٧٦ . وينظر : الغريب
المصنف ورقة ٥٩ ب وكنز الحفاظ ص ٢١١ - ٢١٢ واللسان مادة شمل
٣٦٧/١١ ونقه اللغة وسر العربية ص ٢٧٠

(٢٣٤) اللسان مادة عقر : ٥٩٢/٢

تسكر . وقال ابو سعيد : معاقره الشراب مغالته . وقيل غير ذلك (٢٣٥) .

ومن اساء الخمره ايضا : القرقف قيل : سبت قرقنا لان شاربها
يقرقف اذا شربها اي يردد . وقال ابو عمرو : القرقف اسم لها وانكر قول
من يقول لانها تقرقف يعني ترعد الناس (٢٣٦) . ومنها : القهوه . قيل سميت
قهوه لان - شاربها يقهي عن الطعام اي لا يشتهيه وقيل غير ذلك (٢٣٧) . وسميت
مداما ومدامة قيل لانها اديمت في ظرفها وقيل سميت بذلك لمداومه الشرب
على شربها ولدوام مكثها في الدن (٢٣٨) . وسميت راحا . قيل لان صاحبها
يرتاح اذا شربها ، اي يمش للسخاء والكرم . وقال الاصمعي : كل خمر
راح (٢٣٩) . ومنها : المقدى والمقدية بتشديد الدال . وفي اطلاق هذه التسمية على
الخمر يقول الفيروز آبادي : (والمقد في الاصل قرية بالاردن ينسب اليها
الخمر ثم كثر الاستعمال حتى قيل للخمر قهيا مقدا . قال عمرو بن معدى
كرب :

وهم تركوا ابن كبشة مسلحبا وهم ممنوعه من شرب المقد (٢٤٠)

وهكذا تعددت الاسماء المختلفة الدالة على الخمر ، وعلاوة على هذه ،
فهناك الكثير من الالفاظ الاخرى التي سميت بها الخمر على هذا السبيل نحو :

(٢٣٥) اللسان مادة عقر : ٥٩٨/٤ وانظر : الغريب المصنف : ورقة ٥٩ ب
وكنز الحفاظ : ص ٢١٢ والجليس الانيس : ورقة ٨٩ أ - ب وفتحه
اللغة وسر العربية ص ٢٧٠ .

(٢٣٦) الغريب المصنف : ورقة ٥٩ ب وكنز الحفاظ ص ٢١٢ وفتحه اللغة وسر
العربية ص ٢٠٧ - ٢٧١ .

(٢٣٧) تهذيب الالفاظ : ص ٢١٢ وفتحه اللغة وسر العربية : ص ٢٢١ والجليس
الانيس ورقة ٩٩ أ - ب .

(٢٣٨) كنز الحفاظ ص ٢١٣ وفتحه اللغة وسر العربية ص ٢٧١ والجليس
الانيس ورقة ١٠٤ أ - ب .

(٢٣٩) كنز الحفاظ ص ٢١٣ وفتحه اللغة وسر العربية ٢٧١ والجليس ورقة
٦٠ ب ورقة ٦١ أ - ب .

(٢٤٠) الجليس الانيس ورقة ١١٢ ب .

السلافة والبيئة والكفء والمزة والمشعشة والطلاء والحيا والخرطوم
والغرب والخطة وغيرها (٢٤١) . فكل هذه الالفاظ في الاصل قد اطلقت على
الخر لصفات فيها او لوجوه واعتبارات اخرى ، ثم تنوسي فيها سبب التسمية
فصارت تدل على الخر ذاتها ومهما قيل في اسباب تسمية الخر بهذه الالفاظ ،
فان هذه الالفاظ قد صارت اساء للخر وجرى بها الاستعمال . وما هذه
الوجوه والاعتبارات في التسمية التي اختلفوا فيها الا بحسب الاصل
وبمقتضى الاشتقاق .

وكثيرا ما تذكر كتب اللغة العديد من الاسماء المترادفة للاسد كالليث
والسبع والهزبر والعضفر والعباس واسامة وقسورة وحيدرة والضيغم
والضغام والعنيس والخبثنة والدلمس والزبال والهواس وغيرها (٢٤٢) .
ومعظم هذه الالفاظ انما اطلقت على الاسد لاوصاف فيه ، ثم جرت مجرى
الاسماء له . فالبحث اللغوي التاريخي في اصولها يكشف لنا عن اسباب
اطلاقها على الاسد لاوصاف ووجوه فيه . كما ان البحث اللغوي المقارن
يؤكد لنا ان الاسم القديم هو الليث وان باقي الاسماء له انما عرفت بعد
ذلك (٢٤٣) .

ويصدق هذا السبب ايضا على ترادف طائفة من اسماء الذئب التي جمع منها
السيوطي الشيء الكثير في كتابه : «التهذيب في اسماء الذئب» مكتفيا بردها من

- (٢٤١) انظر : الغريب المصنف : ورقة ٥٩ ب - ٢٦٠ . وكثر الحفاظ ص ٢٢١
وما بعدها وفقه اللغة وسر العربية ص ٢٠٧ - ٢٧١ . والمخصص :
٧٢/١١ - ٨٢ والمرصع : ص ٣٦٠
- (٢٤٢) انظر : الغريب المصنف : ورقة ٢١٨ ب والمخصص ٥٩/٨ - ٦٤ والمرصع
ص ٣٥٤ اللسان مادة حسب ٣١٧/١ والزهرة البارقة في فنون اللغة
الرافقة لمحمد بن عبدالوهاب الهمداني : ورقة ٣٠
- (٢٤٣) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة د . محمود فهمي حجازي ص ٨٧
ودراسات في لغة العربية د . يعقوب بكر ص ١١٧ - ١٢٠

غير بيان لاسباب تسمية الذئب بهذه الالفاظ الكثيرة^(٢٤٤) . ولو رجعنا الى معجمات اللغة وكتبها لوجدنا ضالتنا من حيث الكشف عن اعتبارات ووجوه اطلاق هذه الالفاظ على الذئب .

ولتحول الصفات الى اسماء في اللغة العربية ما يماثله في لغات اوربا الشمالية فقد اختص الاسم الاصلي للذئب في هذه اللغات وحلت محله صفاته التي تحولت بعد ذلك الى اسماء تطلق عليه . على حين احتفظت السنسكريتية واليونانية بالاسم القديم للذئب^(٢٤٥) .

اختلاف اللغات^(٢٤٦) :

ان الحديث عن هذا السبب ربما يقودنا الى البحث في الحالة اللغوية للعرب قبل الاسلام ، وبيان ما كان لهم من لغات مختلفة ترجع الى مختلف القبائل ، وكيف انتظمت شبه الجزيرة العربية قبيل الاسلام اللغة العربية الفصحى ، وما علاقة هذه اللغة باللغات الاخرى للعرب ، من حيث التأثير والتبادل لاسباب معروفة . غير انني وجدت الباحثين قد فصلوا القول في ذلك واوفوه ما يستحق من الدراسة والبحث ، اذ بينوا ما كان للعرب من لغات مختلفة وبحثوا في كيفية نشوء اللغة المشتركة بسبب العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . ولعل اهم ما لاحظته الباحثون هو وجود عدة بيئات لغوية بجانب اللغة المشتركة ، وهذا ما تشهد به النصوص والاثار اللغوية الكثيرة . والذي يعني من هذا ان اللغة العربية المشتركة تمثل بيئة

(٢٤٤) التهذيب في اسماء الديق للسيوطي : الورقة الاولى والثانية . وهو جزء من كتابه : « ديوان الحيوان » وينظر : باب الدئاب في الغريب المصنف ورقة ٢١٩ واسماء الدئاب وصفاتها في المخصص : ٦٨-٦٥/٨ والمرصع ص ٣٦٢ .

(٢٤٥) علم اللغة العربية ص ١٥ - ١٦ .

(٢٤٦) نمني باللغات هنا ما يقابلها في المصطلح اللغوي الحديث « اللهجات » لان القدامى كانوا يستعملون اللغة ويريدون بها اللهجة .

لغوية واحدة ، وهي اللغة التي جاء بها الشعر الجاهلي ، ودونت بها الآثار
الادبية الاخرى ونزل بها القرآن الكريم .

وقد تعصب معظم القدامى للغة قرش لاسباب غير لغوية حتى كادوا
يقصرون الفصحى عليها ، ومع انهم انحازوا كثيرا الى لغة قرش فانهم لم
ينكروا الاختلاط والتبادل بينها وبين لغات العرب الاخرى . قال الفراء :
(كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتصح البيت في الجاهلية ، وقرش
يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح
العرب ، وخلت لغتهم من مستبعض اللغات ومستبعض الالفاظ . .) (٢٤٧) والى
مثله ذهب احمد بن فارس بعد ان تحدث عن مكانة قرش وفضلها حيث قال :
(وكانت قرش مع فصاحتها وحسن لغاتها ، ورقة الستها ، اذا اتهم الوفود من
العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ،
فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا
عليها ، فصاروا بذلك افصح العرب) (٢٤٨) . وفي اللسان عن قتادة : (كانت
قرش تجتبي ، أي تختار ، افضل لغات العرب ، حتى صار
انضل لغاتها لغتها ، فنزل القرآن بها) (٢٤٩) . وهذا ما صرح به ايضا ابو نصر
الفارابي في اول كتابه المسمى بـ « الالفاظ والحروف » حيث ذكر أن قرشا
كانت اجود العرب اتقادا للانصح من الالفاظ وانها نقلت عن قبائل العرب
الاخرى كقيس وتميم واسد كثيرا من الالفاظ (٢٥٠) .

وهكذا نجد القدامى يقرون بتداخل لغات العرب المختلفة واخذ بعضها
عن بعض ولاسيما ما كان بين لغة قرش ولغات القبائل الاخرى . واذا كان
اغلب القدامى قد عدوا اللغة العربية المشتركة هي لغة قرش ، او ان معظم

(٢٤٧) المزهر : ٢٢١/١ . والانتراح للسيوطي : ص ٨٢

(٢٤٨) الصحابي : ص ٥٢ وعنه في المزهر : ٢١٠/١

(٢٤٩) اللسان مادة عرب : ٥٨٨/١

(٢٥٠) المزهر : ٢١١/١

هذه اللغة قد اخذ عن لغة قريش ، فان المحققين من المحدثين يرون غير هذا . فالذي عليه هؤلاء ان العربية المشتركة ليست لغة قريش حسب ، وانما هي مؤلفة من مجوع لغات العرب ، وقد حفلت بسواد شتى من هذه اللغات . يقول الدكتور إبراهيم السامرائي : (لقد تبينا ان هذه العربية التي ورثناها حفلت بسواد شتى مما ندعوه اليوم بـ « اللهجات » . وليس من العلم ان نقول ان لغة القرآن او الفصحى هي لغة قريش او لغة الحجاز ، والصحيح ان نقول انه اجتمعت في هذه العربية مواد كثيرة ترجع لجماعات عدة في بيئات عدة ، ولم ينص في الكثير الغالب على القائلين .) (٢٥١) . وعلى هذا الرأي طائفة من المحدثين عربا ومستشرقين حيث ذكروا ان اللغة المشتركة هي ليست لغة قريش وحدها ، وانما هي مزيج من لغات العرب فهي لا تنسب الى قبيلة بعينها ، بل تنسب الى العرب جميعا ، مستدلين على هذا بادلة كثيرة اهمها ملاحظتهم الفروق بين لغة قريش واللغة الفصحى التي تمثل في تحقيق الجز في الفصحى بخلاف لغة قريش وبديل وجود الكثير من الفاظ وصفات اللغات الاخرى في القرآن الكريم (٢٥٢) .

ولما كانت اللغة المشتركة الموحدة ، قد تكونت من هذه اللغات المختلفة للعرب ، فلا بد ان تبدو فيها بعض مظاهر هذا الاختلاط ويظهر فيها اثر تداخل لغات القبائل المختلفة . فمن المعلوم ان هذه اللغات التي تكونت منها الفصحى

(٢٥١) التطور اللغوي التاريخي : ص ١١٧

(٢٥٢) ينظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبد الراجحي ، الصفحات : ٤٠ - ٤١ ، ٤٨ - ٤٩ .

و : فصول في فقه العربية د . رمضان عبدالنواب : ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٨ - ٩٩

و : في اللهجات العربية د . ابراهيم انيس : ٦٨ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٤١ ، ١١٧

و : الوجيز في فقه اللغة ، محمد الانطاكى : ص ١٠٠

و : اللغات في القرآن - عبدالله بن عباس ، مقدمة المحقق ص ١-٨

و : اللغات السامية - تولدك ، الصفحات : ٧٤ - ٧٧ ، ٧٨ - ٧٩ وما بعدها

و : مستقبل اللغة العربية المشتركة د . ابراهيم انيس ص ٦

و : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : ٥٤٢/٨ ، ٦٢٦

قد كانت تختلف في بعض الصفات والخصائص اللغوية ، وابين ما يكون هذا في المسائل الصوتية وطرائق نطق الكلمة ، فهذه اللغات وان كانت راجعة الى ارومة واحدة ، الا انها كانت تختلف في بعض المسائل . وما يهنا من هذا الاختلاف هو ما يتعلق بالمستوى الدلالي للالفاظ ولاسيما في مسألة التسمية . اذ يلاحظ ان لغة من اللغات قد تسمي شيئا باسم معين ، على حين تسميه لغة اخرى باسم اخر ، وقد تسميه لغة ثالثة باسم ثالث . وعلى هذا النحو تعدد الاسماء للمسمى الواحد وذلك بحسب اختلاف لغات القبائل . وعندما نشأت اللغة المشتركة من هذه اللغات المختلفة ظهر اثر ذلك فيها . اذ ترتب على تداخل هذه اللغات والخلط بينها ، ان وجد للمسمى الواحد عدة اسماء في اللغة المشتركة وهذه نتيجة طبيعية لتداخل هذه اللغات وامتزاجها في لغة واحدة . ومن هنا كان اختلاف اللغات سببا من اسباب وقوع الترادف في اللغة العربية الموحدة .

ومن الشواهد على ذلك ما نجده في نصوص كثيرة تعددت التسمية فيها للشيء الواحد ، حتى وقع التفاخر بينهم بسبب ذلك . وهذا ما ذكره ابن فارس بقوله (فاما من زعم ان ولد اسماعيل عليه السلام يعيرون ولد قحطان انهم ليسوا عربا ، ويحتجون عليهم بان لانهم الحيرية . . . وانهم يسمون الذئب القلوب ، مع قوله : « واخاف ان ياكله الذئب » (٢٥٣) ويسمون الاصابع الشناثر وقد قال الله : « يجعلون اصابعهم في اذانهم » (٢٥٤) وانهم يسمون الصديق الغلم . والله جل ثناؤه يقول : « او صديقكم » (٢٥٥) وما اشبه هذا) (٢٥٦) . وقد علق ابن فارس على هذا الاختلاف بقوله : (فليس اختلاف اللغات قادحا في الانساب ونحن وان كنا نعلم ان القرآن نزل بافصح اللغات ،

(٢٥٣) سورة يوسف آية ١٣

(٢٥٤) سورة البقرة آية ١٩

(٢٥٥) سورة النور آية ٦١

(٢٥٦) الصحابي ص ٥٥

فلما تنكر ان تكون لكل قوم لغة (٢٥٧) ومن هذا ما لاحظته الجاحظ في لغات أهل الامصار ، اذ ذكر انهم ، انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف في الفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ، وقد ذكر الجاحظ شيئاً من هذا الاختلاف كالذي حكاه عن محمد بن المنذر الشاعر - المتوفى سنة ١٩٨ هـ - ، من ان أهل مكة يسمون القدر برمة وأهل البصرة يسمونها قدرا ، وانهم يسمون البيت اذا كان فوق البيت عليّة ، على حين يسميها أهل البصرة غرفة كذلك يسمي أهل مكة الطلع الكافور والاعريض ويسيه أهل البصرة الطلع ، وقد جاءت استعمالات البصريين موافقة لما جاء في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى : (وجنان كالجوابي وقدور راسيات) (٢٥٨) وقوله تعالى : (غرف من فوقها غرف مبنية) (٢٥٩) وقوله تعالى : (وهم في الغرفات آمنون) (٢٦٠) وقوله تعالى : (ونخل طلوعها هضيم) (٢٦١) ومن اجل هذا افتخر محمد بن المنذر على أهل مكة لموافقة هذه الالفاظ البصرية ومطابقتها للاستعمال القرآني في دفاعه عن لغة أهل البصرة (٢٦٢) .

كما نستفيد شيئاً من هذا الاختلاف من خلال حديث الجاحظ عن لغة واصل بن عطاء في الرء بأنه كان اذا اراد ان يذكر البر ، قال : القمح او الحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية (٢٦٣) .

وفي كتب اللغة والمعجمات الشيء الكثير من المسميات التي نجد لها أكثر من اسم واحد مما جاء على سبيل اختلاف اللغات ، ولكن اللغويين لا

(٢٥٧) المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٢٥٨) سورة مباءة ، آية ١٣

(٢٥٩) سورة الزمر آية ٢٠

(٢٦٠) سورة مباءة آية ٢٧

(٢٦١) سورة الشعراء آية ١٤٨ .

(٢٦٢) البيان والتبيين : ١/١٨ - ٢٠ ط ٣ وانظر : العربية : يوهان فك ص ١١٦

(٢٦٣) المصدر السابق : ١/١٧ .

ينسبون هذه الالفاظ الى اصحابها او القبائل التي جاءت عنها في الغالب ،
مكتفين بالإشارة الى انها لغة دون نسبة . وما اكثر الخلط والاختلاف الذي
وقع في نسبة هذه الاسماء الى لغات القبائل . ولعل هذا الامر كان بسبب
التداخل الحاصل بين هذه اللغات التي ترجع في الحقيقة الى اصل واحد وتمثل
لغة مشتركة موحدة . واذا كان الكثير من القدامى قد حاولوا التفرقة بين
اللغة الفصحى المشتركة واللغات الأخرى التي نعتوها بانها لغات رديئة او
مذمومة ، فمنهم من توسع في هذا حتى جعل اللغات كلها على اختلافها حجة كإبن
جنبي (٢٦٤) . وقرب منه ما ذكره ابن فارس وهو يتحدث عن اختلاف لغات
العرب ويضرب الأمثلة لذلك ، مشيراً الى الخلط والتداخل فيها بسبب
انتشارها فهو يقول : (وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى اصحابها ، ولكن
هذا موضع اختصار ، وهي وإن كانت لقوم دون قوم فانها لما انتشرت
تعاورها كل) (٢٦٥) .

ومن هذا كله يتضح لنا ان لغات القبائل كانت تختلف أحياناً في تسمية
الشيء ، وفي النهاية تستفيد اللغة المشتركة من هذا الاختلاف في تعدد التسمية .
ولما كنا نبحث عن الترادف في اللغة المشتركة ، فلا يسعنا ان نغفل اثر اختلاف
اللغات في وقوع الترادف في تلك اللغة المشتركة . فهو من الأسباب الواضحة
في حدوث هذه الظاهرة وذلك ان : (خاصة اللغة المشتركة الأساسية تنحصر
في انها لغة وسطى تقوم بين لغات أولئك الذين يتكلمونها جميعاً) (٢٦٦) .
واذا كانت اللغة العربية الفصحى مزيجاً من لغات العرب المختلفة التي كانت
بمثابة الروافد لها ، وان شيئاً كثيراً من هذه اللغات قد اجتمع فيها كما
اسلفنا ، امكننا ان نلاحظ سبب ترادف طائفة من الالفاظ وان نعزوه الى هذه
الحقيقة . ومن ذلك ما جاء في أسماء السيف نحو : الخط بلغة أهل البحرين

(٢٦٤) الخصائص : ١/٢

(٢٦٥) الصحابي : ص ٥٠ - ٥١

(٢٦٦) اللغة ، فندريس : ص ٢٤١

وعسان (٢٦٢) والشحاء عند أهل الشحر (٢٦٨) ، واللج بلغة طيء ، وقيل بلغة هذيل أيضا (٢٦٩) . وفي مجالس ثعلب : (الذي يسقط من البر قبل ان يدرك السراء ، الواحدة سراءة وهو الجدال ، الواحدة جدالة ، وهو السداء ملود بلغة اليمن ، وهو السدى بلغة أهل المدينة ، وهو السياب ، الواحدة سيابة بلغة أهل وادي القري وهي الرمح بلغة طيء ، الواحدة رمحة ، وهو الخلال بلغة أهل البصرة وأهل البحرين) . ومن ذلك أيضا نجد : الخردل وهو الثفاء بلغة أهل النور ويسيه أهل العراق : حب الرشاد (٢٧٠) . ومنه ان المرآة هي الوذيلة بلغة هذيل (٢٧١) وان الضفدع يسمى في بعض اللغات الخندع ويقال له القرة في لغة اخرى ، ويقال للضفدعة النقاقة في بعض اللغات (٢٧٢) .

ولعل من الامثلة الواضحة على ترادف الالفاظ بسبب اختلاف لغات القبائل ما دونه الاصمعي في كتابه : « ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه » حيث اورد الكثير منها ، وهي لغات قبائل مختلفة على الأرجح ، وان اغفل الاشارة الى ذلك في الغالب . ومن هذه مثلا : (ويقال للذي يرضع من كل صبي او ببيسة بلغة أهل الحجاز : رضع يرضع ، ويقول من دونهم : رضع يرضع ، وملج يملج ، ورغث يرغث رغثا ورغثانا ، ورغاث ، لا يتون مثل حذام ، وهذا كله في معنى رضع) (٢٧٣) ومنها : (ويقال : انه لكريم الطبيعة ، والضرية ، وانه لكريم الخيم وكريم النحاس ، وكريم السليقة وكريم السوس والتوس .) (٢٧٤) ومن الجدير بالذكر ان هذه الالفاظ الاخيرة قد جاءت في

(٢٦٧) الجمهرة : ٦٧/١ والمزهر : ٤٢٨/١

(٢٦٨) اللسان مادة شلح : ٥٠٠/٢

(٢٦٩) اللسان مادة لجاج : ٢٥٤/٢

(٢٧٠) اللسان مادة ثفا : ٤١/١

(٢٧١) اصلاح النطق ص ٢٤٩

(٢٧٢) المزهر ٢١٦/١ - ٢١٧

(٢٧٣) ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه : ورقة ٢ .

(٢٧٤) المصدر السابق : ورقة

كتاب الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام في باب الاسماء المختلفة
للشيء الواحد^(٢٧٥) وتمثل بها ابن جني^(٢٧٦) شواهد على الترادف مع
التزيد فيها دون نسبة الى القبائل .

وهكذا وقع الترادف في هذه الالفاظ بسبب اختلاف اللغات ، وبه
فسر ما جاء في القرآن الكريم من الفاظ مترادفة وذلك نحو حلف واقسم في
قوله تعالى : (يخلفون بالله ما قالوا)^(٢٧٧) وقوله تعالى : (واقسموا بالله جهد
ايماهم)^(٢٧٨) ونحو بعث وارسل في قوله تعالى : (بعث فيهم رسولا)^(٢٧٩)
وقوله (فارسلنا فيهم رسولا)^(٢٨٠) وقد حاول ابو هلال العسكري بتكلف
واضح التفرقة بين هذه الالفاظ^(٢٨١) . وما جاء في القرآن الكريم أيضا على هذا
النحو آثر وفضل في قوله تعالى : (تالله لقد آثرك الله علينا)^(٢٨٢) وقوله
(واني فضلتكم على العالمين)^(٢٨٣) وحضر وجاء كما في قوله تعالى : (اذا حضر
احدكم الموت)^(٢٨٤) وقوله : (حتى اذا جاء احدكم الموت)^(٢٨٥) وغير هذا مما
جاء في القرآن الكريم^(٢٨٦) .

ونريد ان نخلص من هذه الامثلة الى ان اختلاف اللغات المتمثل بوجود
عدة اسماء للشيء الواحد ، لا يمكن ان يفسر الا على سبيل الترادف ، ولكن

-
- (٢٧٥) الغريب المصنف : ورقة ٢٨٩ ب
(٢٧٦) الخصائص : ١١٤/٢ وما بعدها .
(٢٧٧) سورة التوبة آية ٧٤ .
(٢٧٨) سورة النور آية ٥٢
(٢٧٩) سورة آل عمران آية ١٦٤
(٢٨٠) سورة (المؤمنون) آية ٢٢
(٢٨١) الفروق اللغوية : ص ٢٢٢
(٢٨٢) سورة يوسف آية : ٩١
(٢٨٣) سورة البقرة آية ٤٧
(٢٨٤) سورة المائدة آية ١٠٦
(٢٨٥) سورة الانعام آية ٦١
(٢٨٦) انظر في اللهجات العربية : ص ١٦٨ وفصول في لغة العربية : ص ٢٨٠

ينبغي القول انه ليس من الترادف في شيء تلك الاختلافات القبلية في الكلمة الواحدة نحو : صاعقة وصاقعة ، وجذب وجبذ ، وتمتى وتمطى ، والخزب والخزب ، والجدث والجذب ، والزقر والصقر والسكر ، خلافا لما توهمه معظم القدامى وكثير من المحدثين . فلا اصالة في مثل هذه الالفاظ تدل على انها لغات مختلفة تماما وانما الكلمة واحدة في الاصل ثم حصل فيها تغير صوتي بسبب القلب والابدال في حروفها ، ولا ادل على ذلك من العلاقة الصوتية بين هذه الحروف التي يسهل لحدوث القلب والابدال فيها .

ولا يضوتنا هنا ان نعرض لموقف قدامى اللغويين وغيرهم من هذا السبب حيث نجد الغالية منهم قد عولوا كثيرا على اختلاف لغات القبائل في تفسير الترادف وجعلوه السبب الرئيسي لحدوثه ، بل كادوا يقصرون وقوع الترادف في اللغة على هذا السبب الذي عبروا عنه احيانا بتعدد الوضع . فابن جنبي مثلا قد فر الترادف بتداخل اللغات المختلفة للعرب واجتماعها في لغة انسان واحد ، فهو يقول : (واذا كثر على المعنى الواحد الفاظ مختلفة فسمعت في لغة انسان واحد ، فان احرى ذلك ان يكون قد افاد اكثرها او طرفا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله . هذا غالب الامر ، وان كان الاخر في وجه من القياس جائزا . وذلك كما جاء عنهم في اساء الاسد والسيف والخمر وغير ذلك .) (٢٨٧) ومثل هذا ما ذكره في مكان آخر بقوله : (وكلما كثرت الالفاظ على المعنى الواحد ، كان ذلك اول بان تكون لغات لجماعات ، اجتمعت لانسان واحد ، من هنا ومن هنا) (٢٨٨) . كما ذهب الى هذا التفسير ايضا أهل الاصول فقروا وقوع الترادف بتعدد الوضع نتيجة اختلاف لغات القبائل وجعلوه السبب الاكثر . كما ذكرنا في الفصل الاول .

وازاء مذهب القدامى هذا في تفسير الترادف نقول انه لا نزاع في

(٢٨٧) الخصائص : ٢٧٣/١

(٢٨٨) المصدر السابق : ٢٧٤/١

وقوع الترادف في اللغة بسبب اختلاف لغات العرب على ما بيناه ، وقد سبق ان قررنا ان ذلك امر طبيعي نتيجة تداخل هذه اللغات واختلاطها ، واثرا لما تركته هذه اللغات في الفصحى . بيد ان قول هؤلاء بالوضع على ما يبدو يشر بالخلق والاختراع لهذه الاسماء المختلفة ، وكان هذه القبائل تفصل ذلك عن قصد ، فتضع كل واحدة منها اسما معينا للمسمى الواحد على جهة الاثراد ، وحيلة هذا ان يكون هناك عدة اسماء للمسمى الواحد . وهذا المنحى في التفسير يثير شيئا من الغرابة حقا . وهو امر نتبعده كثيرا اذ اتنا لا نقهم من تعدد الوضع هنا الا استعمال الالفاظ بحسب العرف اللغوي وليس بسبب الخلق والاختراع عن عمد ذلك امر لا تلجأ اللغات اليه الا نادرا . وكيف نقول بالوضع ومن هذه الاسماء ما جاء على سبيل النقل والاستعارة والتطور اللغوي ، ومنها ما اقتبسته القبائل من لغات اعجمية ثم صار بمرور الزمن جزءا من الفاظها الخاصة كما في امثلة العلية للفرقة والسكين للمدينة والخرذل للثفاء والطيثار للبعوض وغير ذلك . وكل هذا ما يلحظ مسألة الوضع بما لتلك النظرة ، ويجعلنا نتحفظ كثيرا في قبولها اضافة الى أننا نجهل الكثير عن الوضع الاول . لقد صور الاقدمون هذا السبب وكان لغات العرب مستقل بعضها عن بعض تماما وليست براجعة الى لغة أم واحدة . على حين ان هذا التمدد الحاصل في التسمية هو في الواقع ما املتته العزلة اللغوية للقبائل بعضها عن بعض وما كان من امر انقسام وتشعب اللغة الواحدة الى بينات لغوية مختلفة اختلافا جزئيا .

ومن ناحية اخرى نرى ان القدامى كانوا قد عولوا كثيرا على هذا السبب في تفسير وقوع الترادف وبالغوا في اثره ، غير انه لا يمكن تفسير هذه الظاهرة بسبب معين ، فهي تعود الى جملة اسباب . ولعل تعويلهم على تعدد الوضع مرده الى اشتراطهم الوضع في حدهم للترادف .

وهذا امر لا يمكن التسليم به البتة ، اذ لا نجد اية اصاله على جهة الوضع في معظم الاسماء التي عدوها مترادفة . ومرد الكثير من ترادف

الالفاظ الى الاستعمال لا الى الوضع الاول . وما يلفت النظر ان قدامى اللغويين - ومنهم ابن جني - ممن فروا الترادف بانه لغات مختلفة ؛ لا يشيرون اشارة واحدة تعزو الالفاظ المترادفة الى تلك اللغات ؛ فلا نجد شيئا من ذلك في امثلة ابن جني^(٢٨٩) ؛ ولا في كتاب الالفاظ المترادفة للرمانى ولا في اسياء السيف لابن خالويه ولا في مرادفات العسل للفيروز آبادي ولا في الامثلة الاخرى للترادف التي جمع منها السيوطي الشيء الكثير^(٢٩٠) . وقال مثل هذا في معظم المترادفات الاخرى التي وصلت الينا .

وقد نلتس العذر لهؤلاء في تعويلهم على هذا السبب بكونه من اوضح اسباب الترادف واظهرها ؛ حتى ان بعض منكري الترادف كابي هلال العسكري قد اعترف بعدم التفرقة بين الالفاظ للشيء الواحد اذا كانت من لغات مختلفة اذ استثنائها من قواعده في التفرقة بين الالفاظ ؛ يدل على ذلك قوله ؛ (فاذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق بين معنيهما فاعلم انهما من لغتين مثل القدر بالصرية والبرمة بالكية ...)^(٢٩١) ولقوة هذا السبب ووضوحه نجد حزمة الاصفهانى يقول ؛ (وينبغي ان يحصل كلام من منع على لغة واحدة ؛ فاما في لغتين فلا ينكره عاقل .)^(٢٩٢)

وليس حدوث الترادف بفعل هذا السبب مقصورا على العربية وحدها ، فقد حدث لاكثر اللغات الحية كما اكد بعض الباحثين العرب والاجانب .

وبعد كل ما تقدم فلا يصح عندنا بحال ما ذهب اليه الاستاذ خليل السكاكيني زاعما ان القبائل هي اعقل من ان تضع لكل مسى اسما ، منكر اثر هذا السبب في قوع الترادف^(٢٩٣) . وقد فاتته ان هذه القبائل قد كانت

(٢٨٩) الخصائص ١١٣/٢ - ١٣٣

(٢٩٠) الزهر : ٤٠٧/١ - ٤١٣

(٢٩١) الفروق اللغوية ؛ ص ١٦

(٢٩٢) الزهر : ٤٠٥/١

(٢٩٣) مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة

تمثل بيئات لغوية مختلفة ضمن لغة واحدة ، ولا شك انها كانت تتباين في تسمية الشيء الواحد احيانا اضافة الى ان هذه النظرة العقلية تنافي الواقع اللغوي المتشعب في كثرة النصوص المروية على اختلاف القبائل في التسمية . واين هو من تباين اللهجات العربية الحديثة اليوم واختلافها في تسمية الشيء الواحد ؟

واذا كان السكاكيني قد رفض هذا السبب بغير وجه حق ، فإن الدكتور رمضان عبدالنواب^(٢٩٤) والدكتور علي عبدالواحد^(٢٩٥) قد جعلاه من اسباب كثرة الترادف في العربية فبالغا في اثره كثيرا . وهو امر لا يصح ايضا . ذلك ان القلة من الالفاظ المترادفة هي التي يمكن تفسيرها بهذا السبب ، واما الكثرة منها فلا يصدق عليها هذا التفسير . والواقع ان هذا السبب وان كان وجيها وواضحا كما ذكرنا لا يفسر لنا هذه الكثرة من المترادفات التي قد تصل الى المئات والالوف لانها اكثر من عدد القبائل اصناف المرات^(٢٩٦) ، ويميز هذا توزيع المترادفات الكثيرة للشيء الواحد على عدد تلك القبائل . كما نلاحظ ان البحث في المترادفات والنظر فيها لا يؤدي مثل هذا الرأي فان معظمها قد جاء بسبب التطور الدلالي كما بينا .

المعرب والدخيل :

اقتبست العربية كثيرا من الفاظ اللغات الاجنبية عبر تاريخها الطويل وذلك بسبب عوامل الاحتكاك اللغوي المختلفة . وقد اخضمتها العربية لقواعدها الصوتية وطوعتها في الناب لمقاييس ابنيتها وجرى بها الاستعمال ، حتى صارت هذه المفردات الدخيلة بمرور الزمن جزءا من ثروتها اللفظية . وظاهرة الاقتباس هذه هي التي اصطلح عليها القدامى بالمعرب والدخيل ، على حين عبر عنها المحدثون بالقرض اللغوي او الاستعارة اللغوية .

(٢٩٤) فصول في فقه العربية : ص ٢٧٩

(٢٩٥) فقه اللفظة : ص ١٧٢

(٢٩٦) الانداد في اللغة : ص ٢٧

وقد تفاوتت نظرة اللغويين القدامى الى مسألة التعريب وشروطه عندهم خيقا واتساعا، فمنهم من لم يشترط فيه سوى الاستعمال، فمتى استعملت العرب الكلمة الاعجية صارت معربة سواء الحقوها باوزان كلماتهم ام لم يلحقوها . وهذا هو المفهوم من عبارة سيويه : (اعلم انهم ما يغيرون من الحروف الاعجية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه) (٢٩٧) والى مثل هذا ذهب الشهاب الخفاجي بقوله : (واعلم ان التعريب نقل اللفظ من العجبية الى العربية) (٢٩٨) وقد ذهب اخرون الى أن التعريب هو ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجية على نهجها وأسلوبها ، وهو ما عناه الجوهري بقوله : (تعريب الاسم الاعجبي : ان تشوه به المعرب على منهاجها ، تقول عربته العرب واعربته ايضا) (٢٩٩) . كما اتنا نجدهم تارة يفرقون بين المعرب والدخيل وذلك بأن المعرب هو الذي غيروا فيه من حيث النطق والوزن والبنية ، فابتعد عن صورته الاصلية ، والدخيل هو الذي ترك على حاله ولم يغيروا فيه شيئا ، وتارة يعدونها شيئا واحدا ، فقد جرى سيويه على تسميته اعرابا (٣٠٠) . وقد ذكر السيوطي انه يطلق على المعرب دخيل (٣٠١) . وسمى الخفاجي وغيره الكلمات المعربة بالدخيل (٣٠٢) . وتعد من المعرب والدخيل تلك الالفاظ التي دخلت اللغة بعد عصور الاحتجاج ومجود الفصاحة ، والتي اطلق اللغويون عليها اسم « المولد »

(٢٩٧) الكتاب : ٢/٣٤٢

(٢٩٨) شفاء القليل فيما في كلام العرب من الدخيل : ٢٣

(٢٩٩) الصحاح مادة عرب : ١/١٧٩ وانظر اللسان مادة عرب : ١/٥٨٩ هـ

(٣٠٠) الكتاب : ٢/٣٤٢ باب ما اعرب من الاعجية

(٣٠١) الزهر : ١/٢٦٩

(٣٠٢) شفاء القليل ص ٢٢ والمرب للجواليقي ص ٣ وينظر من اسرار اللغة

ص ١٢٥

(وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم^(٣٠٣)) او هو ما عرّبه المتأخرون كما يقول الخفاجي^(٣٠٤) .

ان ظاهرة اقتباس المفردات من اللغات الاخرى اثر من اثار التقاء تلك اللغات واحتكاكها بسبب العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية. فاللغات الانسانية في تفاعل مستمر دائم ، تأخذ وتمطي ويؤثر بعضها في بعض ، غالبية كانت او مغلوقة قوية او ضعيفة . وتبدو ظاهرة اقتراس الالفاظ من النواحي البارزة التي تنجم عن قضية التفاعل ، حيث لاحظ علماء اللغات ان اهم ناحية يظهر فيها التأثير ، هي الناحية المتعلقة بالمفردات ، ففي هذه الناحية على الاخص تشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض^(٣٠٥) .

والعربية شأنها شأن اللغات الاخرى في هذا الامر ، وليست بدعا في ذلك ، ولا ضير عليها منه ، وانما هو يدل على حيويتها وقوتها ، ذلك ان (تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي ، يعد امرا مثاليا لا يكاد يتحقق في اية لغة . بل على العكس من ذلك فان الاثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي . ذلك ان احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدي حتما الى تداخلها)^(٣٠٦) . ولهذا لا توجد لغة غير مختلطة ولو الى حد ما ، ولا تخلو او تنجو لغة من قضية التأثير والتأثير ولا سيما اقتباس المفردات^(٣٠٧) .

(٣٠٣) المزهر ١/ ٣٠٤

(٣٠٤) شفاء الفليل ص ٢٣ وانظر نقه اللغة د . وافي ص ١٩٩

(٣٠٥) اللغة ، فندريس ٢٤٨ وما بعدها وعلم اللغة د . وافي ص ٢٢٩ ونصوص في نقه اللغة العربية د . يعقوب بكر : ٥/٢ وما بعدها ونقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك : ٢٩٢ - ٢٩٣

(٣٠٦) اللغة ، فندريس ٢٤٨

(٣٠٧) المصادر السابقة وللتفصيل حول ظاهرة القرض اللغوي ينظر : من اسرار اللغة ، د . ابراهيم انيس : ص ١١٧ وما بعدها محاضرات في اللغة د . عبدالرحمن ابوب : ص ٢٠٠ وما بعدها والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٩٢/٨ وما بعدها .

وهذا ما حدث للعربية في عصورها المختلفة ، حيث اعطت الكثير وكانت
جزيلة العطاء ، كما انها أخذت من مفردات اللغات الاخرى وخاصة من
اللغات المجاورة لها في الجاهلية والاسلام وفي العصور التالية ، ولهذا نجد
قدرا من هذه الالفاظ في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث
الشريف . يقول الجواليقي في مقدمة كتابه « العرب » : (هذا كتاب تذكر
فيه ما تكلت به العرب من الكلام الاعجبي ، ونطق به القرآن المجيد ،
وورد في اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، رضوان
الله عليهم أجمعين ، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ، يعرف الدخيل
من الصريح) (٢٠٨) . وقد أصبح هذا الدخيل يشكل ظاهرة في اللغة تناولها
الدارسون بالبحث والتحليل ، بعد ان تنبها له منذ وقت مبكر فقد أشار
الى وقوعه الخليل بن احمد الفراهيدي (٢٠٩) ، ثم تابعه أصحاب المعجمات
واللغويون في النص عليه حتى افردت له فيه مصنفات خاصة كالمعرب
للجواليقي والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب لليوطي وشفاء الغليل
للخفاجي والالفاظ الفارسية المعربة للإب ادى شير وغير ذلك من مكاتب
القدماء والمحدثون .

وعلى الرغم من بدهاة هذا الامر فقد اختلف الفقهاء واللغويون العرب
فيما ورد من هذه الالفاظ في القرآن الكريم ، وذهبوا في شأنها مذاهب
شتى ، وملخص هذا الخلاف ان طائفة منهم قالت بوقوع الالفاظ الاعجية
فيه كاليم والصراف والفردوس والقسطاس وغير ذلك . وذهب اخرون
الى نفي عجة هذه الالفاظ تنزيها للقرآن من اللفظ الاعجبي الدخيل ، وانه

(٢٠٨) العرب ص ٢ وانظر شفاء الغليل ص ٢٢

(٢٠٩) العين - الجزء المطبوع - ص ٣٦٩ وانظر المزهري : ١/٣٦٩

كله بلسان عربي مبين ، محتجين بقوله تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا) (٢١٠) وقوله تعالى : (بلسان عربي مبين) (٢١١) وقد حاول أبو عبيدة معمر بن المثنى التوفيق بين الرأيين بأن هذه الالفاظ كانت بغير لسان العرب في الاصل ، فلما لفظت بها العرب بالسنتها ، فعربتھا صارت عربية ، فهي عربية في هذه الحال ، اعجبية الاصل على حين رأى بعضهم ان العربية قد وافقت تلك اللغات الاعجية في هذه الالفاظ فجعلوها من باب توارد اللغات واتفاقها (٢١٢) . والذي نراه في هذا كله هو ما ذهب اليه ابو عبيد القاسم ابن سلام وشايعه فيه الجواليقي وآخرون (٢١٣) .

ان التحليل القائم على البحث اللغوي المقارن يثبت هذا ويؤكده ، والغريب ان نجد في هذا العصر من ينكر ذلك ، كالشيخ احمد محمد شاکر في متابعة مذهب ابي عبيدة - معمر بن المثنى - في القديم (٢١٤) .

والذي يعيننا من امر العرب والدخيل تلك الالفاظ التي اقتبستها العربية من اللغات الاعجية ، ولها نظائر عند العرب من حيث الدلالة . ومن هنا كان العرب والدخيل من اسباب وقوع الترادف في العربية ، وذلك باستعمال الكلمة العربية والدخيلة مع نظيرتها العربية التي تحل الدلالة ذاتها .

-
- (٢١٠) سورة الزخرف آية ٣ .
(٢١١) سورة الشعراء آية ١٦٥
(٢١٢) انظر تفصيل ذلك في : الصاحبى ص ٥٩ وما بعدها والمزهرى : ٢٦٨/١-٢٦٩ والاتقان في علوم القرآن للسيوطى : ١٣٥/١-١٤٠ .
والبرهان في علوم القرآن للزركشى : ٢٨٧/١ - ٢٩٠ . واللغات في القرآن لعبدالله بن عباس ص ٩ من مقدمة المحقق والمنفل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٩٤/٨ والمغرب للجواليقى ص ١٠ من مقدمة المحقق وص ٤-٥ من مقدمة المؤلف .
(٢١٣) المغرب ص ٥ وانظر الاتقان في علوم القرآن : ١٢٦/١ - ١٢٧ وشفاء الفليل ص ٢٣ .
(٢١٤) مقدمة كتاب العرب ص ١١ وما بعدها وقد رد عليه د. رمضان عبدالنواب فصول في فقه العربية ص ٣١٢ وما بعدها .

وهنا قد يتبادر سؤال وهو : لم استعارت العرب مثل هذه اللفاظ الدخيلة وفي وسعهم الاستغناء عنها لتوافر ما يقابلها في لغتهم من حيث المعنى والدلالة ؟ وللجواب عن هذا نقول ان اللغة في حياتها وتطورها لا تخضع لهذه النظرة العقلية ، فالواقع اللغوي يدل على خلاف ذلك ، لان العرب قد أخذوا الفاظا وهم في غنى عنها وذلك بسبب خفة اللفظ المستعار وسهولة نطقه بالقياس الى المرادف العربي أو بسبب جدته وطرافته . فقد ذكر ابو حاتم : (ان رؤبة بن العجاج والنصحاء كالأعشى وغيره ربما استعاروا الكلمة من كلام العجم للثقافية ، لتستطرف ، ولا يصرفونه ، ولا يستقون منه الافعال ولا يرمون بالأصلي المستطرف وربما اضحكوا منه) (٢١٥) . كما ذكر الشهاب الخفاجي انهم ربما استعملوه على سبيل التلطف ، وربما استعملوه حزلا ، وأورد أمثلة على ذلك (٢١٦) . وقد لاحظ الجاحظ هذا الأمر وعلمه بخفة اللفظ قائلا : (الا ترى ان أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من الفاطمهم ولذلك يسون البطيخ الخريز ويسون السيط الروذق ... وكذلك أهل الكوفة فانهم يسون المسحاة بال ، وبال بالفارسية . ويسمي أهل الكوفة الحوك الباذروج والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية . وأهل البصرة اذا التقت اربع طرق يسونها مربعة ، ويسيها أهل الكوفة الجهارسوك ، والجهارسوك بالفارسية ويسون القثاء خيارا ، والخيار بالفارسية ، ويسون المجذوم ويذني بالفارسية) (٢١٧) وقد ذكر بعض المحدثين اضافة الى هذه الاسباب اسبابا اجتماعية وحضارية مختلفة لئلا هذه الاستعارة (٢١٨) . وبهذا لا يكون

(٢١٥) العرب للجواليقي : ص ٥٧ ط ٢ وانظر الامثلة ص ١٠

(٢١٦) شفاء القليل : ٢٧

(٢١٧) البيان والتبيين : ١٨/١ - ٢٠

(٢١٨) فقد اللغة د . واي : ص ٢٠٢ وفي اللهجات العربية ص ١٧٠ ومن اسرار

اللغة : ص ١١٧ - ١١٩ و ١٢٢ والوجيز في فقه اللغة - محمد الانطاكي :

ص ٤٣٠ وما بعدها ونشوء اللغة العربية ونموها واكتسابها - انتاس

الكرملي : ص ٨١

التعريب لحاجة لغوية فقط ، لان العرب عربت الفاظا مع وجود ما يرادفها في لغتهم الاصلية . وهو يكشف عنه ويشهد به الواقع اللغوي .

ومنها تكن اسباب ودوافع الاتراض اللغوي فأثنا نجد في اللغة الفاظا مترادفة منها ما هو عربي اصل ومنها ما هو اعجمي دخيل . ومن الشواهد على ذلك ما نجده في اساء الخمرة من الفاظ اعجمية معربة مثل الاسفنت - وفيها لغات كثيرة - وهي رومية الاصل^(٢١٩) . والرساطون او الرساطون وهي معربة عن الرومية ايضا^(٢٢٠) . جاء في اللسان عن الازهري : (وأهل الشام يسون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه . قال : وأراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من اهل الشام^(٢٢١)) والخندريس وهي من أصل يوناني ، وقيل من أصل فارسي ، والاول أرجح وهو الذي اختاره الاب انتاس الكرملي^(٢٢٢) . ومن اسائها : الدراقة - وفيها عدة لغات - وهي رومية الاصل . قال الصاغاني : الترياق بالكسر دواء السوم والعرب تسمي الخمر ترياقا وترياقا لأنها فيما يزعمون دواء السوم ، فشبهت الخمر بها في منافعها البدنية ، فسوها بأسمه اي بأسم ذلك الدواء - الترياق^(٢٢٣) . وفي اللسان (والعرب تسمي الخمر ترياقا وترياقا

(٢١٩) الجليس الانيس في تحريم الخندريس - محمد الفيروز آبادي : ورقة ٢٩ ب - ٢٢٠ ب وانظر : العرب : ص ١٨ - ١٩ واللسان مادة اسفنت وصغنت ٢٥٥/٧ - ٢٥٦ وكلام العرب د . حسن ظاظا ص ١٠٤ نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ص ٢٨ .

(٢٢٠) الجليس الانيس في تحريم الخندريس - ورقة ٦٣ أ - ب وانظر : العرب ص ١٥٧ وشفاء الفليل ص ١٢٢ ونشوء اللغة العربية ص ٧٦ .

(٢٢١) اللسان مادة رسط : ٢٠٤/٧

(٢٢٢) الجليس الانيس ورقة ٥٥ ب - ٥٦ أ والعرب ص ١٢٤ - ١٢٥ اللسان مادة خندريس ٧٢/٦ . وشفاء الفليل ص ١١٢ وكلام العرب ص ١٠٤ ونشوء اللغة العربية ص ٢٩

(٢٢٣) الجليس الانيس في تحريم الخندريس : ورقة ٤٢ ب - ٤٤ أ ورقة ٥٨ أ - ب وينظر العرب ص ١٤٢ - ١٤٣ وشفاء الفليل ص ٨٢ ص ١٢٠ واللسان مادة ترق : ٢٢/١٠

لأنها تذهب باليم) (٣٢٥) كذلك من اسائها العربية الزرجون واصلها زركون ، وزر بالفارسية الذهب وكون اللون اي لون الذهب . فكانها سميت بذلك تشبيها لها بلون الذهب (٣٢٥) . ومنها الفيهج وهو في الاصل مكيال الخمر ، قال الجوهري : (الفيهج ما تكال به الخمر فارسي معرب . وقد تسمى الخمر فيهجا .) (٣٢٦) ومن اسائها كذلك الباقر بفتح الذال وكسرهما وهي تعريب « باده » وهو اسم الخمر بالفارسية كما ذكر الاب ادي شير ونص عليه بمض القدامى (٣٢٧) .

وسا نلاحظه في طائفة من اساء الخمرة العربية امران : اولها ورود عدة صور لفظية للكلمة الواحدة نحو : الرساطون والرساطون ، والرشاطون ، والدرياق والترياق والطرياق ، والازفند والازفند والاسفند والاصفند والاسفند والاصفند وما الى ذلك . وليست مثل هذه الالفاظ بلغاتها المتعددة من الترادف في شيء ذلك ان هذه الاختلافات الصوتية انما هي بسبب تباين العرب في نطق الكلمة العربية الواحدة ، ولا ادل على ذلك من قول الاصمعي في « الاسفند » (واصل الكلمة رومية تلاعبت فيها العرب بالتصرف) (٣٢٨) . خاللاقة الصوتية واضحة جدا بين هذه الحروف المبدلة فالسين والصاد والزاي من مخرج صوتي واحد ، وكذلك التاء والذال والطاء . ويصدق هذا الامر على معربات اخرى حدث فيها تغير صوتي على سبيل القلب والابدال في بعض

(٣٢٤) اللسان مادة ترق : ٢٢/١٠

(٣٢٥) الجليس الانيس : ورقة ٦٦ ٢ - ب والعرب ص ١٦٥ وشفاء الغليل ص ١٢٨ واللسان مادة زرجن ١٢/١٩٦ والالفاظ الفارسية العربية : ص ٧٧ وكلام العرب : ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣٢٦) الجليس الانيس : ورقة ٩٤ ب ، الصحاح : ١/٣٢٦ واللسان مادة نهج : ٢٤٩/٢

(٣٢٧) الجليس الانيس : ورقة ٣٧ ب والعرب : ص ٨١ وشفاء الغليل ص ٦٣ والالفاظ الفارسية العربية ص ١٧ - ١٨ واللسان مادة بندق : ١٠/١٤ .

(٣٢٨) الجليس الانيس - ورقة ٢٠ ٢

حروفها فجاءت بعدة صور لفظية مثل : المزاب والميزاب والمرزاب والمزراب ، وهو فارسي معرب يقابله في العربية المشب (٢٢٩) . فهذه الاشكال اللفظية لا يكن عدها من الترادف وان توهم القدامى اصالة اللغات فيها . لان اللفظة الاعجية الدخيلة واحدة فلما عربت نطقت بعدة صور مختلفة تبعاً لاساليبهم في النطق واختلاف الناطقين بها . واذا اختلف العرب في نطق العربي الاصيل فما بالك بالاعجبي الدخيل ؟

وثانيهما : ان بعض هذه الالفاظ لم يكن اسماً للخمرة في الاصل وانما سبت به مجازاً حتى صار فيما بعد حقيقة فيها ، او هو ضرب منها او وصف لها، ثم اصبح اسماً غالباً عليها، وكل هذا قد جرى بسبب تطور الدلالة فان الالفاظ المعربة ليست بنشأ عن سنة التطور الدلالي ، اذ يحدث لها ما يحدث للالفاظ العربية الاصلية ولا تبقى على دلالاتها القديمة والاصلية . يقول الشهاب الخنجاوي : (وقد يعرب لفظ ثم يتمم في معنى اخر غير ما كان موضوعاً له) (٢٣٠) . بمثل هذا تفسر ترادف الخندريس والخمرة وذلك على رأي من يقول ان الخندريس جفة لها وهي الخمر العتيقة وقد سبت بذلك لعتقتها وقدمها (٢٣١) ، وكذا تسميتها بالزرجون تشبيهاً لها بلون الذهب ، وذلك مثل تسميتها بالصبا والكسيت للونها ايضا ، وهي في الاصل صفات لها فاستعملت على سبيل الغلبة حتى صارت اساء اعلام عليها . وعلى هذا ايضا تفسر تسميتها فيمجا ، اذ انه لا يعني الخمرة في الاصل كما ذكرنا وانما مكيالها ، ثم سميت الخمرة به على سبيل المجاز المرسل من باب تسمية الشيء بما قرب منه او ما كان منه بسبب . ومثله تسميتها نامللا وهو في الاصل كوز او قدح

(٢٢٩) العرب : ص ٢٢٦ واللان مادة زرب : (١/٢٢٧) والالفاظ الفارسية المعربة ص ١٢٩

(٢٣٠) شفاء الغليل : ص ٢٢ وانظر : فقه اللغة د . واني : ص ٢٠٢

(٢٣١) الجليس الانيس : ورقة ٥٥ ب - ٥٦ . والمعرب : ص ١٢٤ - ١٢٥ وشفاء الغليل ص ١١٢ واللان مادة خندريس : ٧٢/٦

يُكَّالُ بِهِ الْخَمْرُ ثُمَّ صَارَتْ الْخَمْرُ تَسْمَى نَاطِلًا . وقد وجهه الفيروز آبادي بقوله : (وهذا من باب تسمية الشيء باسم محله) (٣٣٢) ومن هذا القبيل تسميتها تريباقا وهو في الاصل دواء السوم كنا تقدم ، ثم سويت الخمرة به باعتبارها دواء السوم ايضا . وذلك على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون من شأنها او باعتبار المسبب .

وايا كانت الدلالة الاصلية لمثل هذه الكلمات المعربة فان العرب قد استعملتها بمعنى الخمر . فقد جمع الفيروز آبادي طائفة منها ونص على عجزها في الاصل وبين دلالاتها الاصلية وعرض لاستعمال العرب اياها بمعنى الخمر متشهدا بكثير من النصوص ما جاء في كلام العرب شعرا ونثرا وذلك في كتابه الموسوم بـ (الجليس الانيس في تحريم الخندريس) الذي صنفه لهذا الغرض . ومثل هذا ما نجده بشأنها متفرقا في المعجمات وكتب العرب والدخيل . على ان اقتراض هذه الالفاظ الاعجمية الدخيلة وتعريبها ولاسيما الفارسية واليونانية يكن عزوه الى اشتهار الفرس والروم بالخمرة وشيوعها عندهم وكثرة صناعتها وتفننهم فيها اكثر من العرب الذين لم يعرف عنهم مثل ذلك ، وقد يرت الصلات التجارية وعامل المجاورة انتقال هذه الالفاظ الى البيئة العربية .

ومن الامثلة الاخرى على حدوث الترادف بسبب المعرب والدخيل : الاسي للطيب التي دخلت من الارامية ، مأخوذة عن البابلية التي اخذتها هي ايضا عن السومرية (٣٣٣) . وقد ذكر الاب ادبي شيران الآسي بمعنى الطيب مأخوذة مع مشتقاته من السريانية (٣٣٤) . ونجد من مرادفات الصحراء : « الدست » معربة عن دشت الفارسية ، قال الاعشى :

-
- (٣٣٢) الجليس الانيس : ورقة ١١٤ ٢ - ب وانظر : اللسان مادة نطل : ٦٦٦/١١ والمرصع ص ٦٣ .
(٣٣٣) كلام العرب . حسن ظاظا ص ١٠٤ - ١٠٥ .
(٣٣٤) الالفاظ الفارسية المعربة : ص ١٠ .

قد علمت فارس وحمير والاعراب بالدست ايكم نزلا
وقال الراجز :

تخذت من نعجات ست سود نعاك كنعاج الدشت

وقد اختلف في هذه اللفظة فكتب اللغة تذكرها تارة بالسين وتارة بالشين
والصحيح ان تعريبها « الدست » اما الدشت فقارسي محض ، ولم تقع
اتفاقا بين اللغتين كما قيل^(٣٣٥) . ومن الالفاظ الدخيلة المرادفة للمرأة :
« الجنجل » ويقال ايضا : الزجنجل وهي رومية يقابلها في العربية عند
هذيل : « الوذيلة » وقد جاءت في معلقة امرئ القيس :

مهتمة بيضاء غير مفاضة

ترائبها معلقة كالجنجل^(٣٣٦)

ونجد من مرادفات الداهية العربية : « الفكر » تعريب « پتياره »
الفارسية^(٣٣٧) . ومن اساء العسل الثانين التي اوردها صاحب القاموس
تجد المتشمار وقيل الدستفار ، فقد جاءت في اللسان بالمميم وذكرها الاب
ادى شير بالدال^(٣٣٨) . وهي معربة عن الفارسية . ومن مرادفات الاسد :
« قورة » وهو معرب عن « كشورز » الفارسية^(٣٣٩) . وقد جاءت في

(٣٣٥) العرب : ص ١٢٨ وشفاء الفليل : ص ١٢٢ والمزهر : ٢٦٧/١ وديوان
الاحشى ص ١ واللسان مادة دشت : ٢٣/٢ والالفاظ الفارسية العربية
ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣٣٦) العرب : ص ١٧٩ وشفاء الفليل : ص ١٢٥ واصلاح المنطق ص ٢٤٩
واللسان مادة سجل : ٢٢٧/١١ وديوان امرئ القيس : ص ١٥ تحقيق :
ابو الفضل ابراهيم .

(٣٣٧) اللسان مادة نكر ٤٤/٥ وفقه اللغة للشعالبي : ص ٣٠٩ والالفاظ
الفارسية العربية ص ١١٧

(٣٣٨) اللسان مادة مستفر : ١٧٢/٥ والمزهر : ٤٠٧/١ والالفاظ الفارسية
العربية : ص ٦٤ .

(٣٣٩) الالفاظ الفارسية العربية : ص ١٢٦ وينظر اللسان مادة قر : ٩٢/٥ .

قوله تعالى : « فرت من قسورة »^(٢٤٠) وفي الامثال : « اجراً من قسورة »
اي اسد^(٢٤١) .

ومن الالفاظ الاعجمية العربية « اليم » ومرادفه العربي البحر ، وقد
فسر في التنزيل بالبحر^(٢٤٢) . يقول فرنكل ان لفظ بحر عربي اصيل ، ولكن
اخذ العرب « اليم » عن جيرانهم الاراميين . واللفظ في السريانية ، بل في
الارامية عامة هو Yamma يسا^(٢٤٣) . وقد وردت كلتا اللفظتين عدة مرات
في القرآن الكريم . ومن ذلك القسطاس وهو الميزان بالرومية كما ذكر ابن
دريد ، وقد تكلمت به العرب وجاء في القرآن الكريم ، اضافة الى الميزان . وقد
اختلف المستشرقون اختلافا كبيرا حول اصل هذه الكلمة في اليونانية^(٢٤٤) .
ومن ذلك الصراط بمعنى الطريق ، وهو من اصل لاتيني : (Starta)
وقد انتقلت الكلمة من اليونانية الى الارامية اليهودية والسريانية^(٢٤٥) . وقد
جاءت في القرآن الكريم وكلام العرب .

وقد كثر استهاد الباحثين بالمدينة والسكين على اختلاف النيجات في
حدوث الترادف ، إذ تروي كتب اللغة ان قبيلة دوس من الازد تتعمل مدينة
على حين يستعمل اهل الحجاز السكين . وحقيقة هذا المثل ان المدينة التي
تقول بها دوس هي كلمة عربية ، وان السكين التي يتعملها اهل الحجاز هي

(٢٤٠) سورة المدثر ، آية ٥١
(٢٤١) الدرّة الفاخرة : ١١٦/١ ، وجمهرة الامثال : ٢٢٩/١ ومجمع الامثال

١٨٥/١

(٢٤٢) الجمهرة : ١٢٢/١ والمغرب : ص ٢٥٥ واللسان مادة بيم ٦٤٧/١٢

(٢٤٣) نصوص في فقه اللغة العربية يعقوب بكر : ٢٧/٢ في هامش الصفحة .

(٢٤٤) الجمهرة : ٢٧/٢ اللسان مادة قسط : ٢٧٧/٧ والمغرب : ص ٢٥١

وشفاء الفليل : ص ٢٠٨ ونصوص في فقه اللغة العربية يعقوب بكر :

٢٩/٢ - ٣٠ في الهامش .

(٢٤٥) الالفاظ الفارسية العربية : ص ٢٩ ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٩/٢

هامش الصفحة .

كلمة معربة عن الآرامية^(٢٤٦) . فإذا نظرنا إلى الأصل جاز الاستشهاد بها هنا على حدوث الترادف بسبب المعرب والدخيل ، وإذا اعتبرناها عربية بفعل الاستعمال والتعريب ، صح الاستشهاد بها عندئذ على حدوث الترادف بسبب اختلاف اللهجات العربية . وهنا نرى التداخل بين سببين من أسباب وقوع الترادف في اللغة ، يفرق بينهما اعتبار الأصل والواقع اللغوي . ويصدق هذا على كلتي الفرقة والعلية وعلى الفاظ أخرى .

وفي اللغة كثير من المعرب والدخيل الذي نجد له ما يرادفه في العربية وقد افرد السيوطي لذلك فصلاً ساء « فصل في المعرب الذي له اسم في لغة العرب » أورد فيه الكثير من الأمثلة ومنها ما ذكره عن الخليل أن الياسمين يسمى بالعربية السسق والسجلاط ، وأن اللوبيا تسمى الدجر ، ويسمى السكر المبرت بلغة أهل اليمن^(٢٤٧) . والياسمين فارسي معرب ، وقيل أن اللفظة مصرية الأصل^(٢٤٨) . واللوبيا - وفيها لغات - معربة عن الفارسية ، وقال فرنكل أنها مأخوذة من الآرامية^(٢٤٩) . وأما السكر فهو تعريب شكر عن اليونانية كما ذكر الأب ادي شير ولم يرجح لها أصلاً في اللغات التي جاءت فيها^(٢٥٠) .

وبخلاصة القول في المعرب والدخيل أنه سبب واضح لحدوث الترادف في اللغة حتى أن المتكرين للترادف لم ينكروه إذا جاء على هذا السبيل ، أي إذا

(٢٤٦) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ص ٨٩ ونقه اللغة د . وافي ص ١٢٨ وفي اللهجات العربية ص ١٦٤ - ١٦٥ ودراسات في نقه اللغة : ص والتطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر ص ١٥

(٢٤٧) الزهر : ٢٨٢/١ - ٢٨٤

(٢٤٨) المعرب : ص ٢٥٦ وشفاء الغليل ص ٢٧٨ والألفاظ الفارسية المعربة : ص ١٦٠

(٢٤٩) الجهمرة : ٦٤/٢ والمعرب ص ٢٠٠ وشفاء الغليل ص ٢٢٢ والألفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٢

(٢٥٠) الصحاح مادة سكر : ٦٨٨/٢ وشفاء الغليل : ص ١٤٨ والألفاظ الفارسية المعربة ص ٩٢ .

كان من لغتين ، وقد صرح العسكري بذلك قائلاً : (فاذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ولم يتبين لك الفرق بين معنيهما فاعلم انهما من لغتين مثل القدر بالبصرة والبرمة بالمشقة ، ومثل قولنا الله بالعربية وازر بالفارسية) (٢٥١) . ويقول حمزة الازفهباني : (وببني ان يحل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فاما في لغتين فلا ينكره عاقل) (٢٥٢) . والحق ان هذا السبب يشبه السبب السابق وهو اختلاف اللهجات في حدوث الترادف ويصدق عليه ما ذكرناه انما وذلك اننا نجد هنا كلمة دخيلة واخرى اصيلة للمعنى نفسه ، وهناك نجد الكلمتين من بيئات لغوية عربية وقد ادى تشابه هاتين الحالتين الى شيء من الاختلاط والتداخل بينهما الا ان الرجوع الى الاصل يرد كل حالة الى حقيقتها .

ومع وضوح هذا السبب وقوته ينبغي الا نبالغ في اثره كثيرا فنشر به العديد من الالفاظ المترادفة كما بدا لبعض الباحثين المحدثين الذين جعلوا العرب والدخيل من اسباب كثرة الترادف في العربية فخلطوا بذلك بين الاسباب الحقيقية للترادف وبين اسباب كثرته في اللغة (٢٥٣) . فهذا الحكم في الواقع لا يصح الا فيما يتعلق باللفظة الدخيلة او العربية ولها مرادف عربي ولا شك ان مثل هذا كثير كما ذكرنا ، ولكنه لا يصلق على كثرة المترادفات للمعنى الواحد وهو الجانب المهم والمشكل في ظاهرة الترادف في العربية ، وذلك للاسباب الآتية :

١ - اننا لا نجد في المترادفات الكثيرة على الشيء الواحد الا بضع كلمات معربة ، وفي معظم الاحوال لا تتجاوز الكلمة او الكلمتين كما في اسماء العسل والاسد والليف والداهية والصحراء والطويل والقصير ، مع ملاحظة

(٢٥١) الفروق اللغوية : ص ١٦

(٢٥٢) المزهري ١/٤٥٥

(٢٥٣) انظر : فصول في فقه العربية د . رمضان عبدالتراب : ص ٢٨٢ ونقده اللغة د . واي : ص ١٧٢ وما بعدها .

ان ما سوه باللغات العديدة في الكلمة الواحدة ليس من الترادف في شيء
كما ينا .

٢ - ان طائفة من الالفاظ المعربة والدخيلة التي لها مرادف عربي ،
لم تكن شائعة ولا معروفة عند جميع العرب ، فمنها ما كان مختصا بيئة
معيّنة دون سواها من بيئات الاقاليم الاخرى ، بل ان قسا من العرب ليجهل
بعض هذه الالفاظ لعدم معرفته واستعماله لها . وهذا واضح في مثل المدية
والسكين التي جهلها ابو هريرة عند سماعه لها اول مرة ، لولا تلك
المصادفة اللغوية بينه وبين الرسول الاعظم (ص) ، التي كشفت عن ترادف
الكلمتين . حيث يروى ان ابا هريرة لقي النبي (ص) وقد وقعت من يده
السكين ، فقال له : ناولني السكين ، فالتفت ابو هريرة بيّنة ويسرة ولم يفهم
ما المراد بهذا اللفظ . فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ، ثم قال : « المدية
تريد ؟ » فقيل له نعم . فقال او تسمى عندكم سكيّنا ؟ ثم قال والله لم اكن
سمعتيا الا يومئذ . وقد تردد الدكتور ابراهيم انيس في قبول هذه الرواية
بحجة ان كلمة «السكين» قد وردت في القرآن الكريم ولا يسكن ان تغيب عن
ذهن احد من المسلمين مثل ابي هريرة^(٢٥٤) . ونحن لا نرى وجها لذلك .
فلنا نجد غرضا من وراء خلق هذه الرواية ، وهي من الروايات المشهورة
التي تكاد تكون متواترة . ولا يفترض بابي هريرة ان يكون عارفا بكل الفاظ
القرآن الكريم والا يغيب عن ذهنه لفظ منه . فلا عجب في ذلك فكثيرا ما كان
الخلفاء والصحابة يألون عن كلمات في القرآن الكريم كانوا يجهلونها ،
وتوقفوا عند الفاظ لم يعرفوا معناها . ومثل ابي بكر الصديق وعمر بن
الخطاب (رض) كانا لا يعرفان ما « الاب » في قوله تعالى (وفاكهة و ابا)^(٢٥٥)
ومثل ابن عباس وهو ترجمان القرآن وحير الامة كان لا يدري ما « فاطر »
الساوات حتى سأل عنها ، ويقول : (ما أدري ما الغلين ولكني اظنه

(٢٥٤) في اللبجات العربية : ص ١٦٤ - ١٦٥

(٢٥٥) سورة عبس ، آية ٢١ .

الزقوم) (٢٥٦) وما يميز عدم معرفة هذه الكلمة انها ليست عربية الاصل ، بل دخيلة انتقلت الى العربية من الارامية على الأرجح ، وكانت شائعة معروفة عند اهل الحجاز ، في حين كانت قبيلة دوس التي يتسب اليها ابو هريرة ، تستعمل الكلمة العربية « المديّة » بدلا من تلك الكلمة الدخيلة .

وعلى أية حال فان العربيات لم تكن مستعملة عند جميع العرب ، فالكلمة الفارسية العربية التي يستعملها اهل العراق قد لا يعرفها اهل الشام ، والكلمة الرومية العربية التي يستعملها اهل الشام قد لا يعرفها اهل العراق ، وقس على هذا بالنسبة للإقاليم الأخرى . وذلك تبعا لصلة الاقليم بما يجاوره من اللغة الاعجمية واخذه عنها ولا ادل على ذلك من قول الازهري الآنف الذكر في الحديث عن اساء الخرة بان اهل الشام يسون الخمر الرساطون ، وسائر العرب لا يعرفونه . قال : واراها رومية دخلت في كلام من جاورهم من اهل الشام (٢٥٧) . كما يتضح لنا هذا الامر فيما سجله المقدسي من الاستعمالات المحلية للترادفات التي جاءت على سبيل التهرب من عدة لغات اعجمية واختصاصها بلغة اقليم معين دون غيره ، حيث نرى الكثير من هذه العربيات موزعة توزيعا جغرافيا على مختلف الاقاليم العربية وذلك بحكم صلة الاقليم بما يجاوره من اللغة الاعجمية التي اخذ عنها (٢٥٨) . وهذا مما يدل على الاستعمالات الاقلية للمعرب والدخيل وعدم معرفة جميع العرب بهذه الالفاظ على حد سواء . ويفهم هذا ايضا من نص الجاحظ السالف الذكر . ونحن وان كنا ننظر الى اللغة العربية على انها تمثل بيئة لغوية واحدة ، لكننا نجد الواقع اللغوي احيانا يفرض علينا عدم التسليم المطلق بهذا في كل الاحوال ، فنس العربيات ما استعمل استعمالا محليا ولم يكن معروفا عند

(٢٥٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١١٢ ، ١٣٦ ، وانظر امثلة اخرى في هذا المصدر نفسه وفي الصحاح ج٥٨ والبيان مادة حن: ١٢/١٢٩

(٢٥٧) تهذيب اللغة ١٢/٣٢٦

(٢٥٨) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي الصفحات : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ و ٩٨ ، ٩٩ ، وينظر العربية ليوهان فك : ص١٩٤ وما بعدها .

الجميع ، وهذا ما يقلل من شأن هذا السبب واهيته في حدوث الترادف ، لان الترادف حقا هو استعمال الالفاظ المختلفة بمعنى واحد ، ولا بد من شرط الاستعمال للتحقق من وقوع الترادف في الالفاظ .

٣ - ان الملاحظ على المعرب ومرادفه العربي انها غالبا ما يكونان في صراع مستمر ، فقد يظن هذا الاعجبي الدخيل على مرادفه العربي في الاستعمال وقد يضعف هذا الدخيل عن منافسة نظيره العربي ، فيقل استعماله او يندثر بمرور الزمن ، وهكذا ينتهي الامر بقلبة احدهما وندرة استعمال الاخر او هجرانه تماما . ومن الامثلة على الحالة الاولى الفاظ الورد والترجس والياسين والمسك والتوت والباذنجان والابريق والرصاص والميزاب وغير ذلك ، فقد قضت هذه الالفاظ المعربة او كادت على نظائرها العربية وهي الحواجم والعجر والسق والمشوم والفرصاد والحدج والتامورة والصرقان المثب . ومن امثلة الحالة الثانية الفاظ البوسي والجردقة والقيروان والسنجل والموزج والقومس ، فقد قل استعمال هذه المعربات وندثر لضعفها عن منافسة نظائرها العربية وهي السنية والرغيف والجماعة من الخيل والمرأة والخف والامير^(٢٥٩) . والواقع اننا نرى هنا ان المسألة لا تعدو ان تكون استبدال لفظ باخر بسبب الخفة والجدة والطرافة والبلى المعنوي وغير ذلك ، فيكون عندئذ هذا الترادف مؤقتا وليس ثابتا ، حيث يتبدل لفظ باخر في نهاية الامر ، ويهجر العربي او الدخيل في الاستعمال بمرور الزمن . وكل هذا ما يقلل ايضا من شأن المعرب والدخيل في حدوث الترادف في اللغة .

وعلى أية حال فان الاقتباس من اللغات الاخرى مع وجود النظر العربي الاصيل يبقى سببا من اسباب الترادف وان كانت هذه الالفاظ في الاصل خارجة عن اللغة ، اذ تصبح جزءا من الواقع اللغوي بفعل الاستعمال . واذا

(٢٥٩) فقه اللغة د . وافي : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ وينظر امثلة اخرى في : نشوء اللغة العربية ونموها واكتنالها ص ٨٦ - ٩٨

كان بإمكان التحليل اللغوي الكشف عن أصولها الاعجمية والفرق بينها وبين الاصيل فان هذا غالبا ما يجمله المستعمل للغة الواحدة . وهنا يصدق على هذا السبب تلك النظرية التي تقول ان الانسان لا يتكلم البتة في الوقت الواحد الالفة واحدة ، وان وحدة اللغة المتكلمة تستقر بكل باطة في شعور المتكلم ، ولا عبرة بعد ذلك بما يكتشفه التحليل في هذه اللغة من عناصر اجنبية (٣٦٠) .

ان الاقتراض اللغوي يوصفه سيبا في حدوث الترادف ليس مقصورا على العربية وحدها ، وانا هو واقع في اللغات الاخرى ايضا ، وقد اكده ستيفن اولمان وضرب له الامثلة الكثيرة (٣٦١) .

يتبين لنا من هذه الاسباب مجتمعة انه لا يمكن تفسير حدوث الترادف بسبب معين ولا يصح قصر نشأته على عامل واحد دون سواه ، على ما ذهب اليه قدامى اللغويين وتابعهم فيه كثير من المحدثين . اذ ان وقوع الترادف يندعما ذكره له من تفسير جزئي ممثل في تعدد الوضع على سبيل اختلاف اللغات . وان بالغوا كثيرا في اثر هذا السبب . والواقع ان نشأة الترادف تعود الى جملة اسباب وعوامل مختلفة ، تتفاوت اثرا ووضوحا كما عرضنا لها في هذه الدراسة ويبدو واضحا من هذه الدراسة ان للتطور الدلالي اثرا كبيرا في ترادف الالفاظ . فمرد معظم المترادفات ، ان لم نقل جميعها ، الى التطور الدلالي بفعل الاستعمال كما رأينا ، وبعبارة اخرى ان ظاهرة الترادف غالبا ما تكون نتيجة التطور في الاستعمال او نتيجة الجديد في الدلالة وليست بسبب الوضع ، وبهذا التفسير يمكن ان نرد كثيرا ما عد من المترادف الى هذه الحقيقة في التطور والاستعمال . ولذلك لا يصح النظر الى الترادف وتفسيره الا في ضوء الدلالة وتطورها ومن خلال الاستعمال اللغوي . لان فكرة الترادف في حقيقتها مسألة دلالية قبل كل شيء تتعلق بالمعنى وما يعتوره من تغير جراء الاستعمال .

(٣٦٠) اللغة فندريس ص ٢٥٨

Semantics an Introduction, p. 142, 146 — 149.

(٣٦١)

ولا ادل على هذه العلاقة الوثيقة من ان اكثر اسباب حدوث الترادف واحدا ما ذكرناه من تخصيص العام وتعميم الخاص وتحول الصفة الى الاسية ومن انتقال مجال الدلالة على سبيل المجاز ، هي من اهم مظاهر التطور الدلالي وسبله المعروفة ويدلنا على ذلك ايضا ان حدوث الترادف اكثر ما يكون في مجال الالفاظ المتقاربة في المعنى . وحتى اذا نظرنا الى السببين الاخرين وهما اختلاف اللغات و (المعرب والدخيل) على انهما شكل من اشكال التطور اللغوي ، فانه يمكننا القول ان الترادف هو نتيجة التطور اللغوي بمعناه الواسع وليس بسبب الوضع الذي نجهل عنه الكثير ولا ندرى كيف تم ومتى . فنحن نستبعد كثيرا ان تكون هذه الكثرة الكاثرة من المترادفات نتيجة الوضع ولا سيما اذا قصد به الوضع في اللغة الواحدة . فلا يعقل ان تضع اللغة الواحدة في الاصل العشرات بل المئات من الاسماء للمسمى الواحد من غير فرق بينها في الدلالة . ولكننا على أية حال لا نستبعد القلة القليلة من ذلك .

اقول ان اغلب الالفاظ الترادف يعود الى التطور اللغوي الذي يمكن من استعمال الالفاظ بخلاف معانيها الاصلية او القديمة في اللغة . وهذا ما يؤكد ويكشف عنه البحث اللغوي التاريخي في المترادفات وهو ما اثبتناه في هذه الدراسة فزوال الفروق بين الالفاظ او تناسيها واستعمالها مترادفة يرجع في الغالب الى هذه الحقيقة اللغوية . ويمرر هذا التفسير ما اشار اليه الجاحظ قديما بقوله السالف الذكر من ان الناس قد يتخفون الالفاظا ويتعلمونها وغيرها احق بذلك منها ، وانهم لا يفضلون بينها ، ولا يتفقدون منها ما هو احق بالذكر واولى بالاستعمال .

ان هذه الملاحظة على قدر كبير من الوجاهة والصواب ، لان مسألة الاثر اللغوي او الخفة اللفظية وسهولة النطق لها اثرين في استعمال الناس الالفاظ دون مراعاة للفروق بينها او التباين فيها ، فيؤثرون الجانب اللفظي على الجانب المعنوي ولا يكثرثون بالدقة في الدلالة وتحديدها كما هي في أصل

اللغة . وهذا ما يشرنا تناسي الفروق او اغفالها في كثير من الالفاظ المتقاربة في المعنى التي صارت تستعمل بمعنى . ولعل ما يوضح ذلك ان الناس في حياتهم الاعتيادية يكفون باقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديددها ، ويقنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب ، ولا يكادون يحرصون على الدلالة الدقيقة المحددة التي تشبه المصطلح العلمي . وهم لذلك قد ينتقلون بالدلالة الخاصة الى الدلالة العامة اثارا للتيسير على أنفسهم ، والتناسا لايسر السبل في خطابهم . ويبدو اثر ذلك واضحا قويا في الصفات والنوعت حين تصطنع في مجال اعم . وتلك هي الظاهرة التي جعلت للحية والسيف والعمل عشرات الاسماء في العربية (٣٦٢) .

ويبدو ان الدكتور ابراهيم انيس قد تأثر بما أشار اليه الجاحظ حيث نجده ينحو منحاه ويؤكد السبب الذي اورده ويفصل القول فيه ، وهو ما عبر عنه بالموسيقية اللفظية التي شغلتهم عن ملاحظة الفروق بين الالفاظ المتقاربة ما أدى الى ترادفها . يقول الدكتور انيس (ثم كان ان اشتدت غناية العرب القدماء بالالفاظ وموسيقاها ، فشغلتهم هذه الموسيقية اللفظية عن ملاحظة الفروق بين الدلالات ما أدى الى ان كثيرا من الالفاظ التي كانت تعبر عن معانٍ متقاربة ، ازدادت قريبا واختلط بعضها ببعض ، ونسيت تلك الفروق او تنوسيت ، واصبح العربي صاحب الاذن الموسيقية يضحي بتلك الفروق في الدلالات حتى يتمكن من نظم قوافيه وتسيق اسجاعه . وهكذا رأينا ان الادب الجاهلي والاسلامي قد شغلت موسيقاه اصحاب هذا الادب عن تلك الدقة في معنى الالفاظ ، ولم تعد الالفاظ معددة في غالب الاحيان ، وعدت الالفاظ بعضها على بعض ، ما ترتب عليه تلك الظاهرة التي لا نعرف لها ظهيرا في لغة اخرى وهي كثرة الالفاظ المترادفة) (٣٦٣) . فهذا قريب جدا ما ذكره

(٣٦٢) دلالة الالفاظ د . ابراهيم انيس : ص ١٥٥

(٣٦٣) دلالة الالفاظ : ص ٢١٠ - ٢١١

الجاحظ من قبل غير أن الدكتور انيس كان قد وضعه والح عليه وبالغ في اثره كثيرا حتى فر به كثرة الترادف (٢٦٤) .

كما ذهب الى افعال الفروق بين الالفاظ المتقاربة في المعنى واستعمالها مترادفة ، محمد المبارك ، لكنه عزا هذا الامر الى العموم والغموض وما اصاب العربية من انحطاط وتأخر ، فهو يرى فيه مظهرا سلبيا ولهذا ينبغي العناية بالفروق واحياؤها كما فعل اللغويون القدامى ، يقول : (لقد اصاب العربية في عصور الانحطاط المنصرمة مرض العموم والغموض والابهام ، كما اصاب هذه الالفاظ التفكير فهـ ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فعدت مترادفة) (٢٦٥) ويذكرنا هذا بما صرح به ابن قتيبة قديما حين لاحظ ان الناس في عصره لم يعودوا يفرقون بين جملة من الالفاظ ويستعملونها بمعنى ، ناسبا هذا الامر الى عدم المعرفة والى اللحن وما اصاب الثقافة اللغوية حينذاك من جهل وتأخر . فراح يستنكر ذلك ويخطيئ الناس في استعمالهم ويصوبه .

وعلى اية حال إن ضياع الفروق بين الالفاظ واستعمالها مترادفة انما كان بسبب التطور في الاستعمال ، ايا كانت النظرة الى هذا التطور وليس من الضرورة أن يكون هذا التطور دائما نحو الايجاب . فسواء كان هذا التطور ايجابيا ام سلبيا فهو سبب ترادف كثير من الالفاظ .

وما يؤكد تفسير الترادف في اللغة نتيجة التطور في الاستعمال ، ما قرره اللغوي الفرنسي (دار مستير) في كتابه (حياة الالفاظ) من ان بعض الالفاظ مع تكونها ودورانها على الالسنة تأخذ شكلين مختلفين ، يصبحان

(٢٦٤) المصدر السابق : ص ٢١٢ - ٢١٣

(٢٦٥) نقه اللغة وخصائص العربية ص ٢١٨ - ٢١٩ وفي ص ٢٢٢-٢٢٤ يقول (لقد اختلفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة والفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المدة والعبارة المؤلفة والجمل المترادفة) .

مع الاستعمال مترادفين^(٣٦٦) . وهذا قول لا غبار عليه وهو ما يعزز ما ذهبنا اليه بشأن حدوث الترادف نتيجة التطور في الاستعمال . الا ان الدكتور حسن ظاظا كان قد عقب على هذا الرأي الجديد واخطأ في التمثيل له فذكر ان عندنا في العربية ما يؤيد ذلك مثل : جذب وجذب ، وفهم وفوه ، وأنس وانسان^(٣٦٧) . وقد فاته ان مثل هذه الالفاظ ليست من الترادف الحقيقي في شيء ، فاللفظة واحدة ، وقد اختلفت صورتها بسبب التطور الصوتي وليس ثمة اختلاف فيها من حيث الاصل والمادة . والمحققون من المحدثين يخرجون مثل هذه الالفاظ من دائرة الترادف ويعدها مترادفات وهمية وانها كذلك .

ومهما يكن من امر تفسير الترادف واسباب وقوعه ، فاننا نجد في اللغة الفاظا بمعنى واحد متشكلة في الواقع اللغوي الذي يجري به الاستعمال وهو واقع لا سبيل الى انكاره . والناس في الغالب لا يعرفون كيف حدث هذا ولا يعينهم سبب ذلك ، بقدر معرفتهم ان هذه الالفاظ تنفي الى معنى واحد . ولعل ابن جنى قد نظر الى هذه الحقيقة حين قال في معرض حديثه عن الترادف : (فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشرفة اللطيفة . وانا يسمع الناس هذه الالفاظ فتكون الفائدة عندهم منها انا هي علم معنياتها ، فأما كيف ، ومن اين فهو ما نحن عليه^(٣٦٨)) .

وفي ضوء تفسير نشأة الترادف ومعرفة اسباب حدوثه يمكن تقسيمه على قسيتين وتمييز ضربين منه هما :

١ - الترادف الوضعي : وهو الترادف الناشيء بسبب اختلاف اللغات في تسمية الشيء الواحد واطلاق عدة الفاظ مختلفة عليه ، سواء كانت هذه

Lavie des mots, by Arsene Darmesteter, p. 13855, Paris, (٣٦٦)

1932.

عن كلام العرب د . حسن ظاظا ص ١٠٢

(٣٦٧) كلام العرب : ص ١٠٢

(٣٦٨) الخصائص : ١٢١/٢

اللغات عربية - كلهجات القبائل - ام عربية واعجمية - المغرب والدخيل -
 وذلك على ما بيناه . ويشكل هذا الضرب القلة من المترادفات في اللغة ،
 الا انه يتصف بشيء من الثبات النسبي والاصالة قياسا الى الضرب الاخر .
 اي انه اكثر امتدادا في الزمان والمكان من غيره . وهو من اصدق واوضح
 المترادفات وقوعا في اللغة . اذ انه معلوم بالضرورة ولم ينكره المنكرون من
 علماء اللغة كالفسكري وابن درستويه . ولبداهته وقوته قال حمزة
 الاحشائي : (وينبغي ان يحمل كلام من منع على منعه في لغة واحدة ، فاما
 في لغتين فلا ينكره عاقل) . (٣٦١) .

والحكم على ترادف هذا النوع من الالفاظ انما هو يستتضي الاصل
 وبالنظر الى دلالتها في اللغة . اذ يجوز ان تتطور هذه الالفاظ بمرور الزمن
 فتباين في الدلالة وتفرق . ونقول هنا « الترادف الوضعي » على الرغم من
 ترادفنا كثيرا في مسألة الوضع وتحفظنا فيها ، ولعل في ذلك شيئا من التجوز
 لاتنا لا نعني به الوضع الحقيقي الاول في تسمية المسميات وكيفية اطلاق
 الالفاظ عليها الذي نجهل عنه كثيرا ، بل نعني به الدلالة القديمة للكلمة كما
 وردت الينا في كتب اللغة على انها هي الاصل بالنسبة لنا من ان قبيلة ما تسمي
 شيئا كذا وتسميه قبيلة اخرى كذا أو ان هذا الشيء اسمه في العربية كذا وفي
 الفارسية مثلا كذا .

٢ - الترادف غير الوضعي : ونعني به الترادف الناشئ نتيجة التطور
 في الاستعمال وليس بحسب الاصل . واكثر الترادف في اللغة هو من هذا
 القبيل كما ذكرنا . ويتصف هذا الضرب بكونه اقل وضوحا وثباتا من النوع
 الاول ولا اصالة فيه قط لان التباين هو الاصل في هذه الالفاظ ثم ترادفت
 بسبب التطور الدلالي على ما بيناه سابقا . فاذا ما نظرنا الى دلالة الالفاظ
 تبعا لاصلها وحقيقتها في اللغة فلا ترادف فيها . واما اذا نظرنا الى هذه
 الالفاظ تبعا لدلالاتها الحالية وبحكم ما الت اليه من استعمال بمعنى واحد ،
 دون التفات الى ما كانت عليه من تباين في الاصل ، فهي مترادفة . ويبدو ان

(٣٦١) الزهر : ١/٥٠

المنكرين للترادف اكثر ما يعنون بأنكارهم هذا النمط من الترادف لانه بخلاف الاصل وهم يتسكون بالدلالة الاصلية وهذا ما قد جرى بخلاف ذلك .

ولما كان الترادف في الغالب هو من هذا الضرب الذي نحن بصدده - اعني الترادف غير الوضعي الناشئ بسبب التطور في الاستعمال - فنحن لهذا نختلف مع القدامى بشأن قولهم بشرط الوضع في حد الترادف وتثنيه . ذلك الشرط الذي إن اخذنا به مجازاة لهم لا يصدق الا على القلة من المترادفات ناهيك عما في الكشف عنه من صعوبة وعتق وما فيه من حدس وتخمين لاتصاله بمراحل تاريخ العربية الطويل الموغل في القدم . والتاريخ اللغوي من الامور الفاضحة لاتقطاع حلقات طويلة منه واندراس اثرها ونسياع الشيء الكثير من معالنه . ولذا يبدو الخوض في مسألة الوضع كأنه مغامرة لغوية ، لان الباحث لا يمكن ان يهتدي الى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل ، ولا يمكن ان تعرف جميع مراحل بصورة صحيحة يمكن الاطمنان اليها ولقد اثر عن ابي عمرو بن العلاء قوله : (ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لاتهى اليكم علم وشعر كثير) (٣٧٠) . وقد عقد ابن فارس لهذا بابا ساء « القول على ان لغة العرب لم تنته اليها بكليتها ، وان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وان كثيرا من الكلام ذهب بذهاب اهلها » (٣٧١) .

فأني لنا ان نقول بالوضع وتحقق منه واللغة لم تصل اليها في طور نشأتها الا بعد الاف السنين من التداول الشفوي ٢٢ وقد هجرت النماذج

(٣٧٠) نزهة الالبياء : لابن الاباري : ص ٢٢ . وينظر فقه اللغة المقارن ، د . ابراهيم السامرائي : ص

(٣٧١) الصاحبي : ص ٦٧ . وعنه في الزهر : ٦٦/١ وما ذكره ابن فارس في هذا الباب : « ذهب علماؤنا - او اكثرهم - الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الاقل . قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير وكلام كثير » وهو مماثل لقول ابي عمرو بن العلاء .

وتغيرت الناطق واستحدثت اخرى ، ونقلت الناطق الى غير معانيها الوضعية . ولك ان تصور ما فعله التطور اللغوي في الالفاظ صوتا ودلالة ، وما تركه المجاز من اثر في تداخل المعاني الحقيقية بالمعاني المجازية ومن حجب للالفاظ بحسب معانيها الوضعية ، خلال هذا الزمن الطويل من تاريخ العربية . فكم من الالفاظ التي طغى عليها المجاز وابتعدت عن معانيها الوضعية فضاءت حقيقتها حتى صارت معانيها المجازية الجديدة حقيقة فيها لكثرة الاستعمال وطول العمد به ومن اجل هذا فالحديث عن الوضع الاول في تسمية المسيات يبدو شيئا بمثابة البحث عن اصل اللغة ونشأتها التي يكتنفها الغموض وتتقاسمها نظريات وذلك لايمالها في التقدم وجلبنا بأوليائنا وبعد اصولها عنا ومن ثم استحالة الوقوف على معالمها وتحديدتها بدقة . ومن المفيد ان نتذكر هنا ما قرناه آتفا من ان البحث اللغوي التاريخي في الالفاظ المترادفة يخفض هذا الامر في الغالب بما يشبه من تباين بينها في الاصل . وهذا كله يضعف القول بالوضع في الترادف تعريفا وتفسيرا ويقلل من شأنه الى حد كبير .

ويترتب على تفسير الترادف ومعرفة سبل نشأته على النحو الذي بيناه بنوعيه السابقين ، استخلاص حقيقة تتجلى في ان فكرة الترادف ليست ثابتة ولا مطلقة تماما في كل الاحوال . واكثر ما يتضح هذا في الترادف غير الوضعي الذي يشكل الغالبية منه . فلما كان معظم الترادف نتيجة التطور الدلالي وان الترادف الوضعي يشكل اليسير منه ، امكن ان نستنتج من ذلك ان الترادف انما هو حالة تعرض لالفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة تطورها الدلالي بفعل الاستعمال . ومن هنا جاز لنا الحكم بعدم اصالة الترادف في معظم الالفاظ . واذن فحالة الترادف في الالفاظ ليست مسألة ثابتة دائمة على امتداد الزمان والمكان بل هي مسألة نسبية تتغير باختلاف الزمان والمكان وتبعاً لحقيقة التطور في الاستعمال . ومعنى هذا انه ما كان غير مترادف قد يصير مترادفا بسبب التطور ، وما كان مترادفا قد يصير متباينا للسبب

شبهه . وحتى الالفاظ المترادفة وضما التي تبدو فيها صفة الترادف أصيلة بالنسبة لنا ، هي ايضا عرضة للتطور الدلالي الذي قد يؤدي الى تباينها واتشاء الترادف فيها . فهذه الالفاظ شأنها شأن الالفاظ الاخرى من حيث تغير معناها واختلاف استعمالها ، فهي ليست بمعزل عن سنة التطور الدلالي ولا بمعصية عليه .

ومن أجل هذه الحقيقة ينبغي تنييد الترادف بالزمان والمكان المعينين وضرورة ربطه ببيئة لغوية معينة لاقتران حدوثه بالظروف اللغوية عامة وبالتطور الدلالي خاصة . وهذا الامر ما يعنى به المعجم اللغوي التاريخي الذي يؤرخ للالفاظ تبعا لتطورها واستعمالها بحسب الزمان والمكان ، وهو ما تقتصر اليه العربية في الوقت الحاضر . ومن هنا يتضح لنا خطأ اصحاب الترادف قدامى ومحدثين في نهجهم الذي سلكوه في جمعهم للالفاظ المترادفة فيما اتفوه من كتب ومعجمات خاصة . فنجدهم يروون المترادفات الكثيرة دون ان يقيدوها بظرف لغوي معين ، ومن غير بيان او اشارة الى زمان ترادفها ومكانه ، مكتفين بردها سردا وكأنها حقيقة مطلقة ثابتة ، لدى العرب جميعا على اختلاف الزمان والمكان ، قد خلقت هكذا في اللغة . ولعل سبب ذلك يكمن في عدم تنبههم الى علاقة التطور اللغوي بحدوث الترادف ولتعويلهم على الوضع في مفهوم الترادف وتفسيره .

والمهم ان فكرة الترادف مسألة ليست ثابتة ولا مطلقة مادامت الفاظ اللغة جميعا عرضة للتطور الدلالي مما يؤدي الى اختلاف معانيها وتباينها . فالقول بالترادف او بخلافه انما هو رهن بطبيعة التطور الدلالي في الاستعمال وما يؤول اليه من ترادف الالفاظ او تباينها . فهو يتوقف على مجرى الاستعمال ويختلف باختلافه تبعا للزمان والمكان . ويكفي للتدليل على ذلك ما اوردهنا في هذا الفصل من امثلة كثيرة لالفاظ كانت متباينة في الدلالة بحسب الاصل ثم صارت مترادفة بفعل التطور الدلالي . وهذا ما يشته ويكشف عنه البحث اللغوي التاريخي في الالفاظ المترادفة . وفي النماذج التي درسناها

من مرادفات الدامية والسيف والخبرة وغيرها خير مثال على ذلك . ولذا يعجبنا هنا تعبير الأستاذ « يوهان فك » عن كتاب الالفاظ لابن السكيت : (. . المترادفات الناضجة تمام النضج ابان القرن الثالث في كتاب الالفاظ لابن السكيت الكوفي . . .) (٣٧٢) فهذا القول يشعر بما كانت عليه هذه الالفاظ من تباين قبل هذا الزمن ويشير الى حدوث الترادف التام فيها بعد ذلك نتيجة التطور ، وكان هذه المترادفات لم تكن كذلك من قبل ، لان النضج الذي اكتسبته تلك المترادفات لا بد ان يكون بفعل التطور الدلالي واثار الزمان والمكان فيها .

وقد يحدث العكس في اللغة ، فثمة الفاظ قد كانت مترادفة ثم صارت متباينة بسبب التطور في الاستعمال ايضا . فمن ذلك مثلا ان كلمة السبت في اللغة كانت تعني الدهر مطلقا ، ثم خضت في الاستعمال لغة باحد ايام الاسبوع (٣٧٣) . وكلمة الصلاة كانت تعني في الاصل الدعاء ثم تخصصت بعد ظهور الاسلام في معنى العبادة بشروطها وكيفية المعروفة (٣٧٤) . ومثلها كلمة الحج التي كان معناها مجرد القصد ، ثم تخصص في القصد الى بيت الله الحرام في ايام معلومة لاداء شعائر معينة (٣٧٥) . وكلمة الباس التي كانت في اصل معناها خاصة بالحرب ، ثم صارت تطلق على كل شدة على سبيل التعميم (٣٧٦) . (والحبوب : البعير ، ثم كثر ذلك فصار حوب زجرا للبعير) (٣٧٧) . والبعير عند العرب الزعفران وحده ثم اصبح الناس يفرقون بينهما فيستعملون البعير بمعنى اخلاط من الطيب (٣٧٨) . كذلك

(٣٧٢) العربية : ص ١٤٨

(٣٧٣) الزهر : ١/٤٢٧

(٣٧٤) الصحابي : ص ٨٠ وانظر الزهر : ١/٢٩٥

(٣٧٥) الصحابي : ص ٨١ وانظر الزهر : ١/٢٩٥

(٣٧٦) الزهر : ١/٢٣١

(٣٧٧) المصدر السابق : ١/٤٣٢

(٣٧٨) ادب الكاتب : ص ٢٨ - ٢٩ .

يفرق الاستعمال اللغوي اللاحق بين التأيل والابزار وهما في اللغة بمعنى واحد^(٢٧٩) . والقينة في كلام العرب هي الأمة معنية كانت او غير معنية ، ثم امبح الاستعمال يفرق بينهما حيث صارت القينة تعني المعنية خاصة^(٢٨٠) . وفي اللغة كثير من الالفاظ التي كانت بمعنى واحد ثم صارت متباينة بفعل التطور في الاستعمال مما ادى الى اختلاف معانيها واتفاء الترادف فيها .

ويؤيد ذلك كله ان بعض العرب يستعملون الفاظا بمعنى واحد ويعدونها مترادفة ، في حين ان بعضهم يفرقون بينها ويعدونها متباينة . ولا ريب ان سبب ذلك هو الاختلاف في الزمان والمكان ، اي زمان او مكان الاستعمال الاول اي الترادف ، هو غير زمان او مكان الاستعمال الثاني اعني التباين . وهذا مما يدل ايضا على نسبية الترادف وكونه ظاهرة غير ثابتة ولا مطلقة لدى جميع مستعملي اللغة فهو ليس موضع اتفاق عندهم دائما في كل زمان ومكان وذلك بسبب الاختلاف في الاستعمال وتبعاً لتطور معاني الالفاظ وتغيرها من حال الى حال . (فالإنسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها ايضا ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج ، ولكن الكلمات الجديدة لا تطرد القديمة دائما ، فالذهن يروض نفسه على وجود المترادفات والمتماثلات ويوزعها على وجه العموم على استعمالات مختلفة^(٢٨١)) .

وهكذا يتحقق لدينا ما ذهبنا اليه آتفا من ان الترادف حالة تعرض لالفاظ من اللغة خلال حياتها نتيجة التطور في الاستعمال . وان هذه الحالة ليست بثابتة بشكل دائم ومطلق . (فاذا ما وقع هذا الترادف التام ، فالعادة ان يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة ، حيث ان الغموض الذي يعترى المدلول والالوان او الظلال المعنوية ذات الصيغة العاطفية او الاتشعالية التي

(٢٧٩) تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة : ٢٤

(٢٨٠) شرح ادب الكتابب : ص ٢٧ وانظر : شرح درة الفواص : ص ٢٥١

(٢٨١) اللغة : ص ٢٤٦ - ٢٤٧

تحيط بهذا المدلول لا تلبث ان تعمل على تحطيمه وتقويض اركانه . وكذلك سرعان ما تظهر بالتدرج فروق معنوية دقيقة بين الالفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد . كما اتنا سلاحظ في الوقت نفسه ان ما يرتبط بهذه الالفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وايحائية خاصة سوف تأخذ في الظهور والنمو ممتدة في خطوط متباعدة (٢٨٢) . والحياة تشجع على تغير المفردات وتضاعف الاسباب التي تؤثر في الكلمات . فالعلاقات الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوع تعمل على تغير المفردات وتقضي على الكلمات القديمة او تحور معناها . ونشاط الذهن يستدعي العمل دائماً في المفردات (٢٨٣) .

ومن هذا نخلص الى ان المترادفات لا تبقى هكذا ظراً لتطور الحياة والحضارة وكثرة العوامل والاسباب التي تؤثر فيها وتحور معناها بحكم سنة التطور الدلالي وفعله في معاني الالفاظ . ولا بد من الاخذ بنظر الاعتبار في كل ذلك مسألة الزمان والمكان عند القول بالتراذف او التباين في الالفاظ بثل هذا التفسير ننظر الى وقوع الترادف في اللغة وتهم طبيعته ، ولعل في هذا ما يلقي الضوء على مسألة الفروق وتوجيهها ويمينا على معرفة اسباب انكار الترادف . وهو ما سنعرض له في الفصل الآتي .

(٢٨٢) دور الكلمة في اللغة ، سنيغ اولمان : ص ٩٧

(٢٨٣) اللغة : ص ٢٤٧

الفصل الثالث

الخلافا في وقوع الترادف

استأثرت مسألة الخلاف في وقوع الترادف باهتمام الباحثين ونالت من عنايتهم الشيء الكثير ، فغالما تساءل اللغويون أيجوز ان تترادف لفظتان او اكثر على معنى واحد في اللغة او لا يجوز ؟ وقد شغلتهم هذه المسألة عن تفسير ظاهرة الترادف وتحليلها واستقصاء جوانبها ، حتى اذا ذكر الترادف انصرف الذهن الى مسألة الجواز والانتكار ، نظرا لكثرة الخلاف فيها واحتدام الجدل بشأنها وغلبة الكلام عليها . منذ تنبه علماء اللغة اليها والتأمل فيها . فلا تجد اللغويين - قدامى ومحدثين - حين يمرضون للسؤال الا وهم يدلون بأرائهم فيه جوازا أو انتكارا . وما التصنيف في الالفاظ المترادفة ومحاولة جمع اكبر قدر منها ، والتصنيف في الفروق اللغوية الا مظهر من مظاهر هذا الخلاف واثر واضح من اثاره . وكان موضوع الترادف لا يعني سوى الجواز والانتكار .

لقد اختلف اللغويون العرب القدامى في هذه الظاهرة اللغوية . وقديما اختلف فيها علماء اليونان وعلماء اللغة السنسكريتية القديسة . كما اختلف في وقوعها المحدثون من العرب ومن علماء اللغات الاجنبية وتنازعوا القول فيها . وسنحاول في هذا الفصل الا تساق الى الاغراق فيما يجوز او لا يجوز ، قبل الوقوف على حجج المنكرين لها وادلة القائلين بها والتعرف على طبيعة الخلاف واسبابه . فالهمم لدينا ان تبين لماذا انكر هؤلاء وجوز اولئك ، وليس امر الجواز والانتكار غاية تهدف اليها .

ولذا سوف نمضى بالبحث عن اسباب رفضهم وتأيدهم ومناقشتهم في ذلك دون ان نشغل انفسنا كثيرا بنهجهم الجدلي ونظرتهم الكلامية اللتين

استعملوها في تناول الترادف ، لنخلص من بعد ذلك كله الى رأي واضح بشأن الخلاف في هذه المسألة وتحديد موقف صريح نريده ان يكشف عن وجه الصواب فيها ، محتكبين في ذلك الى الواقع اللغوي ، وممولين على الاستعمال الذي جرت به السنة العرب ، بعيدا عن النظرة العقلية المحضة والقياس المنطقي البحت .

آراء القدامى

لم يؤثر عن الاقدمين من أهل اللغة ما يشير الى انكار الترادف ، او الشك في وقوعه اذ نجدهم يذكرون في معناتهم عدة الفاظ للمعنى الواحد او المسى الواحد من غير فرق بينا . كما ان الرواة واللغويين الذين ساحوا في الجزيرة العربية وجابوا بواديا من اجل جمع مفردات اللغة وتدوينها قد أكدوا هذه الظاهرة - ميدانيا - بما رووه وسجلوه عن العرب من عدة الفاظ للمسى الواحد . والناظر الى كتب الموضوعات الاولى أو الى تلك الرسائل اللغوية التي أسفرت عنها حركة جمع اللغة - وهي التي أصبحت من بعد مادة المعجمات الكبرى - يجدها تحفل بالاسماء المختلفة للشيء الواحد ما لا يدع مجالا للشك في وقوع هذه الظاهرة في ألفاظ اللغة . زيادة على ما نجده من تصريح بعض الاقدمين او اشارتهم الواضحة الى هذه الظاهرة وكأنها أمر طبيعي في اللغة . فقد ذكر سيوريه ان من كلامهم اختلاف اللفظين والمعنى واحد^(١) وقال قطرب - ت ٣٠٦ هـ - : (انما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ، ليدلوا على اتساعهم في كلامهم)^(٢) وفي كتاب الاصمعي - ت ٢١٦ هـ - الموسوم بـ « ما اختلفت الفاظه وافقت معانيه » الشيء الكثير من الالفاظ المترادفة بمعنى الترادف الواسع . وقل مثل هذا فيما جاء في

(١) الكتاب : - ٧ / ٨

(٢) الاضداد - محمد بن القاسم الانباري : - ص ٨ والمزهر : - ١ / ٤٠٠

كتاب الغريب المصنف للقاسم بن سلام - ت ٢٢٤ هـ - وكتاب الالفاظ لابن السكيت - ت ٢٤٤ هـ - ولعل هذه الفكرة هي التي أوحى الى الاقدمين ان يخصصوها بضرب معين من التصنيف كما في مؤلف الاصمعي - أو ان يفردوا لها ابوابا في كتبهم كما هو الحال في كتابي القاسم بن سلام وابن السكيت - وذلك لكون هذه الظاهرة معروفة لديهم . وقد سبق أن بينا هذا الامر واستشهدنا له بما فيه الكفاية في الفصل الاول .

ويدل هذا على ان ظاهرة الترادف ما كانت لديهم موضع خلاف وجدل . حتى اذا وصلنا الى القرن الثالث الهجري ، حيث اتسع النظر في قضايا اللغة وكثر القول في جوانبها المختلفة ، وجدنا من علماء العربية من يصرح بانكار الترادف ويذهب الى منعه ، مؤولا وموجها ما جاء عن العرب من الالفاظ وقعت على معنى واحد . فكان ان انقسم اللغويون فذهب نفر منهم الى متابعة هذا الرأي والانتصار له بالحجج واقامة الادلة عليه ، محاولين تثبيته والبرهنة على صحته فزادوه تحصيلا وبيانا وعززوه بالامثلة والشواهد . على حين ذهب اكثر اللغويين الى نفي هذا الرأي مستدلين على ذلك بسخلف الادلة ومشتبهين القول بوقوع الترادف . وما أن نصل الى القرن الرابع الهجري حتى نجد وجوه الخلاف قد اتسعت بين المنكرين والمؤيدين وبلغ الجدل اشده وتشعب القول فيه كثيرا . فلم تعد المسألة مقتصرة على مجرد اقوال وأراء في الانكار والجواز مبثوثة في كتب اللغة بل تجاوزتها الى ان يضع المؤيدون مصنفات خاصة او ابوابا من كتبهم في تثبيت الترادف وضرب امثلة له ، تأكيدا لوقوعه في اللغة وجريانه في الاستعمال (٢) .

ويضع المنكرون مصنفات او ابوابا خاصة في التروق اللغوية من أجل نفي هذا الامر والتدليل على ان ما يعد من الترادف انما هو من الالفاظ

(٢) ومن امثلة ذلك : - كتاب « الالفاظ المترادفة » للرماني - ٢٨٤٥
« وما جمعه ابن خالويه ٢٧٠٥ هـ - من اسماء كثيرة للسيف والحية والاسد وامثلة ابن جنى - ت ٣٩٢ هـ - الذي افرد له بابا وضرب الامثلة الكثير له في الخصائص : - ١١٣/٢ - ١٢٢ .

المتباينة في أصل الوضع^(٤) . وقد حذا حذو القدامى جماعة من المحدثين من الذين صنعوا بالترادف أو في الفروق . وهكذا تطور الخلاف في وقوع الترادف واتسع البحث فيه .

وسنعرض هنا لهذه الآراء بالتفصيل حسب تدرجها التاريخي ، وأما الفروق اللغوية فنفرد لها دراسة مستقلة لأهيتها واتساع القول فيها ولكونها - على هذه الشاكلة - نتيجة لهذه الآراء في انكار الترادف .

لعل أول ما وصل إلينا بصدد انكار الترادف هو ما حكاه ثعلب عن استاذه ابن الاعرابي - ت ٢٣١ هـ - القائل : (كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غرض علينا فلم نلزم العرب جهله) . وقال : (الاسماء كلها لعل ، خصت العرب ما خصت منها ، من اللعل ما نعلمه ، ومنها ما نجهله^(٥)) وعلى هذا يكون ابن الاعرابي أول من ذهب إلى انكار الترادف في اللغة على هذه الشاكلة . وليس ثمة من دليل يشير إلى انكار الترادف قبل ابن الاعرابي . وقد عول على هذا الرأي نفر من اللغويين الذين انكروا الترادف بعده ، فكان ان اتصروا لرأيه هذا واقاموا الحجج والادلة عليه ، واتبعوا فيه وزادوه تحصيلا وبيانا و ضربوا الامثلة له . فقد تابعه في ذلك تليذه ثعلب - ت ٢٩١ هـ - الذي روى قوله السالف الذكر وزعم : (ان كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات ، كما في الانسان والبشر فان الاول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يؤنس ، والثاني باعتبار انه بادي البشرة . وكذا الخندريس والمقار ، فان الاول باعتبار العتق ، والثاني باعتبار عقر اللذ لسدتيا . وتكلف لاكثر المترادفات بثل هذا المقال العجيب^(٦)) . على حد

(٤) ومن ذلك كتاب « الفروق اللغوية » العسكري - ت ٢٩٥ هـ .

(٥) الافساد - محمد بن القاسم الانباري - ص ٧ وينظر الزهر : ٢٩٦/١ - ٤٠٠ .

(٦) الزهر : ٤٠٣/١ .

تعبير التاج السبكي . ويجد في هذا القول تطبيقا وتأكيدا لما ذهب اليه ابن
الاعرابي في قوله السالف الذكر .

كما ذهب الى قول ابن الاعرابي ايضا ابو بكر محمد بن القاسم
الانباري - ت ٣٢٨ هـ - فبعد أن أورده ، شرحه وعقب عليه قائلا : (يذهب
ابن الاعرابي الى ان مكة سبت مكة لجذب الناس اليها ، والبصرة سبت
البصرة للحجارة البيض الرخوة بها ، والكوفة سبت الكوفة لازدحام
الناس بها ، من قولهم : قد تكوف بالرمل تكوفا ، اذا ركب بعضه بعضا ،
والانسان سي انانا لسيانه ، والبيضة سبت بهيمة لانها أبست عن العقل
والتييز ، من قولهم : أمر مبهم اذا كان لا يعرف بابيه . ويقال للشجاع : بهمه ،
لان مقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه . فان قال لنا قائل : لأي
علة سي الرجل رجلا ، والمرأة امرأة ، والموصل الموصل ، ودعد دعدا ؟
قلنا : لعل علتها العرب وجبلاتها ، او بعضها ، فلم تزل عن العرب حكمة
العلم بما لحقنا من غموض العلة ، وصعوبة الاستخراج علينا)^(٧) وبعد هذا
يقول : (وقول ابن الاعرابي ، هو الذي نذهب اليه ، للحجة التي دللتنا عليها ،
والبرهان الذي اقتناه فيه)^(٨) .

وقد تابع ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) شيخه ثعلبا في انكاره الترادف
- الذي هو في الواقع مذهب ابن الاعرابي كما ذكرنا - إذ قال (ويسمى
الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحمام . والذي
نقوله في هذا ان الاسم واحد هو السيف ، وما بعده من الالقاب صفات .
ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الاخرى . وقد خالف في ذلك
قوم فزعموا أنها - وان اختلفت الفاظها - فأنها ترجع الى معنى واحد ، وذلك
قولنا : سيف وعضب وحام^(٩) وقال آخرون ليس منها اسم ولا صفة

(٧) الاضداد : ص ٧-٨ وعنه في الزهر : ٤٠٠/١

(٨) الاضداد : ص ٨ وعنه في الزهر : ٤٠١/١

(٩) وقد سبق ان استوفينا النظر في مسألة أسماء السيف والخلاف فيها ،
انظر من من هذه الرسالة

إلا ومعناه غير معنى الآخر ، قالوا : وكذلك الافعال ، نحو : مضى
وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ، ورقد ونام وهجع ، قالوا : ففي قعد معنى
ليس في جلس ، وكذلك القول فيا سواه ، وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا
ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب (١٠) .

ومن اللغويين القدامى الذين انكروا الترادف على هذه الشاكلة ، ابن
درستويه (ت ٣٤٧هـ) إذ يقول : (ولا يكون فعل وافعل بمعنى واحد ، كما لم
يكونا على بناء واحد . الا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ، فأما من لغة
واحدة فحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من النحويين
واللغويين ، وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على ملباعها وما في نفوسها من
معانيها المختلفة ، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها . ولم يعرف السامعون
تلك العلة فيه والفروق ، فظنوا انها بمعنى واحد . وتأولوا على العرب
هذا التأويل من ذات انفسهم ، فان كانوا قد صدقوا في رواية ذلك عن
العرب ، فقد اخطأوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحكمة . وليس يجيء
شيء من هذا الباب الا على لغتين متباينتين كما بينا . أو يكون على معنيين
مختلفين ، أو تشبه شيء بشيء . . .) (١١) ولم ينكر ابن درستويه الترادف
حسب بل ذهب ايضا الى انكار المشترك اللفظي والاضداد وقال ببطان تعاقب
حروف الجر ، خلافا لما ذهب اليه كثير من علماء العربية اذ انه يرى في جواز
هذه الامور ابطال حقيقة اللغة وانسداد الحكمة فيها . وان القول بها هو بخلاف
ما يوجب العقل والقياس . ففي رأيه ان اللغة موضوعة للإبارة عن المعاني ،
ولو جاز الاشراك والتضاد في الالفاظ ، لما كان في ذلك إبارة بل كان تسمية

(١٠) الصاحبى : ص ٩٦ - ٩٧ والزهر : ٤٠٤/١

(١١) تصحيح الفصح لابن درستويه ، تحقيق عبدالله الجبوري ، القسم
الثاني ص ٢٢٢ - ٢٢٤ وانظر : الفروق اللغوية للمكري ص ١٢ .
والزهر ٢٨٤/١ - ٢٨٥ - ٢٨٦ .

وتغطية وليس ادخال الالباس في كلام من الحكمة والصواب ، وواضع
اللغة عز وجل حكيم عليم (١٢) .

والى مثل هذا ذهب ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) الذي وضع
كتابا خاصا في الفروق اللغوية وصرح في مقدمته بانكاره للترادف ، اما كتابه
فيأتي القول فيه ، وأما فيما يتعلق برأيه فهو يقول : (الشاهد على أن اختلاف
العبارات والاسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى
دلالة الاشارة ، واذا أشير الى الشيء مرة واحدة فعرف فالاشارة اليه ثانية
وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد . فان أشير منه
في الثاني والثالث الى خلاف ما أشير اليه في الاول كان ذلك صوابا ، فهذا
يدل على أن كل اسين يجربان على معنى من المعاني وعين من الاعيان في لغة واحدة .
فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر والا لكان الثاني فضلا لا
يحتاج اليه) (١٣) . ويذكر العسكري أنه كما لا يجوز ان يدل اللفظ الواحد
على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان دالين على معنى واحد لأن في
ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه . كذلك أنكر العسكري المشترك اللفظي
وأن يكون فعل وافعل بمعنى واحد وتعاقب حروف الجر ، ودفع جواز ذلك
بأنه يوقع الاشكال واللبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الأدلة
المشككة ، وذلك على ما ذهب اليه ابن درستويه الذي تثل العسكري بأقواله
واستشهد بآرائه على ذلك صراحة (١٤) .

ومن الذين أنكروا الترادف الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) وهو ما
صرح به في مقدمة كتابه « المفردات في غريب القرآن » وذلك بقوله :
(وأتبع هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونسأ في الاجل بكتاب ينبيء عن

(١٢) تصحيح الفصح ، القسم الثاني من ٢٢ - ٢٢٥ . وانظر الفروق اللغوية
من ١٢ - ١٣ ، وتصحيح الفصح ، القسم الاول من ٩٥ وما بعدها ؛
والمزهر : ٢٨٥/١ ، ٢٩٦ .

(١٣) الفروق اللغوية : ص ١٠ - ١١

(١٤) المصدر السابق : ص ١٢ - ١٣

تحقيق الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة ،
فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الالفاظ المترادفة دون غيره من
أخواته نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة ... ونحو ذلك مما
يعد من لا يحق الحق ويطل الباطل أنه باب واحد فيقدر أنه اذا فر الحمد
الله بقوله : الشكر لله ، ولا ريب فيه بلا شك فيه ، فقد فر القرآن ووفاه
التيان) (١٥) . وواضح ان الراغب يعني بهذا ما وقع في القرآن الكريم
خاصة من الالفاظ المترادفة وما يتعلق بتفسيره على هذه السبيل .

هذه هي مجمل آراء قدامى اللغويين الذين أنكروا الترادف في اللغة
ونرى أن مؤدى هذه الاقوال واحد ، فهي - وأن تعدد أصحابها - ترجع في
الواقع الى رأى ابن الاعرابي الذي ذكرناه آنفا وقد نص بعضهم على متابعتهم
اله صراحة كما رأينا . بيد ان هؤلاء قد توسعوا فيه وعززوه بالحجج
والامثلة .

ويمتد حجج هؤلاء جميعا في انكارهم للترادف تستل في أنه لا بد من سبب
اللتسية والتول بالعلل والاعتبارات المتباينة في اطلاق الالفاظ على المسميات ،
حتى وان كانت هذه العلل مجبولة او غامضة . وأن الترادف يتنافى مع حكمة
الوضع في هذه اللغة لأن واضع اللغة حكيم لا يسكن ان يضع لفظتين أو اكثر
على معنى واحد ، ولأن الترادف تكثير للغة بما لا فائدة فيه ، وهو بخلاف ما
يوجب العقل والقياس والمنطق .

ولاشك أن التسليم بهذه الآراء يؤدي لا محالة الى نفي الترادف . ولكننا
نلاحظ في آراء اصحاب هذا المذهب عدة امور :

١ - ينظر هؤلاء في انكارهم للترادف الى الفاظ اللغة تبعا لمعانيها الوضعية
وما تدل عليه في الاصل . ويقولون بالتروق والاعتبارات بين الالفاظ تبعا
لاسباب الوضع وعلل اطلاق الالفاظ على المسميات وذلك بحكم الاصل .

(١٥) المفردات في غريب القرآن : ص ٤ ، ولم نقف على كتابه هذا .

وكثيرا ما كانوا يمتدون بالاشتقاق الى معرفة أسباب التسمية وعللها حتى
أسرفوا فيه اينا اسراف من أجل التماس سبب للتسمية ولو كان بعيدا .
لأنهم يرون أن ما اشتق من شيء لا يخرج عن معناه . وهذه نظرة تتجاهل سنة
التطور اللغوي وتهمل التغير الذي يطرا على معاني الالفاظ بسبب التطور
في الاستعمال لأن هؤلاء ينظرون الى دلالة الالفاظ نظرة تاريخية ويعتدونها
اساسا للقول بالتباين . ان مثل هذه التروق التي يقول بها هؤلاء قد اصبحت
مسألة تاريخية في حياة الالفاظ نتيجة تطورها الدلالي ، وان صحت هذه
الاعتبارات والعلل في التسمية التي يقولون بها فانما هي بستغنى الاصل عند
وضع الاسم على المسمى . ثم تنوسيت بفعل الاستعمال وكثرته وطول العهد
به حتى صارت شيئا تاريخيا لا يؤبه به . ومتعلمو اللغة غالبا ما يجعلون مثل تلك
العلل والاعتبارات التي غفا عليها الزمن ، ولا يحفلون بالدلالة القديمة للالفاظ
بقدر ما تعنيهم دلالتها التي آلت اليها كما يجري بها الاستعمال فعلا . ناهيك
عن أن علل وأسباب التسمية كثيرا ما تخفى حتى على بعض المتخصصين من
اهل اللغة ، وذلك بسبب غوضها وبعدها والاتصالها بالظروف اللغوية
الحقيقة التي يصعب الوقوف عليها والتحقق منها ، ولاقتران تلك الاسباب
والعلل بخفايا واسرار الحياة الاجتماعية والثقافية وبالعمادات والتقاليد
الغابرة . يقول ابن جنى : (نعم ، وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى
علينا بعدها في الزمان عنا ، ألا ترى الى قول سيويه : « أو لعل الاول وصل
اليه علم لم يصل الى الآخر يعني أن يكون الاول الحاضر شاهد الحال ،
فعرف السبب الذي له ومن أجله ما وقعت عليه التسمية ، والآخر - بعده
عن الحال - لم يعرف السبب للتسمية ، ألا ترى الى قولهم للإنسان اذا رفع
صوته : قد رفع عقيرته ، فلو ذهبت تشتق هذا ، بأن تجمع بين معنى الصوت
وبين معنى « ع ق ر » لبعده عنك وتمسكت . وأصله أن رجلا قطعت احدى
رجليه ، فرفعها ووضعها على الاخرى ، ثم صرخ بارفع صوته ، فقال الناس :
رفع عقيرته . » (١٦) ولا أدل على ضعف هذه الحجة في انكار الترادف من

(١٦) الخصائص : ٦٦/١

اعتراف التأملين بها أنفسهم بغموض علل واسباب التسمية ، وخبائثها والجهل
بها وسعوبة استخراجها والكشف عنها وذلك كما في قول ابن الاعرابي وابن
الانباري والراغب الاصفهاني . وعلى هذا كان في التعويل على هذا المذهب
في انكار الترادف بهذه الحجج والزام المستعملين بأن يتقيدوا بأسباب الوضع
وعلى التسمية ، تعسف كبير وتعلق بالناظر اللغة بحب اصلها ، وتزمت لا
موضوع له اذ انه يتنافى مع طبيعة اللغة وتطورها ويتعد كثيرا عن حقيقة
استعمال الناس للاتفاظ من يجهل مثل هذه الاعتبارات في الغالب ولا يابه بها .
والا فبل يعرف الاستعمال مثلا أن اطلاق الرمة على الجميع في قولنا : أخذت
الشيء برمته ، قد كان بسبب أن رجلا دفع الى رجل بعيرا بجهل في عنقه ،
والرمة في الاصل هي قطعة من الحبل بالية ، فليل ذلك لكل من دفع شيئا
يجلته ولم يبق منه شيئا . فصارت الرمة تعني الجميع كائنا ما يكون (١٧) .
وان اصل التقطب الجمع بين الماء والشراب ، اي المزج والخلط ومنه قيل : قطب
اي جمع ، ويقال لما بين العينين المتقطب وقطب ما بين عينيه اي جمع الغضون .
ومنه قيل : جاء الناس قاطبة أي جميعا (١٨) . فصارت قاطبة مرادفة للجميع .
وان المنيحة أصلها الناقة أو الشاة تغطي للرجل فيشرب لبنها ويجتز وبرها
وصوفها ثم صارت كل عطية منيحة أي كانت وصارت مرادفة لها (١٩) .

وهل يعرف الاستعمال أن سبب تسمية « الوارش » ، أي الرجل
الذي يدخل ولية ولم يدع إليها ب « الطفيلي » قد كان نسبة إلى طفيل وهو
رجل من أهل الكوفة كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها ، وكان يقول :
وددت أن الكوفة بركة مصهجة فلا يخفى علي منها شيء . فقيل له : طفيل
الاعراس أو العرائس (٢٠) .

(١٧) اللسان مادة رسم : ٢٥٢/١٢ وانظر ادب الكاتب : ص ٥٢

(١٨) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ : ص ٢٢١ واللسان مادة قطب
: ٦٨٠/١ - ٦٨١ .

(١٩) جمهرة اللغة : ٤٢٢/٣ وعنه في الزهر : ٢٩/١

(٢٠) اسلاح المنطق : ص ٢٢٢

وأن الذهب كانت اسم ناقة لعسر بن الزبان ، غزا عليها هو واخوته
 الـثة قوما من العرب ، فقتلوا عن آخرهم وحملت رؤوسهم عليها فرجعت
 بهم . وبسبب هذه الحادثة اطلقوا الذهب على الداوية فصارت اسما من
 اسما (٢١) . وقل مثل هذا في الفاظ كثيرة اخرى ما لا يذهب الناس في
 استعمالهم لها الى البحث عن تليل التسمية ، فذلك لا يعينهم ، ناهيك عن
 جعلهم هذه العلل في الغالب التي مردها الى الوضع واتصالها بالتاريخ اللغوي
 القديم . ومتعل اللغة لا ينصرف ذهنه الى تليل وضع الالفاظ واسباب
 التسمية ، بل يستعملها استعمالا رمزيا كما يجرى بها العرف اذ ان اللغة ظاهرة
 اجتماعية شأنها شأن العادات والتقاليد والاعراف والاجتماعية الاخرى .

يتضح لنا من هذا كله ان هؤلاء اللغويين قد تكلفوا كثيرا في انكارهم
 المترادف على هذا النحو وبهذه الحجج التي لاتعتمد طبيعة الواقع اللغوي والتي
 نبتعد عن حقيقة الاستعمال . فاذا كان الناس يستعملون الالفاظ دون اعتبار
 الى ما كانت عليه في الاصل ويجهلون علل الوضع واسباب التسمية ، وان
 عرفوها لم يكثرثوا بها ، فما جدوى التعويل اذن - والحال هذه - على الدلالة
 الاصلية والتول باعتبار خفية وبعلل غامضة قد غشا عليها الاستعمال وصارت
 شيئا تاريخيا منيا في حياة الالفاظ بفعل التطور ؟ اذ ليس من الصواب ان
 تتعلق باللغة حيث كانت وتتمسك بالدلالة القديمة التي هجرها الاستعمال
 وتجاوزها ، فتوقف عن فهمها حيث تير وتتغير ، وخاصة في موضوع
 كالترادف ينسب التطور ويدعنه الاستعمال . وقد اعترف بحالية التسمية
 والدلالة لغويون مثل الاصمعي وابن دريد والـجوهري وغيرهم وذلك في
 الفاظ نحو الورد والقرب والاستحمام والنجمة والوعى ، والراوية والظعينة
 وغيرها ما ذكرنا سابقا (٢٢) . وبعد ان اورد ابن فارس مقالات وراء اللغويين
 المختلفة في حد الاسم وتعريفه قال : (فهذه مقالات القوم في حد الاسم

(٢١) اللسان مادة دهم : ٢١١/١٢ والمرصع : ١٦٦

(٢٢) انظر : ص من هذه الرسالة

يعارضها ما قد ذكرته ، وما اعلم شيئا مما ذكرته سلم من معارضة . والله اعلم
اي ذلك اصح . وذكر لي عن بعض أهل العربية ان الاسم ما كان مستقرا
على المسى وقت ذكره اباد ولازما له ، وهذا قريب (٣٣) .

٢ - واما قول هؤلاء بدفع جواز الترادف وانكاره وذلك باعتبار ان
اللغة توقيف وان واضعها عزوجل حكيم عليم لا يمكن ان يضع اكثر من لفظ
واحد على معنى واحد . وهو امر تجل عنه اللغة . فان في اصل اللغة ونشأتها
نظريات عدة لا يمكن القطع باحداها ، وما تزال موضع خلاف العلماء ومثار
قول كثير . فابن جني - مثلا - حين عرض لاقوال العلماء بشأتها تردد فيها
ولم يقطع بشيء (٢٤) . والمحققون من المحدثين يستبعدون هذه المسألة من
دائرة البحث اللغوي ويرون ان لا جدوى من البحث فيها ؛ لعدم توفر
الادلة للبت فيها ولا اتصالها بالتاريخ البدائي القديم للبشرية (٢٥) . ونحن لا
ننظر الى الترادف هنا تبعا لاصل اللغة ونشأتها ، وانما بعد ان تجاوزت اللغة
طور نشأتها الاولى وتمهدا الاستعمال بالتوسع والتطور وصارت ظاهرة
اجتماعية متطورة . وهذا هو سبب انكار ابن درستويه والعسكري للترادف.
وذلك بسب قولهما بالتوقيف . ويمكننا ان نحمل انكار ابن فارس للترادف
على هذا الوجه لانه من القائلين بالتوقيف أيضا .

٣ - واما قول المنكرين بان وقوع الترادف في اللغة انما هو بخلاف ما
يوجبه العقل والقياس وانه يتنافى مع حكمة الوضع . اذ انه لا يجوز عقلا
ان تكون هناك لفظتان لمعنى واحد لانه تكثير للغة بما لا فائدة فيه . فاننا
نرى فيه نظرة منطقية محضة وحجة عقلية بحتة مبعثها القول بنظرية التوقيف.

(٢٢) الصحابي : ص ٨٥

(٢٤) الخصائص : ٤٠/١ - ٤٧ .

(٢٥) التطور اللغوي التاريخي : ص ١٩ واللغة لتدريس : ص ٢٩ وما بعدها
وعلم اللغة العربية : ص ٢٦-٢٧ ودلالة الالفاظ : ص ١٣ وعلم اللغة
د . محمود السمران : ص ٧-٨ ، ومحاضرات في اللغة : د . ايوب
ص ١٠ - ١٦

التي آمن بها هؤلاء . والاخذ بالمنطق العقلي والحكمة في النظر الى الظواهر اللغوية ، فيه اجحاف وبعد عن طبيعة اللغة ولا يصدق على كثير من ظواهرها ويتعارض مع الواقع اللغوي الذي يبدو في جوانب كثيرة على العكس من هذه النظرة ، فلو كان منطق اللغة كمنطق العقل لوجب الا يكون للنظ الواحد سوى معنى واحد ، والا يدل اللفظ الواحد على المعنى وتقيضه ، والا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضا . ولكن اللغة في كثير من جوانبها لها منطق خاص يبدو في أكثر الاحيان على جانب كبير من الغرابة . ويظهر ذلك واضحا في مجال الالفاظ ودلالاتها حين يكون للفظ الواحد أكثر من معنى ، وللمعنى الواحد أكثر من لفظ . (٢٦) وفي مسألة الجنس من حيث التذكير والتأنيث في الاسماء دون ان يصدق على الواقع كما في اعتبار صفة التأنيث في الفاظ ليست مؤنثة حقا كالشمس والسن والسييل والمنضدة والشجرة واعتبار صفة التذكير في اساء ليست مذكرة حقا نحو القمر والبحر .

٤ - وما يلاحظ على مذهب هؤلاء في انكارهم الترادف أنهم انما ينكرونه اذا كان في لغة واحدة وليس في لغتين أو أكثر . وذلك كما ورد في قول ابن درستويه والعسكري وعلى هذا كان انكار هؤلاء للترادف قائما على نظرية ترى الى اللغة على انها « لهجة واحدة » وهذه نظرية قد اغفلت تداخل اللغات واختلاطها ، ومسألة اختلافها في التسمية وتعددتها باختلاف القبائل . والعربية ليست لهجة واحدة بعينها ، وانما خليط متجانس من هذه اللهجات ، قد ضمت كثيرا من الفاظ لغات القبائل المختلفة كما قررنا هذا سابقا . وكذلك اغفلت مسألة دخول الالفاظ الاعجمية الى العربية التي لها نظائر فيها من حيث الدلالة . والتي صارت جزءا من واقع هذه اللغة . ونحن هنا انما نبحث عن الترادف في اللغة العربية المشتركة وليس في لهجة واحدة بعينها . تلك العربية التي تمثل مجسوع اللهجات العربية والتي دخلتها ألفاظ من لغات الامم الاخرى

(٢٦) الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٧٠ .

ومن اجل ذلك لا نجد تعارضا بين انكار هؤلاء للترادف في اللغة الواحدة
وقولنا بالترادف في العربية المشتركة وذلك لاختلاف المجالين . وقد تنبه
حمزة الاصفهاني الى هذه الحقيقة ووجه قول المنكرين للترادف توجيهها سديدا
حين قال (وينبغي حمل من منع على منعه في لغة واحدة . فأما في لغتين فلا
ينكره عاقل) (٢٧) .

على اننا لا ننفي الترادف في اللهجة الواحدة البتة لاننا لا نستبعد وقوع
القليل منه بسبب تأثير هذه اللهجة واحتكاكها باللهجات الاخرى من جهة
واقترابها من لغات اجنبية من جهة اخرى اضافة الى ان الفاظ اللهجة
الواحدة ليست بنجوة من التطور الدلالي الذي قد يؤدي الى الترادف . والفرق
بين الترادف في اللهجة الواحدة عنه في اللغة المشتركة ممثل في قلته في الاولى
وكثرته ووضوحه في الثانية .

هـ - واذا ينكر هؤلاء الترادف نجدهم يروون طائفة من الالفاظ المختلفة
ويذكرون انها بمعنى واحد . وهو امر يدعو الى العجب والغرابة لانه يخالف
في الظاهر ما ذهبوا اليه . ويدل دلالة واضحة على عجزهم عن بيان الفروق
وذكرها في مثل هذه الالفاظ التي يسوقونها بمعنى واحد . واذا جهل
القائلون بالفروق ! الفروق بين الالفاظ وعجزوا عن الكشف عنها فما بالك
بغيرهم من الناس ؟ ! .

وفي ملك هؤلاء - كما نرى - تسليم بالواقع اللغوي وهو ما يعزز
مذهب القائلين بالترادف الى حد كبير . واما توجيه المنكرين وتأويلهم له
بجهل تلك الفروق وغسوس العلل والاسباب علينا وصعوبة استخراجها ومن
أن العرب لا يبداءتهم كانوا يعرفونها ، فهي حجة واهية اقرب الى الفرضية المنطقية
وعزوف عما يجري بها الواقع اللغوي .

(٢٧) الزهر : ٤٠٥/١

ومن هذه الامثلة التي يذكر فيها المنكرون للترادف طائفة من الالفاظ
 بمعنى واحد : قول ابن الاعرابي (ماء حراق وقعاع بمعنى واحد) (٢٨) .
 وقوله : (زلته وسلقته ودثته وعصرته وهروته وفأوته بمعنى واحد) (٢٩) .
 كما يذكر ابن الاعرابي جملة اسماء من غير فرق بينها . بقوله (يقال للعمامة
 هي العمامة ، والمشوذ ، والسب والمقطعة ، والمعصابة ، والعصاب ، والتاج ،
 والمكسورة) (٣٠) وهذه الالفاظ الاخيرة من الامثلة التي أوردها السيوطي
 للترادف . ويذكر ابن الاعرابي من اسماء الداهية : أم الرئيس ، والحوكل ،
 والخناسير ، والمآود والموائد ، وأذني عناق ، ولا يشير الى أي فرق بينها (٣١) .
 يزداد على ذلك أننا نجد ابن الاعرابي يفسر اللفظة الواحدة بما يرادفها ويورد
 عدة ألقاب مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد كما في قوله (الصلاصل : التواخت ،
 واحدها صلصل . وقال في موضع آخر : الصلصلة والعكرمة والسعدانة :
 الحمامة) (٣٢) . وقوله : (ما عصرك وثبرك وغضبك وشجرك أي ما
 منك) (٣٣) . وفي كتابه (البئر) نجد الشيء الكثير من هذا القبيل حيث
 يذكر عدة أسماء للشيء الواحد من غير فرق بينها ويفسر لفظة بأخرى أو
 يذكر ألقاباً مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد . ومن ذلك مثلاً قوله : (ويقال
 لتراب البئر : النجيسة ، والنيشة ، والنشيلة ، والثلة ، والسفاة) (٣٤) وقوله :
 (فإذا كانت البئر الى جنبها بئر اخرى تضر بها ، قيل : بئر ضغيط . وبئر
 ماطورة مثلاً) (٣٥) . وقوله : (وبئر تضوض ، وبروض ، ورشوح ، ومكول :

(٢٨) اللسان مادة حرق : ٤٣/١٠

(٢٩) اللسان مادة زلع : ١٤٣/٨ وانظر امثلة اخرى في تهذيب اللغة ٨٠/٤ ،

٤١/٥ ، واللسان مادة حلا : ٦٠/١

(٣٠) الزهر ١٠/١

(٣١) اللسان مادة ربيس : ٩٤/٦ ، ومادة حول : ١٨٥/١١ ومادة خنسر :

٢٦١/٤ ومادة أود : ٧٤/٣ - ٧٥ ، ومادة عنق : ٢٧٦/١٠ .

(٣٢) اللسان مادة صلل : ٣٨٤/١١ .

(٣٣) تهذيب اللغة : ١٩/٢ ، وانظر امثلة اخرى في المصدر نفسه ١٦٨/١ ،

٤٨٣/١ ، ٢٢٢/٣ ، ٢٩/٤ ، ٢٦٢/٥

(٣٤) البئر ص : ٥٧

(٣٥) نفسه : ص ٦٢

وهي التي يجتمع ماؤها قليلا قليلا) (٣٦) . وقوله (والخضرم ، والعيلم :
 الغزيرة) (٣٧) . وقد دعا هذا الامر الاستاذ كامل سعيد الى القول بأن ابن
 الاعرابي لم يكن من منكري الترادف مستدلا على ذلك بسئل ما ذكرناه ولأن
 ابن الاعرابي كان يروي الشعر بالمعنى ؛ وحسب من ذهب الى ما يخالف
 هذا وإها (٣٨) . فوهم هو في ذلك . وهذا حكم مبني على الظاهر إذ أنه يتعارض
 مع حقيقة قول ابن الاعرابي الذي انكر فيه الترادف صراحة وتابعه في ذلك
 نفر من التدامي كبار بنا آتوا . فقد فاتته أن ابن الاعرابي يرى أنه لا بد من
 سبب للتية ويقول بالعلل والاعتبارات في اطلاق الالفاظ على المسيات .
 وهذه النظرة تقودنا الى المعاني الاصلية للالفاظ وتؤدي الى القول بالتباين
 والتروق بين الالفاظ المترادفة . وأنه كان يقول بالعلل المجهولة والتروق
 الخفية ؛ وعلى هذا نحمل مسلكه الاخير .

ولم ينفرد ابن الاعرابي بانكار الترادف وذكر الفاظ بمعنى واحد .
 فمثلته تليذه ثعلب الذي أنكر الترادف ايضا نجده يقول : (ثوب خلق
 وأخلاق ، وسكل وأسكال ، ومزق ، وشبارق ، وطرائق ، وطرايد ، ومشق ،
 وهب ، وأهباب ، ومشبرق ، وشسارق ، وخبب وأخاب وخباب ، وقبائل ،
 وورعايل وذعاليب ، وشساطيط ، وشراذم ، وردم ، وهدم ، وأهدام ، وأطمار
 بمعنى) (٣٩) . ويقول ايضا : (يقال : أزم فلان ، وأطرق ، وأسكت ،
 وألزم وقرسم ، وبلدم ، وأسبط ، بمعنى ازم) (٤٠) (ويقال : غلام نشش
 وشعشع وبلبل وبزبز ؛ إذا كان خفيفا في السفر) (٤١) ، ويقول : (الزعيم

(٣٦) نفسه ص ٦٠

(٣٧) نفسه : ص ٦٤ وانظر امثلة اخرى في المصدر نفسه : ص ٥٨ ، ص ٦١

(٣٨) ابن الاعرابي دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته ، رسالة
 ماجستير ، ص ١٤٠ - ١٤٢

(٣٩) مجالس ثعلب : وعند في الزهر : ٤١١/١

(٤٠) مجالس ثعلب والمزهر : ٤١١/١

(٤١) مجالس ثعلب : ١١/١

والصبر والحمل والاذنين والكفيل والاميل ، الذي لا يثبت في سرجه (٤٢) ،
(ويقال : غفا ودرس ومعا وامحى والمرق) (٤٣) وقد اورد السيوطي طائفة
ما رواه ثعلب أمثلة للترادف (٤٤) .

ومثلها في هذا المنحى ابن فارس الذي انكر الترادف متابعا شيخه
ثعلبا ، على حين نجده يذكر عدة اساء للشيء الواحد ويورد الفاظا مختلفة
ثم يفرها بمعنى واحد . ومن ذلك قوله : (هو حسن المعطى والمرسن
والرافع اي الانف . وهو جيد المتصل والمقول والمذوذ ، تريد اللسان .
وهو حسن الهادي والتليل والابريق ، يريد الجيد . . . وهي الاضلاع
والحواني والجوانح . . وهي الطبايع والسلائق والنحائت والضرائب) (٤٥)
وقوله ايضا : (ويقال للاثر : البلد والتدب والحبار) (٤٦) ويذكر ابن فارس
من اساء الشس : الغزالة وذكاء والمياة والجونة والبيضاء ، والضح ، ولا
يشير الى فرق بينها (٤٧) . كذلك يذكر انه يقال : رجل جائع وغرثان
ورجل ساغب وسغبان ، والمسغبة : المجاعة ، والمسحوت : الجائع . والمحصنة :
المجاعة) (٤٨) .

ومثل هؤلاء ايضا ابن الانباري اذ نجده ينكر الترادف على شاكلة ابن
الاعرابي ، وهو القائل في تقييمات الالفاظ وانواعها : (والضرب الاخر ان
يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد ، كقولك : البر والحنطة ، والعرير
والحمار ، والذئب والسيد ، وجلس وقعد ، وذهب ومضى) (٤٩) والطريف في

(٤٢) المصدر السابق : ٧٧/١

(٤٣) نفسه : ٨٧/١

(٤٤) الزهر : ٤١١/١ - ٤١٢ وانظر امثلة اخرى في المصدر نفسه : ٤١١/١ -
٤١٢ وفي مجالس ثعلب :

(٤٥) متخير الالفاظ لابن فارس : ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٤٦) المصدر السابق ص ٢٣٥

(٤٧) نفسه ص ١٩٩

(٤٨) متخير الالفاظ لابن فارس : ص ١١٦ - ١١٧ .

(٤٩) الاضداد لابن الانباري : ص ٦ - ٧ والمزهر : ٣٩٩/١ .

هذا الامر ان نجد ثائفة من هذه الالفاظ التي اوردها هؤلاء بمعنى واحد ، يستشهد بها القائلون بالترادف على وقوعه ويسوقونها امثلة له . وعلى وجه التحديد ما ذكره ابن الاعرابي من اساء العمامة وما ذكره ثعلب من الفاظ بمعنى واحد ، وما ذكره ابن فارس من اساء الطبيعة والدم فنجد هذه الالفاظ نفسها من جملة امثلة الترادف عند ابن جني^(٥٠) والسيوطي^(٥١) .

وقد يجد الباحث اول وهلة تناقضا بين انكار هؤلاء للترادف وذكرهم الفاظا بمعنى واحد. كما رأينا . ولكن اذا ما علمنا انهم يقولون بالعلل المجهولة والفروق الغامضة والخفية ادركنا سر هذا التناقض ووقفنا على اسبابه .

ولسنا نريد بهذا انكار التباين والفروق بين المترادفات جملة وتفصيلا ، فنقول بالترادف الوضعي في الفاظ اللغة . وذلك ان التباين هو الاصل في معظم المترادفات كما اثبتنا هذا في الفصل الثاني الذي قررنا فيه ان لا أصالة في أكثر المترادفات . ونحن هنا نسلم بما ذهب اليه هؤلاء من القول بالتباين والفروق بحسب الاصل . بيد اننا نكر عليهم تسكهم بهذه الفروق والاعتبارات تبعا للاصل والتعويل على الوضع والقول بالعلل والاسباب وانكار الترادف على هذا النحو . وتأخذ عليهم اغفالهم التطور اللغوي الذي هو السبب الرئيسي في حدوث الترادف . أجل لقد « كانت » هذه الالفاظ متباينة بحسب اصلها في اللغة وتبا لدلالاتها القديمة ، بيد ان هذا التباين قد اغفل وتنوسي فيها حتى صارت تستعمل بمعنى واحد . فاذا كان الناس يستعملون الفاظا بمعنى واحد ولا يراعون فيها ذلكم التباين ويجهلون اسباب التباين وعللها ، واذا كان المنكرون انفسهم يوردون الفاظا بمعنى واحد ولا يشيرون الى فرق بينها ، فما جدوى القول اذن بالفروق الغامضة والعلل الخفية المجهولة ؟

ونرى انه كان ينبغي لهؤلاء التسليم بترادف مثل هذه الالفاظ التي تجهل

(٥٠) الخصائص : ١١٤/٢ وما بعدها ، ١٣٢/٢ .

(٥١) الزهر : ٤١٠/١ - ٤١٢ .

فيها التروق او لا يسكن التفرقة بينها .
وخلاصة ما نراه هو تأكيد القول بوقوع الترادف نتيجة التطور اللغوي ،
لا الوضع حيثما يسكن اطلاق اسين او اكثر على مسمى واحد من غير تباين
بينها ، « دون اعتبار » لما كانت عليه في الاصل .

بمثل هذا توجه القول بالتروق وتنظر الى حدوث الترادف . وزي ان
نظرة هؤلاء الى اللغة بحسب اصل الوضع هي السبب الرئيسي في انكار
الترادف . ولو كان هؤلاء قد اعتبروا بالتطور اللغوي ولم ينظروا تلك
النظرة المتطرفة لما انكروا الترادف .

واما القائلون بالترادف من القدامى فيستدلون على مذهبهم بادلة عقلية
لا تحيل جواز وقوع الترادف عقلا ، وادلة عقلية تمثل فيما جاء عن العرب
من الفاظ مختلفة بمعنى واحد ما لم يجعله نقلة اللغة محل خلاف . وقد انحنى
هؤلاء باللائمة على المنكرين وسنبهوا حججهم واتسوهم بالتكلف والتعسف
وعجبوا من قولهم بمثل هذه الاعتبارات في انكار الترادف فقالوا (والكلام
معهم - اي مع المنكرين - أما في الجواز ، ولا شك فيه ، او في الوقوع اما
من لنتين ، وهو ايضا معلوم بالضرورة ، او من لغة واحدة ، كالحنطة والبر
والسح ، وتمسكات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلا عن حجة) (٥٢) كما
احتج اصحاب الترادف : « بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الاخرى
لما امكن ان يعبر عن شيء بغير عبارته ، وذلك انا نقول في لا رب فيه : لا
شك فيه ، فلو كان الرب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الرب بالشك
خطأ ، فلما عبر عن هذا بهذا علم ان المعنى واحد . قالوا : وانما يأتي
الشعر (٥٣) بالاسين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة
كقولهم :

(٥٢) الزهر : ٤٠٣/١ .

(٥٣) وفي الزهر الشاعر بدلا من الشعر وهو الارجح : ٤٠٤/١ .

« وهدى أتى من دونها النأي والبعد » (٥٤)

قالوا : فالنأي هو البعد . قالوا : وكذلك قول الآخر : عام الحبس

والأصر ، فإن الحبس هو الأصر (٥٥) .

ومن ردود القائلين بالترادف على المنكرين له ومناقشتهم فيما احتجوا به ، ما قاله الأمدى : (ذهب شذوذ من الناس الى امتناع وقوع الترادف في اللغة ، مصيرا منهم الى أن الأصل عند تعدد الاسماء تعدد المسميات ، واختصاص كل اسم بمسى غير مسى الآخر . . وجوابه أن يقال لا سبيل الى انكار الجواز العقلي ، فإنه لا يتنع عقلا ان يضع احد لفظين على مسى واحد ، ثم يتفق الكل عليه . او ان تضع احدي القبيلتين احد الاسمين على مسى ، وتضع الاخرى له اسما آخر ، من غير شعور كل قبيلة بوضع الاخرى ، ثم يشيع الوضعان بعد ذلك . كيف وان ذلك جائز بل واقع ، بالنظر الى لغتين ضرورة فكان جائزا بالنظر الى قبيلتين) (٥٦) وبعد أن أفاض الأمدى في ذكر الحجج الكثيرة على وقوع الترادف وبيان فوائده ومناقشة المنكرين قال : (ثم الدليل على وفوق الترادف في اللغة ، ما نقل عن العرب من قولهم : الصهب والشوذب ، من اساء الطويل ، والبتر والبتر من اساء القصير ، الى غير ذلك . ولا دليل على امتناع ذلك حتى يتبع ما يقوله من يتعسف في هذا الباب في بيان اختلاف المدلولات . لكنه ربما خفي بعض الالتفاف المترادفة وظهر البعض فيجعل الأشهر بيانا للأخفى ، وهو الحد اللفظي) (٥٧) ويبدو من قول اصحاب الترادف وبيانه طبيعة وقوعه انهم ينظرون الى اللغة على أنها تواطؤ واصطلاح .

(٥٤) هو عجز بيت للحطيئة وسدره : الاجدا هند وارضى بها هند .

انظر اللسان مادة نأي ٢٠٠/١٥ والديوان : ص .

(٥٥) الصاحبي : ص ٩٧ ، والمزهر : ٤٠٤/١ وحول الفرق بين النأي والبعد

انظر ، الفروق اللغوية : ص ١١ .

(٥٦) الاحكام في اصول الاحكام : ٢٠/١ - ٢٢ .

(٥٧) الاحكام في اصول الاحكام ٢٢/١ - ٢٣ .

وهذا ما يشعر به تفسيرهم للترادف بتعدد الوضع ، سواء كان من واضع واحد ، او كان من واضعين على سبيل اختلاف القبائل . بل نجد منهم من يفسر الترادف بتعدد الوضع ويقول صراحة : (وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية)^(٥٨) ونلح في هذا ردا على من افكر الترادف بحجة ان اللغة توقيف والهام وان واضعها عز وجل حكيم عليم لا يجوز ان يضع اكثر من لفظ واحد على معنى واحد .

واما قول المنكرين بان الترادف تكثير للغة بما لا فائدة فيه ، فان اصحاب الترادف قد دفعوا هذا بما ذكروه له من فوائد جمة ، فقالوا ان من شأنه ان تكثر الوسائل الى الاخبار عما في النفس والتفنن في التمييز ، « فانه ربما نسي احد اللفظين او عسر عليه النطق به » كما هي الحال بالنسبة للاشخ الذي « لولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك » . ومنها تأكيد المعنى دون تكرار معيب للفظ بعينه . وقالوا ان من شأن الترادف « التوسع في سلوك طرق الفصاحة واساليب البلاغة في النظم والنثر » ، وذلك من حيث الوزن والقافية وتأتي السجع والتجنيس والترصيع وغير ذلك من اصناف البديع . وقد يكون الترادف شرحا للغامض وبيانا للغمي من الالفاظ وهو ما يسى عند المتكلمين بالتحديدات او التعريف اللفظي^(٥٩) .

وقد اسهب القائلون بالترادف كثيرا في جدلهم مع المنكرين والرد عليهم من أجل نقض حججهم المنطقية والعقلية واثبات الترادف بشتى السبل . ومختلف الادلة ، الى الحد الذي قرر فيه بعضهم ان الترادف واقع في اللغة . ولا معنى لاقامة البرهان على جوازه وان الاشتغال باثبات هذا ودفعه عبث ، لتحقق وقوعه كالبر والصح والحظوة ، والاسد والليث والفضنفر ، والنعود والجلوس ، وغير هذا مما لم يكن موضع خلاف لدى نقلة اللغة . والعقل لا يحيل جواز الوقوع ، والواقع يؤيد الوقوع . وقالوا ان المانعين لم ياتوا

. (٥٨) الزهر : ١/٦٠٦ .

. (٥٩) الزهر ١/٦٠٦ .

بحجة مقبولة في مقابلة ما هو معلوم بالضرورة من وقوع الترادف في لغة العرب .
 واما قولهم ان ما يظن انه من الترادف هو من اختلاف الذات والصفة كالانسان
 والبشر او الصفات كالخسر لتغطية العقل والعقار لعقره او لمعاقرته او اختلافه
 الحالة السابقة كالقعود من القيام والجلوس من الانطجاع، فتكلف ظاهر وتعمف .
 بحث ، وهو وان امكن تكلف مثله في بعض المواد المترادفة فانه لا يسكن في
 اكثرها . ولهذا جمل هؤلاء انكار الترادف مكابرة ومباهة متمججين من
 نسبة المنع من الوقوع الى مثل ثعلب وابن فارس مع توسعها في هذا العلم ،
 وهذا ما ذكرناه في النعل الاول فيما يتعلق بوقوف اهل الاصول من
 الترادف (٦٠) .

ويتضح لنا من هذا كله ان القائلين بالترادف وخاصة الاصوليين والفقهاء
 منهم قد جنحوا كثيرا الى المنطق والعقل من اجل اثبات الترادف وتأكيد القول
 بوقوعه، كما لاحظنا هذا على منهج المنكرين المتشاك في تعويلهم على ذلك المسلك .
 الجدلي الكلامي من اجل نفي الترادف . ولعلنا لانالغ اذا قلنا ان هذا الخلاف
 الطويل في وقوع الترادف والجدل الكثير فيه بعثه النظرة الوضعية الى دلالة
 الالفاظ في اللغة وتحكيم العقل والمنطق والحكمة في ذلك . فالمشكرون يرون
 ان الترادف هو بخلاف الاصل وان القول به ما يفوت حكمة الوضع ويحبونه
 ما يشوه اللغة ويوقع فيها اللبس والابهام . وقد عز عليهم ان يترادف لفظان
 او اكثر على معنى واحد ، فراحوا يلتسون شتى الجبل لنفيه ودفع وقوعه
 لكونه خربا من العبث تجل عنه هذه اللغة او تكثير لها بما لا فائدة فيه .
 والمؤيدون يرون ان العرب قد تواضعوا عليه ليدلوا على اتساعهم في هذه
 اللغة وتفنيهم في طرائق التمييز ، ويتدلون على وقوعه بالوضع والعقل
 بعددين له الفوائد الكثيرة في الشعر والنثر . وقد بالغوا في وقوعه واسرفوا
 في الاعتزاز به حتى جملوه منخرة للعربية ومآثرة من مآثرها لا تظاهرها في
 ذلك لغة من اللغات .

(٦٠) انظر ص من هذه الرسالة .

ونرى في هذا الخلاف ان الفريقين قد اغنلا مبدأ التطور الدلالي وتجاهلا حقيقة الاستعمال في نظرهم الى وقوع الترادف او انكاره تبعا للوضع وفي ضوء العقل والمنطق . بدلا من الاحتكام الى الواقع اللغوي وما يجرى به الاستعمال وهو ما ينبغي التعويل عليه في مثل هذا الامر . فنقول ان الترادف واقع في اللغة تبعا للاستعمال ولا سبيل الى انكاره على هذا الوجه ، وذلك بغض النظر عن اصل الوضع وعسا يوجه العقل والمنطق والقياس والحكمة وغير ذلك من الاعتبارات في جوازه وانكاره . فاللغة كما ذكرنا لها منطقتها الخاص وطبيعتها المتسيزة ولهذا لا يصح الحكم على هذه الظاهرة في ضوء هذه الاعتبارات . وانا مرد ذلك الى الاستعمال وحده . فاذا كان الناس في سلوكهم اللغوي يتعملون الفاظا بمعنى واحد ، ولم نتطع ان تبين اي فرق واضح فيها حكمتنا على مثل هذه الالفاظ بالترادف دون اعتبار بما كانت عليه من تباين في السابق ومن غير ادعاء الترادف الونسمي فيها . فقد تكون ثمة الفاظ قد ترادفت وضما وهو التليل وقد تكون ثمة الفاظ متباينة ثم علت الظروف اللغوية على زوال التروق بينها حتى صارت مترادفة بسبب التطور في الاستعمال وهو الغالب في المترادفات .

وفي كلتا الحالتين لا بد من التعويل على الواقع اللغوي واحتداد الاستعمال عند القول بترادف الالفاظ : حيث نجد في اللغة كثيرا من النصوص والشواهد التي تدل بوضوح على ان الحس اللغوي العام كان يسوى بين لفظتين او اكثر من حيث الدلالة ولا يفرق بينها وان العربي كان يعرف في احيان كثيرة عدة الفاظ للشي الواحد ويوقعها باوااة منه على معنى واحد . ومن أمثلة ذلك (قال ابو زيد : قلت لأعرابي ما المحبطني ؟ قال : المتكاكي . قلت : وما المتكاكي ؟ قال : المتآزف قلت وما المتآزف ؟ قال : انت احقق وتركني وذلك كله التصير)^(٦١) وحكي عن المازني انه قال : (سمعت ابا سرار الغنوي يقرأ : « واذا قتلتم نكحة فادراتهم فيها »^(٦٢) فقلت له : انا هي

(٦١) اخبار النحويين : ٤٤ ونزهة الالباء : ١٠٢ والمزهر ١/٤١٣ .

(٦٢) سورة البقرة اية ٧٢ .

نفس : فقال : النَّكَّةُ والنفس واحد (٦٣) ونجد عبدالله بن عباس (رض) في اجوبته عن مسائل نافع بن الازرق يفسر اللفظة بالاخري من غير فرق بينهما ويستدل عليهما بما جاء في شعر العرب . (قال نافع : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل : « وابتغوا اليه الوسيلة » (٦٤) قال : الحاجة : قال : او تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم اما سمعت عنثرة العبي وهو يقول (٦٥) :

ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضي
قال : يا ابن عباس اخبرني عن قول الله عزوجل « وحنانا من لدنا » (٦٦) قال : رحمة من عندنا ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، اما سمعت طرفة بن العبد وهو يقول :

أبا منذر أفئيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض (٦٧)

وعلى هذا النحو يجرى ابن عباس في شرح مفردات القرآن الكريم التي سئل عن معانيها وتوضيحها ، فيفسر التوم بالحنة (٦٨) . والفينا بوجدنا (٦٩) ، والاياب بالمرجع (٧٠) ، والاجداث بالقبور (٧١) ، وجما بكثير (٧٢) ، والريب بالشك (٧٣) . وقد يذكر أكثر من لفظ واحد للمعنى الواحد كما في قوله :

(٦٣) امالي التالي : ٧٨/٢ . والمزهر : ١٢/١ .

(٦٤) سورة المائدة اية ٢٥ .

(٦٥) الديوان ص .

(٦٦) سورة مريم آية ١٢

(٦٧) سؤالات نافع بن الازرق الى عبدالله بن عباس : ص ٩ - ١٠ وينظر البيت في الديوان ص :

(٦٨) نفسه : ص ١٤ .

(٦٩) نفسه : ص ٢٠ .

(٧٠) نفسه : ص ٢٤ .

(٧١) نفسه : ص ٤٦ .

(٧٢) نفسه : ص ٥٦ .

(٧٣) نفسه : ص ٥٨ .

(الحا السوداء وهو الثا ط أيضا) (٧٤) وقد يعزو أحيانا بعض الالفاظ الى اصحابها ما وقع في القرآن الكريم من لغات القبائل كما في قوله أن بورا هلكى بلغة عمان وهم من اليمن (٧٥) . وأن يلتكم ينقصكم بلغة بني عيس (٧٦) .

فلو كانت هناك فروق بين هذه الالفاظ لما فر ابن عباس اللفظة القرآنية بما يرادفها وكان منهجه في هذا التفسير خطأ او غير دقيق . ولو لم تكن في اللغة الفاظ تدل على معنى واحد لما جوز العلماء رواية الحديث النبوي الشريف بالمعنى ومسحوا بذلك البتة نظرا لما ينتج عنه من اختلاف في القصد وما يترتب على ذلك من امور جسيمة في الفقه وأحكام التشريع . وكثير من الاحاديث مروية بسعانيها لا بالفاظها . قال سفيان الثوري : (إن قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ، انا هو المعنى) (٧٧) .

وفيه من هذه النصوص والشواهد ان الاستعمال يسوى بين لفظتين او اكثر من حيث الدلالة من غير أن يلحظ فيه ما يشير الى فرق بينهما ، كما في ذكرهم اثنا عشر عدة للمعنى الواحد وفي تفسير اللفظة بما يتقابلها من حيث الدلالة على سبيل الترادف . ونرى في مثل هذا المسلك ان الحس اللغوي لم يكن يفرق بين هذه الالفاظ وانا يراها شيئا واحدا . هذه النظرة التي يعززها الاستعمال ويؤيدها الواقع اللغوي هي ما نعتده اساسا للقول بوقوع الترادف في اللغة ، دون اعتبار باصل الوضع ولا تعويل على الاسباب والعلل وما يوجبه العقل والمنطق . فهذه النظرة أقرب الى طبيعة اللغة والصق بحقيقة الاستعمال . لقد وجدت أن اكثر اللغويين التدامي يقولون بالترادف ، وهذا ما

(٧٤) نفسه : ص ١٧ .

(٧٥) نفسه : ص ٤٥ .

(٧٦) نفسه : ص ٤٩ .

(٧٧) خزانة الادب : ٥/١ .

أشار إليه ابن درستويه^(٧٨) والمكري^(٧٩) . كما ذهب جمهور غفير من الأصوليين والتقياء والمنامقة الى اثباته . والنواقع اللغوي والاستعمال كثيراً ما يدعم نظرة هؤلاء ويمزج مذهبهم حيث نرى الناس يتعملون الفاظاً بمعنى واحد ولا يهبون لتلك الاعتبارات والنروق ؛ ولا تنصرف اذهانهم الى تلك العلل والأسباب التي احتج بها المنكرون . ولعل هذه من أقوى الحجج على وقوع الترادف . بيد ان القائلين بالترادف قد تجاهلوا تطور الدلالة ولم يعتبروا به ، فتجدهم يروون الكثرة من المترادفات وكأنها مترادفة في اصل الوضع اللغوي . والحال أن أغلب المترادفات الاصل فيها التباين ثم ترادفت بسبب التطور الدلالي على ما بينا . وادعاء الترادف الوضعي في الكثير من الالفاظ أمر يدحضه البحث اللغوي التاريخي كما اثبتنا سابقاً . ويؤخذ على أصحاب الترادف ايضاً مبالغتهم في وقوعه واسرائهم فيه اذ تسامحوا فيه كثيراً فعدوا طوائف من الالفاظ المتقاربة مترادفة وتوهوا الترادف في أخرى وهي ليست من الترادف في شيء . وسيأتي بيان هذا بالتفصيل في الفصل الذي عقدناه لدراسة كثرة الترادف في العربية .

ولما كنا قد اثبتنا اساء المنكرين للترادف ، فلعل من المنيد هنا ان نذكر أشهر اللغويين القائلين به . ومن هؤلاء ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وابو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) والرماني (ت ٣٨٤ هـ) وابن جنبي (ت ٣٩٢ هـ) والباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) وحنة الاسفهانسي (ت ٤٦٠ هـ) والفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) وغيرهم .

وقد عد كل من الدكتور ابراهيم أنيس^(٨٠) والدكتور رمضان عبد التواب^(٨١) ، والدكتور حسن ظاظا^(٨٢) والدكتور صبحي الصالح^(٨٣)

(٧٨) تصحيح الفصح ؛ القسم الثاني ص ٢٢٢ والزهر : ٢٨٤/١ .

(٧٩) الفروق اللغوية : ص ١٢ .

(٨٠) في اللهجات العربية : ص ١٦٢ .

(٨١) فصول في فقه العربية ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٨٢) كلام العرب : ص ١٠٢ .

(٨٣) دراسات في فقه اللغة : ص ٢٤٢ .

والاستاذ محمد الانطاكي^(٨٤) أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) من منكري
الترادف مستدلين على ذلك بحواره مع ابن خالويه الذي انكر فيه أن يكون
الحسام والصارم والمهند أساء لل سيف ، وانما هي صفات له .

وقد وهوا في هذا ، اذ أن مجرد انكار صفات المسمى أن تكون اساء
له ليس مدعاة لانكار الترادف ونحن نجد غير الفارسي من اعتدلوا في
مذهبهم قد اعترفوا بالترادف صراحة وأخرجوا من هذه الالفاظ وعدوها
صفات للسيف كابن الاثير^(٨٥) والامام فخرالدين الرازي^(٨٦) وعليه الجمهور
من أهل الفقه والاصول^(٨٧) أضف الى ذلك ان ابن جنبي حين عرض للترادف
وضرب الامثلة له كان قد تثل بما ذكره استاذه الفارسي من اساء السحاب
والحاجة واستشهد بها امثلة للترادف^(٨٨) وقد نص في نهاية باب الترادف
بقوله : (وكان أبو علي رحمه الله يتحسن هذا الموضع جدا ، وينبه عليه ،
ويسر بما يحضره خاطره منه)^(٨٩) .

والذي نخلص اليه هو تأكيد القول بوقوع الترادف لالأن أكثر اللغويين
يذهبون الى ذلك بل لأنه أمر واقع تؤيده النصوص والشواهد الكثيرة ويشهد
به الاستعمال . واما كثرة الترادف فتلك مسألة اخرى .

(٨٤) الوجيز في نقة اللغة : ص ٢٨٢ .

(٨٥) المرصع : ص ٢٥٢ .

(٨٦) الزهر : ١/٢٠٢ .

(٨٧) انظر من من هذه الرسالة .

(٨٨) الخصائص : ١٢٦/٢ - ١٢٧ .

(٨٩) المصدر السابق : ١٢٢/٢ .

دراسة في بعض كتب الفروق اللغوية :

ثمة الفاظ كثيرة في العربية تتقارب معانيها ، وتشابه دلالاتها ، وقد كان هذا التشابه في الدلالات والتقارب في المعاني ملحوظا لدى العرب الاقدمين بيد انه سرور الزمن وطول العهد ، وكثرة الاستعمال تطورت دلالة هذه الالفاظ واصبح الناس يستعملونها بمعنى واحد غير مكثرين بما بينها من فروق دقيقة ، ولا مراعين التباين فيها بحسب أصلها في اللغة ، اهمالا لها او جهلا بها ، فكان أن ترادفت الفاظ عدة على معنى واحد نتيجة التطور في الاستعمال .

وحين أشكل الفرق بين هذه الالفاظ واختلطت معانيها ، وصارت مترادفة في الاستعمال ، هال الامر بعض علماء العربية ، فعدوا ذلك ضربا من الفساد اللغوي واللحن المستكره ، فتأهبوا للوقوف بوجه هذا التيار ، يستكرونه ويصوبونه ، حرصا منهم على تنقية اللغة وحفاظا على اصالتها وسلامتها ، محتجين بدلالات الالفاظ القديمة ، ومعولين على ما ذكره الاقدمون من اللغويين وما ورد عن العرب النحهاء ابان عصور الاحتجاج . وقد نسبوا هذا التغيير الدلالي الى التأخر والجهل وما اصاب الثقافة اللغوية من ضعف وانحطاط .

ومن أجل هذا صنفوا ابوابا وكتبا في الفروق راجعين باللغة والالفاظ الى ما كانت عليه من دلالات قديمة . وكانهم بهذا جعلوا الدلالة مسألة نقلية متواترة يأخذها جيل بعد جيل ، ويتناقلها الخلف عن السلف . ومن هنا كانت ظاهرة التأليف في الفروق رفضا للجديد في الدلالة ، وتصويبا لما عدوه لحنا في لغة الناس ، واحياء لما بين الالفاظ من فروق دقيقة تبعا للدلالة الاصلية . ان مسألة الفروق والعناية بها على هذه الشاكلة ، كانت متأخرة في اللغة ، اذ جاءت نتيجة استعمال الناس لالفاظ كثيرة بمعنى واحد ، واغفالهم لما فيها

من تباين . مما دعا بعض اللغويين الى التأليف فيها والتنبية عليها ، وهذا ما نجده واضحا عند ابن قتيبة ، الذي أفرد لها في كتابه « ادب الكاتب » بابا خاصا سماه « باب معرفة ما يضعه الناس غير موضعه » (٩٠) وصرح في مقدمة كتابه بان هذه الظاهرة هي التي دعت الى التصنيف في هذا الامر خشية ان يذهب رسمه ويعتوا اثره (٩١) . وقد اعترف ان الناس في عصره لم يعودوا يفرقون بين جملة من الالفاظ ويستعملونها بمعنى واحد . وقد عزا ذلك الى الجهل باللغة واسرارها . ومن امثلة ما اورده في هذا الباب قوله : (ومن ذلك الخائن والسارق ، لا يكاد الناس يفرقون بينهما ، والخائن هو الذي اوتسنا فاخذ فخان . . . والسارق من سرقك سرا بأي وجه كان : يقال : كل خائن سارق ، وليس كل سارق خائنا) (٩٢) . وقوله (ومن ذلك البخيل ، واللئيم ، يذهب الناس الى انها سواء ، وليس كذلك انما البخيل الشحيح الضنين ، واللئيم الذي جمع الشح ومباةة النفس ، ودفاعة الآباء ، يقال كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيم) (٩٣) . وقوله : (ومن ذلك الحشمة يضعها الناس موضع الاستحياء ، قال الاصمعي ، وليس كذلك ، انما هي بمعنى الغضب ، وحكي عن بعض فصحاء العرب ان ذلك لما يحشم بني فلان أي يعضبهم) (٩٤) .

وعلى هذا النحو يستطرد ابن قتيبة في ذكر الفروق بين طائفة من الالفاظ المتقاربة في المعنى وذلك تبعا لدلالاتها الاصلية في اللغة ، حين لاحظ ان الناس يستعملونها بمعنى واحد ، كالظل والنهي ، والآل والسراب ، والعترة والذرية ، والخلف والكذب ، والحد والشكر ، وما الى ذلك . وهو ما

(٩٠) ادب الكاتب : ص ٢١ .

(٩١) نفسه : ص ٩ .

(٩٢) نفسه : ص ٢٥ .

(٩٣) نفسه : ص ٢٦ .

(٩٤) ادب الكاتب : ص ٢٢ .

فصلنا القول فيه عند تناولنا تفسير الترادف بسبب التطور الدلالي في
الفصل الثاني .

وقد حذا أبو هلال العسكري حذو ابن قتيبة في هذا الامر من حيث
الدافع والغاية والمنهج في التأليف ؛ فخصه بكتاب مستقل . على ان العسكري
كان قليل الاستشهاد بالنصوص اللغوية على الفروق ؛ ولم يعز الفروق الى
قائلها في الغالب كما سنين ذلك .

وستتناول هنا فروق العسكري بالدرس والتحليل لاهميتها وتعميل كثير
من الباحثين عليها . وقد خلصنا بعد التأمل وانعام النظر فيها الى جملة امور
توضح الغاية من تأليفه ؛ وترسم المنهج الذي سلكه ؛ وتبين طبيعة تلك الفروق
وتمثل هذه الامور بما يأتي :

١ - كانت الغاية من تأليف العسكري لكتابه كما كانت عند ابن قتيبة
تفريقا بين الالفاظ التي كانت متقاربة المعنى في الاصل ؛ ثم اشكل الفرق بينها
واختلفت دلالاتها حتى تنوسيت الفروق بينها واصبح الناس يستعملونها
بمعنى واحد وهذا هو السبب الذي دفع العسكري الى التصنيف في هذا
الضرب من الالفاظ كما صرح في مقدمة كتابه قائلا : (اني ما رأيت نوعا من
العلوم وفنا من الاداب الا وقد حنف فيه كتب تجع اطرافه وتنظم اصنافه
الا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتى اشكل الفرق بينها ؛ نحو العلم
والمعرفة ؛ والفتنة والذكاء ؛ والارادة والمشيئة ؛ والغضب والسخط ..) (٩٥) .

٢ - اعتمد العسكري ؛ كما ذكر في مقدمته ؛ اسما في تفريقه بين
الالفاظ تتشبه في تعويله على اعتبارات مختلفة في النظر الى الدلالات بغية
التفريق تبعا لامور ؛ وتلخص في اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد
الفرق بين معنيهما ؛ او في اعتبار صفات المعين اللذين يطلب الفرق بينهما ؛ او في
اعتبار ما يؤول اليه ؛ المعيان ؛ او في اعتبار الحروف التي تعدى بها الافعال ؛

(٩٥) الفروق اللغوية : ص ٧ .

او في اعتبار النقيض : او في اعتبار الاشتقاق ؛ او فيما توجه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه ؛ او في اعتبار حقيقة اللفظين او احدهما في اصل اللغة (٩٦) .

وواضح من هذه الاعتبارات ان العكري قد عول كثيرا على الدلالة الاصلية للالفاظ ؛ مبتدئا الى ذلك بالاشتقاق ؛ واصل الوضع وأمور اخرى . كما تجاوز الدلالة اللغوية الى اعتبارات اخرى نحوية وصرفية ومنطقية وعقلية .

٣ - قسم العكري كتابه على ثلاثين بابا احتوى كل باب طائفة من الالفاظ المتقاربة المعنى في موضوع معين ؛ فكان يذكر الفروق بين هذه الالفاظ تبعا لدلالاتها الاصلية في اللغة ويشير من بعد ذلك في احيان كثيرة الى التوسع الذي حدث في استعمالها ؛ وان تلك الالفاظ صارت تدل على معنى واحد او ان الكلمة صارت توضع موضع الاخرى . وربما تجاوز العكري هذا الى توجيه هذا التوسع توجيها سديدا .

وقد احصيت اكثر من خمسين ومائة استعمال من الالفاظ التي كانت متقاربة في معانيها ثم تطورت دلالاتها حتى خفي الفرق بينها ؛ وصارت تستعمل بمعنى واحد . فراح العكري يفرق بينها بمتضى اصلها في اللغة ويشير الى التوسع فيها واستعمالها بمعنى . ومن امثلة ذلك قوله في الفرق بين الحنين والاشتياق ان : (اصل الحنين في اللغة هو صوت من اصوات الابل ؛ تحدثها اذا اشتاقت الى اوطانها ؛ ثم كثر ذلك حتى اجرى اسم كل واحد منهما على الآخر ؛ كما يجرى على السب وعلى المسب اسم السب) (٩٧) . وقوله في الفرق بين الظن والحبان ان : (اصل الحبان من الحساب ؛ تقول احسبه بالظن قد مات كما تقول اعده قد مات ؛ ثم كثر حتى سمي الظن حباناً على جهة التوسع وصار كالحقيقة بعد كثرة الاستعمال) (٩٨) . وقوله في الفرق بين التخلية

(٩٦) نفسه : ص ١٤ .

(٩٧) الفروق اللغوية : ص ١٦ .

(٩٨) نفسه : ص ٧٩ - ٨٠ .

والاطلاق أن : (الاطلاق عند الفقهاء كالأذن إلا أن أصل الأذن أن يكون ابتداء والاطلاق لا يكون إلا بعد نهي ، ثم كثر حتى استعمل أحدهما في موضع الآخر) (٩٩) . وقوله في الفرق بين الرد والرجع (أنه يجوز أن ترجمه من غير كراهة له قال الله تعالى : « فان رجعتك الله إلى طائفة منهم ») (١٠٠) ولا يجوز أن ترده إلا إذا كرهت حاله ، ولهذا يسمى البهرج ردا ولم يسم رجعا ، هذا أصله ثم ربما استعمل أحدى الكلمتين موضع الأخرى لقرب معناها) (١٠١) . وبعد أن فرق المكري بين المجاورة والاجتماع بحسب أصلها في اللغة قال : (ثم استعملت المجاورة في موضع الاجتماع مجازا ثم كثر ذلك حتى صار كالحقيقة) (١٠٢) . وقوله في الفرق بين الاصطفاء والاختيار : (أن اختيارك الشيء أخذك خيرا ما فيه في الحقيقة أو خبره عندك والاصطفاء أخذ ما يصفو منه ، ثم كثر حتى استعمل أحدهما موضع الآخر ، واستعمل الاصطفاء فيما لا صفوه على الحقيقة) (١٠٣) . وقوله في الفرق بين الاتساع والطلب : (أن الاتساع طلب باللس ، ثم سمي كل طلب اتساعا مجازا) (١٠٤) . وقوله في الفرق بين المضي والذهاب : (أن المضي خلاف الاستقبال ولذا يقال ماض ومستقبل ، وليس كذلك الذهاب ، ثم كثر حتى استعمل أحدهما في موضع الآخر) (١٠٥) . وقوله في الفرق بين أتى وجاء (أن قولك جاء فلان كلام تام لا يحتاج إلى صلة ، وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء ، ولهذا يقال جاء فلان نفسه ولا يقال أتى فلان نفسه ، ثم كثر ذلك حتى استعمل أحد اللغتين في موضع الآخر) (١٠٦) .

(٩٩) الفروق اللغوية : ص ٦١

(١٠٠) سورة التوبة آية ٨٢

(١٠١) الفروق اللغوية : ص ٦٢

(١٠٢) نفسه : ص ١٢٢

(١٠٣) نفسه : ص ٢٢٦

(١٠٤) نفسه : ص ٢٢٩

(١٠٥) نفسه : ص ٢٥٢

(١٠٦) نفسه : ص ٢٥٥

وعلى هذا النحو يجرى العسكري في مجمل الفروق التي ذكرها بين الالفاظ ويبدو انه معتدل في هذه المسألة قياسا الى ابن قتيبة الذي ذكر الفروق بين الالفاظ المتقاربة تبعا لاصلها وعد استعمالها بخلاف ذلك لعنا او خطأ ، على حين نجد العسكري يفرق بينها بحسب الاصل ايضا ولكنه يشير من بعد ذلك الى التوسع في معانيها لكثرة الاستعمال ، ولا يمدد خطأ حراحة .

٤ - لم يقتصر العسكري على فرق واحد بين اللفظتين احيانا اذ نجده يذكر عدة فروق بينها ، وربما ذكر فرقا ثم تفاه او استضعفه ، واثبت فرقا آخر ، وقد يذكر عدة فروق ويرجع احدها على سواها (١٠٧) وهذا يدل على أن ليست جميع الفروق التي ذكرها موضع اتفاق حتى عند المفرقين أنفسهم .

د - اولى العسكري عناية كبيرة بذكر الفروق بين الفاظ المتكلمين ومصطلحات المناطقة والفقهاء . وقد اشار الى هذا الامر في مقدمة كتابه (١٠٨) . وبليغة الالفاظ التي فرق بينها تدل على ذلك نحو : الاسم والحد ، والحد والحقيقة ، والحد والرسم ، والحقيقة والذات ، والمتكلم والكلماتي ، والمحال والمتنع ، والمحال والتناقض ، والتضاد والتناقض ، والتسائي والتضاد ، والدلالة والدليل والاستدلال ، والملة والدلالة ، والملة والسبب والشرط ، والقياس والاجتهاد . والحياة والروح ، والروح والمنهجة والنفس والذات ، والتقديم والعتيق والباقي والدائم ، والفرد والواحد والوحدانية ، والواحد والوحيد والوحدة والوحدانية وما الى ذلك (١٠٩) .

وكثيرا ما يتسل باقوال المتكلمين والفلاسفة والفقهاء وآرائهم في فروقه ،

(١٠٧) تنظر امثلة ذلك في الصفحات

(١٠٨) الفروق اللغوية : ص ٧

(١٠٩) نفسه : الصفحات : ٢٠-٢١ ، ٢٤ ، ٢١-٢٢ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٦ ، ٨٢-٨٣ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ٢٠٤ ، ٢٤٢ .

وقد يذكر أحيانا أقوال الأطباء في التفرقة بين بعض الالفاظ التي تناولها (١١٠) .
وبهذا يكون المكري قد تجاوز كثيرا في فروقه الدلالة اللغوية الى غيرها
ما يراه اصحاب المنطق واهل الفقه والطب . ولا غرو ان يفرق هؤلاء بين
الفاظهم ومصطلحاتهم الخاصة تبعا لنظرتهم وطبيعة علومهم ، التي لا بد فيها
من تحديد الدلالة ودقتها ، ولكن يبدو لنا ان من غير المناسب اتمام ذلك في
كتاب اسمه « الفروق اللغوية » .

٦ - كانت فروق المكري تسم بقلة الشواهد اللغوية ، أو يخلو بعضها
من الشواهد البتة وغالبا ما كان يسل عزو تلك الشواهد الى اصحابها (١١١) .
خلاف لابن قتيبة الذي عزز فروقه بالشواهد الكثيرة ونسبها الى قائلها مع ذكر
من قال بالفروق من اللغويين الاقدمين .

٧ - يلاحظ على مائتة من فروق المكري انها مشوبة بطابع المنطق ويبدو
عليها اثر النزعة الكلامية والمحاكمة العقلية ، حتى ان دارس كتابه لا يكاد
ينهم أحيانا فرقا بينا بين ما أورده من الفاظ وذلك كتفرقه بين السنة والعام ،
والكل والجمع .

٨ - فرق المكري بين التاظر لا يحتاج في مثلها الى تفريق ، فهي
ليست موضع خلاف أو اشكال ، ولم تختلط دلالتها فالفرق بينها واضح ،
وهو اشهر من ان يستدل عليه ، وذلك نحو ، الحين والزمان ، والصفة
والحال ، والكذب والمحال ، والنقر والاعدام ، والعلم والتقليد ، والعلم
والظن ، والارادة والمحبة ، الاستثناء والعطف ، والدمر والمدة (١١٢) .

٩ - استثنى المكري من التفرقة الفاظا ما كانت من لغتين ، سواء
كانت لغات قبائل عربية « لهجات » ام عربية واعجمية ، وذلك نحو القدر

(١١٠) الفروق اللغوية : ص ٨٢-٨٣ .

(١١١) تنظر امثلة ذلك في الصفحات :

(١١٢) الفروق اللغوية : ص

بالبحرية والبرمة الملكية ، والله بالعربية وآزر بالفارسية^(١١٣) . ما يدل على أنه غير منكر للترادف اذا وقع من لغات مختلفة .

١٠ - نلاحظ في فروق المكري شيئا من التعمف والتكلف ومحاولته التماس الفروق حتى وان كانت ضعيفة او ليست بثبت . ويبدو هذا الامر واضحا في طائفة من الالفاظ التي لم يتطع التفرقة بينها ، او وجد صعوبة فيها . كما يبدو هذا ايضا في تردده في القول بالفروق بين جملة من الالفاظ وتجويزه لان تكون بمعنى واحد على الرغم مما ذكره من فروق بينها ، كما في تفرقة بين النعت والصفة ، والختم والرسم ، والسنة والعام ، والكل والجمع^(١١٤) . ويبدو تكلف المكري في التفرقة بين جملة الفاظ من غير ان يذكر شواهد تؤكد صحتها ، على حين نجد ان هذه الالفاظ التي فرق بينها قد وردت في المعجمات وكتب اللغة بمعنى واحد . فمثلا يفرق المكري بين المشيئة والارادة تفرقا غامضا^(١١٥) . وفي اللسان : (المشيئة : الارادة)^(١١٦) ويفرق المكري بين النبا والخبر بكلام طويل^(١١٧) ، وفي اللسان : (النبا : الخبر ، والجمع أبناء ، وان تفلان نبا أي خيرا ... وقد أنباه اياه وبه ، وكذلك نباه ، متعددة بحرف وغير حرف ، أي أخبر)^(١١٨) . كما يفرق المكري بين الناي والبعد^(١١٩) وفي اللسان : (الناي : البعد . ناي ينأي : بعد ، بوزن نعي ينعي : ونأوت : بعدت ، لغة في نأيت ... والعرب تقول : نأي فلان عنى ينأي اذا بعد)^(١٢٠) .

(١١٣) نفسه : ص ١٦

(١١٤) نفسه : ص

(١١٥) نفسه ص ١٠١

(١١٦) اللسان مادة شيئا : ١٠٣/١

(١١٧) الفروق اللغوية : ص ٢٩

(١١٨) اللسان مادة نبا : ١٦٢/١

(١١٩) الفروق اللغوية : ص ١١

(١٢٠) اللسان مادة ناي : ٢٠١-٢٠٠/١٥

ويُفرق المسكري بين اتي وجاء تفريقا غير لغوي « نحوي » ، ثم يعترف باستعمال احدهما موضع الاخر (١٢١) ، وفي اللسان : (المجيء : الاتيان) (١٢٣) وفي مكان آخر منه : (الاتيان : المجيء) (١٢٤) . وفي اصلاح المنطق : (وقد اتيته ، اذا جئت) (١٢٤) . ويفرق المسكري ايضا بين الدهر والعصر (١٢٥) ، على حين يقول ابن السكيت : (والعصر : الدهر) (١٢٦) ، ويقول الفراء ايضا : (العصر والعصر : الدهر) (١٢٧) .

كذلك يفرق المسكري بين النور والضياء (١٢٨) ، ونجد في اصلاح المنطق : (النور : الضياء) (١٢٩) . ويتكلف المسكري فرقا فيما بين السرور والحبور ، وحين ورد الحبور بمعنى السرور في كلامهم حمله على جهة الاستعارة . وقال إن الاصل فيه هو النعمة الحنة (١٣٠) على حين نجد ابن السكيت يقول : (وقد حبره يحبره حبرا ، اذا سره . والحبرة والحبر : السرور . قال الله تعالى : « فهم في روضة يحبرون » (١٣١) . أي يسرون . قال المعجاج : فالحد لله الذي اعطى الحبر) (١٣٢) .

وخلاصة القول في فروق المسكري انها قائمة على النظرة التاريخية الى دلالة الالفاظ ، تلك النظرة التي تثبت بالدلالة الاصلية وترفض التغير

(١٢١) الفروق اللغوية : ص ٢٥٥

(١٢٢) اللسان مادة جيا : ٥١/١ .

(١٢٣) نفسه مادة اتي : ١٣/١٤

(١٢٤) ص ٢٤٢ .

(١٢٥) الفروق اللغوية : ص ٢٢٥

(١٢٦) اصلاح المنطق : ص ٤٢

(١٢٧) نفسه : ص ٩١

(١٢٨) الفروق اللغوية : ص ٢٥٦-٢٥٧

(١٢٩) اصلاح المنطق : ص ١٢٥

(١٣٠) الفروق اللغوية ص ٢٢٠

(١٣١) سورة الروم آية ١٥

(١٣٢) اصلاح المنطق : ص ٢٥٢-٢٥٣

الدلالي الجديد الذي اقتضاه التطور في الاستعمال ، وإن اشار العسكري أحيانا الى هذا التوسع ، إضافة الى ما يشوبها من تعدد في تناول الفروق ، وأثر المنهج المنطقي والطابع العقلي فيها ، وتجاوزه في التفرقة الدلالة اللغوية الى اعتبارات أخرى . ولم يستطع العسكري التفرقة بين الفاظ واعترف بانها سواء من حيث الدلالة على الرغم مما ذكره من فروق بينها . وحين وجد صعوبة في التفرقة بين ألفاظ أخرى تكلف وتعمف . وجاءت طائفة منها خلوا من الشواهد . وليست جميع فروقه موضع اتفاق لدى اللغويين كما رأينا . وقد اشار الشهاب الخفاجي الى هذا الامر حين ذكر ان النزاع وقع في اكثره ، يعني بذلك كتاب الفروق اللغوية .

وفي ضوء هذه الدراسة تظهر لنا العلاقة الوثيقة بين التصنيف في الفروق اللغوية وما ألف من كتب في لحن العامة ، وذلك من حيث الدافع والغرض والمنهج فما الفروق اللغوية في الواقع الابواب من ابواب اللحن في الدلالة ، وقد حوت كتب لحن العامة أبوابا كان الغرض منها التفرقة بين الدلالات وتصويبها تبعاً لحقيقتها في اللغة بسبب استعمال الناس لها بمعنى واحد ، على نحو ما نجده في كتب الفروق . ولهذا فقد كان حربا بالذين درسوا لحن العامة ان يتناولوا كتب الفروق بوصفها ضربا من كتب اللحن .

وهناك كتب أخرى في الفروق مثل تعريفات الجرجاني وكليات العسكري ومصطلحات التهانوي ومفردات ابن البيطار وغيرها . وقد وجدت أن هذه الكتب قد عنيت في الغالب بالتفرقة بين الفاظ هي من قبيل المصطلحات العلمية والفنية ما يختص بمفردات المتكلمين والمناطق والامباء والفلاسفة والاصوليين والفقهاء بغية تحديدها بدقة . وقد عرفت عن الخوض فيها لبعدها عن موضوعنا وعدم عنايتها بالدلالة اللغوية او لعدم اقتصرها على ذلك ، ولكون المصطلحات العلمية والفنية لا بد في دلالاتها من الدقة والتحديد لتكون واضحة المعاني بينة المقاصد عند اصحابها والمعنيين بها .

وقد نحا نحو العسكري من المحدثين في التأليف في الفروق اللغوية السيد

عبدالدين الجزائري في كتابه « فروق اللغات » والمستشرق هنريكوس لامس في كتابه « فرائد اللغة - الجزء الاول في الفروق » فقد ترسما خطأ العسكري في مؤلفيهما من حيث الدافع والغاية والمنهج ، وسيا كتابيهما تسمية ماثلة لتسمية كتاب العسكري . معولين على ما جاء فيه وعلى كتاب ابن قتيبة ، وما جاء عن القدامى من تفرقة بين الالفاظ المتقاربة في المعنى . كما نقلا عن كتاب تعريفات الجرجاني وكليات العسكري ومصطلحات التهانوي ومتردات ابن اليطار ، فخلطوا بين الفروق اللغوية والمصطلحات والالفاظ العلمية والتنية وأسرفا في ذلك حتى حشرا فيها كثيرا من المصطلحات الخاصة بالعلوم وفرقا بينها (١٣٣) .

وقد وجدت ان هذين الكتابين مجرد نقول عن الف في الفروق اللغوية والمصطلحات العلمية والفنية ممن ذكرناهم آثما ولم ياتيا بشيء جديد يستحق الدراسة والتحليل .

نماذج في الفروق :

بنية معرفة حقيقة الفروق اللغوية وطبيعتها ستعرض لدراسة جملة الفاظ كان قد اختلف فيها اللغويون ، فمنهم من قال بترادفها ، ومنهم من افكر ذلك . وهنا نحاول ان تبين حقيقة هذا وسبب نزاعهم حول دلالة هذه الالفاظ ، موضحين اثر التطور الدلالي في هذا الخلاف ، ومفصلين القول فيه .

١ - قعد وجلس : ذهبت طائفة منهم الى انها بمعنى واحد ، وذهب آخرون الى ان في « قعد » معنى ليس في « جلس » وذلك ان القعود انما

(١٣٣) وذلك نحو تفرقة الجزائري بين الابدى والازلي ، والواحد والاحد والمتوحد ، والبدن والجسد ، والخوف والكسوف ، والخلود والدوام ، والسبب والملة ، والصد والتقيض ، والفرد والمتفرد ، والكل والكلبي ، وما شاكل ذلك . ينظر : ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٥٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٦ . ونحو هذا مما جاء في فرائد اللغة : الجزء الاول في الفروق ص : ٢-٣ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٧٩ ، ١٦٩ .

« يكون عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس كالنوم والسجود ، لان
الجلس المرتفع ، فالجلوس ارتضاع عما دونه » هكذا فرق ابن فارس
- ت ٣٩٥ هـ - بينهما في حوارته مع الذين قالوا بترادفهما (١٣٤) . وقد فرق
بعضهم بينهما بفرق آخر هو ان القعود ما تعقبه لبث بخلاف الجلوس ، ولهذا
يقال قواعد البيت دون جواله للزومها ، وهو جليس الملك دون قيده
لانه يحمد منه التخفيف ، ولذا قيل مقعد صدق لانه لازوال له (١٣٥) . وأما
الراغب الاصمغاني فقد ذكر ان : (أصل الجلس الغليظ من الأرض وسي
التجد جلسا لذلك ... وجلس أصله ان يقعد بتعده جلسا من الأرض ثم
جعل الجلوس لكل قعود والمجلس لكل موضع يقعد فيه الانسان) (١٣٦) .
وفي صحاح الجوهري - القرن الرابع الهجري - : (قعد ... أي جلس) (١٣٧)
وكذا في اللسان (١٣٨) . وفيه أيضا : (الجلوس : القعود) (١٣٩) .

وقد ذكر الحريري - ت ٥١٦ هـ - ان الناس يستعملونها من غير
فرق، واختار القول بالترق بينهما، معولا في ذلك على ما حكاه الخليل بن أحمد - ت
١٧٥ هـ - ان يقال لمن كان قائما أقعد ولمن كان نائما او ساجدا اجلس (١٤٠) .
فما كان من الشباب الخفاجي - ت ١٠٦٩ هـ - الا ان رد عليه ذلك وقال
بترادفهما ، مستشهدا بالحديث الشريف وكلام العرب النصحاء (١٤١) . وقد
ذهب مذهب الحريري ابن هشام اللخمي - ت ٥٧٧ هـ - حيث اختار القول

-
- (١٣٤) الصحابي : ٩٦-٩٧ .
(١٣٥) الاثقان في علوم القرآن للسيوطي : ١٩٥/١ وشرح درة النواص الخفاجي :
١٨٧
(١٣٦) المفردات في غريب القرآن : ٩٤
(١٣٧) الصحاح مادة قعد : ٥٢٢/١
(١٣٨) مادة قعد : ٣٥٧/٣ .
(١٣٩) مادة جلس ٢٩/٦
(١٤٠) درة النواص في اوهام الخواص : ٨٨
(١٤١) شرح درة النواص : ١٨٧

بالفرق بينهما على ما حكاه الخليل أيضا ، بعد أن ذكر أن أهل الأندلس لا يفرقون بينهما في القرن السادس الهجري (١٤٢) . كما ذكر ابن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ - أن عامة بغداد في القرن السادس الهجري لا يفرقون بين جلس وقعد ، فخطأهم في ذلك ورأى الصواب في التفرقة بينهما (١٤٣) . وأما عبد اللطيف البغدادي - ت ٦٢٩ هـ - فقد اتبع الرأي القائل بالفرق بينهما أيضا ، بيد أنه علل استعمال الكلمتين بمعنى واحد بالمجاز لغرض التعظيم كما يقول المستمل للسمالي : « تعال مكان هلم » (١٤٤) .

ومن هذا كله نرى أن التفرقة بين قعد وجلس التي قال بها بعض اللغويين أنا ترجع إلى المعنى القديم ، وذلك بدلالة نسبتها إلى الخليل وما ذكره الراجب الأصفهاني من الفرق بينهما بحسب الأصل ثم استعمالها بمعنى نتيجة التوسع . وبدلالة قول الشهاب الخفاجي : (مع أن الفرق لم سلم فأنما هو بحسب الأصل ومقتضى الاشتقاق ولتقارب معنيهما وقع كل منهما موقع الآخر وشاع حتى صار حقيقة عرفية) (١٤٥) . ويبدو أن الذي سجله الجوهري هو المعنى الجديد ، وأن قيل أنها مترادفات في الأصل إذ صارت الكلمتان بعد ذلك بمعنى واحد بسبب التوسع ، أي بتعميم دلالة الجلوس بحيث تشمل من كان قائما بعد أن كان يقال له : أقعد . ونتيجة هذا التطور في المعنى والتوسع فيه جاز إطلاق الكلمتين بعضهما على بعضهما الآخر من غير فرق ، وجرى الاستعمال بسا مترادفتين كما نص على ذلك الجوهري والراجب الأصفهاني وصاحب اللسان وسجله أصحاب كتب لحن العامة الذين أنكروا هذا التغير الدلالي وحافظوا على الاستعمال القديم وتسكوا بالدلالة الأصلية . وعلى هذا

(١٤٢) المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان : ورقة ٦٨ ب = عن لحن العامة

في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ص ١١٥

(١٤٣) تقويم اللسان : ٩٢

(١٤٤) ذيل نصيح ثعلب : ص ١٢ = فمن كتاب نصيح ثعلب والشروح التي عليه .

(١٤٥) شرح نرد الفواص ١٨٧ .

نوجه الفرق بينهما ونشر ترادفهما ويميز ذلك ما ذهب اليه باحثان من
المحدثين في دراستهما لحن العامة (١٤٦) .

٣ - مائدة وخوان : جاء في اللسان : ماد الشيء سيد : زاغ وزكا ؛
ومدته وأمدته : أعطيته . . . والمائدة : الطعام تشه وان لم يكن هناك
خوان (١٤٧) ، مشتق من ذلك ، وقيل : هي نفس الخوان ، قال الفارسي :
لا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام والا فهي خوان . . . وقيل ان المائدة من
العطاء . . . والمتاد : المطلوب منه العطاء . . . وهو المتعطى المسؤول ؛
ومنه المائدة ، وهي خوان عليه طعام . . . وقال ابو اسحق : الاصل عندي في
مائدة اما فاعلة من ماد سيد اذا تحرك فكأنها سيد بما عليها اي تحرك ،
وقال ابو عبيدة : سميت المائدة لانها ميد بها صاحبها أي اعطيا وتفضل
عليه بها . والعرب تقول : مادني فلان يميدني اذا أحسن اليّ . . . وقال
الجرمي . . . مادهم يميدهم اذا زادهم ؛ ولذا سميت المائدة مائدة لانه يزداد
عليها . . . (١٤٨) وفيه ايضا : (والخوان والخوان : الذي يؤكل عليه ،
معرب . . . الليث : الخوان المائدة ، معربة .) (١٤٩) وفي مفردات الراغب
الاصنهباني : (والمائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال لكل واحدة منهما
مائدة . ويقال مادني يميدني أي اطعمني وقيل يعشيني . . .) (١٥٠) وقد ذكر

(١٤٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . د . مطر : ١٩٦ ،
٢٨٥ . و لحن العامة والتطور اللغوي د . التواب : ٢١٧ .

(١٤٧) اختلف في حقيقة الخوان والصحيح انه معرب على قول اكثرهم انظر :
لسان العرب مادة خون : ١٤٦/١٣ وجمهرة اللغة : ٢٤٤/٢ ، ٢٤٠/٣ .
والعرب للجواليقي : ١٢٩ - ١٣٠ وشفاء الغليل للخفاجي : ١٢٢ .
وقال ادب شير : الخوان والاخوان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ؛
تعريب خوان واصل معناها الطعام والوليمة . الاغاظ الفارسية
المعربة : ٥٨ .

(١٤٨) لسان العرب مادة ميد : ٤١١/٣ وانظر : اصلاح المنطق ١٠٦ ، ١٧٤
والصالح مادة ميد . ٥٣٨/١ .

(١٤٩) لسان العرب مادة خون : ١٤٦/١٣ .

(١٥٠) المفردات في غريب القرآن : ٤٩٥ .

ابن فارس ان المائدة لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام . لان المائدة من مادني ييدني اذا اعطاك ، والا فاسمها خوان (١٥١) .

نرى في هذه النصوص اختلاف اللغويين في اشتقاق المائدة واثار ذلك في التفرقة بينها وبين الخوان . فحجة الذين قالوا بالفرق بينهما هي ان المائدة من مادك ييدك بمعنى اعطاك او اطعمك او زادك وما شاكل ذلك ، وهي لا تيد الا اذا كان عليها طعام . ولو جعلنا اشتقاقها من ماد ييد بمعنى تحرك على رأى بعضهم ، لذهبت هذه العلة في التثريق بينهما (١٥٢) . وعلى هذا يكون الفرق الذي ذكروه تبعا للعلة في التسمية يقتضى ذلك الاشتقاق ، وهذا ما لم يلحظه الذين قالوا ان المائدة نفس الخوان . ويبدو ان التفرقة بينهما هي الاحل وذلك بدلالة الاشتقاق وذهاب اكثر اللغويين الاقدمين اليها . على ان الاستعمال لم يحفل في الغالب بهذه التفرقة وسوى بينهما من حيث الدلالة ، وان تثبت معظم اللغويين بالفرق بينهما . فقد ذهب احمد بن فارس (١٥٣) وابو هلال العسكري (١٥٤) والثعالبي (١٥٥) وابو سهل الهروي (١٥٦) والحريري (١٥٧) وابن الجوزي (١٥٨) وغيرهم ، الى القول بالفرق بينهما وهو ان المائدة لا تسمى كذلك الا اذا كان عليهم طعام ، والا فاسمها خوان . وقد ذكر قسم من هؤلاء ان الناس يستعملونها دون تفرقة ، فعدهم خطأ بسبب تعلقهم بذلك الفرق الذي يرجع الى الدلالة القديمة . يقول الحريري على سبيل المثال : (ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة ، والصحيح ان يقال

(١٥١) الصاحبى : ٩٨ .

(١٥٢) وهذا ملاحظه ايضا المرحوم علي الجارم : مجلة مجمع اللغة العربية الملكى الجزء الثانى ص ٩٨ سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥ م . القاهرة .

(١٥٣) الصاحبى : ٩٨ .

(١٥٤) الفروق اللغوية : ٢٥٨ .

(١٥٥) فقه اللغة وسر العربية : ٥٠ .

(١٥٦) التلويح في شرح الفصحى : ٥٠ - فمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التى عليه .

(١٥٧) درة النواصى فى اوهام الخواص : ١٠ .

(١٥٨) تقويم اللسان : ١٢٠ .

له خوان الى ان يحضر عليه الطعام فيسئ حينئذ مائدة) . على حين لم يفرق صاحب المسلسل بين الدسيعة والمائدة والخوان^(١٥٩) . ونحن لا نذكر ذلك الفرق بين المائدة والخوان ، بيد ان هذا الترق قد ضاع ولم يعد ملحوظا في الاستعمال بسبب التطور الدلالي ، اذ صارت الكلمتان بمعنى واحد ، وذلك على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون ، اي ما سيؤول اليه الخوان من وضع الطعام عليه ، الى مائدة . يقول الشهاب الخناجي حول اطلاق المائدة على الخوان في رده على الحريري : (لا مانع من اطلاقه عليه باعتبار انه وضع عليه او سيوضع هذا مجازا والامر في مثله سهل)^(١٦٠) وهذا توجيه شديد وبه تفسر استعمال الكلمتين بمعنى واحد . وقد فسر الدكتور مطر هذا الاستعمال بالتطور الدلالي ايضا ولكنه جعله من باب تميم الخاص^(١٦١) ، ونرى ان تفسيره بالمجاز المرسل باعتبار ما سيكون أصوب من ذلك . لوضوح العلاقة المجازية بين المدلولين ، اذ لا شك ان الخوان من شأنه ان يوضع عليه الطعام ، وبدلالة قول الخناجي السالف . ونرى ان القرار الذي اتخذته مجمع اللغة العربية في القاهرة بعدم التثريق بين المائدة والخوان^(١٦٢) قد جاء مصوفا لما يبيانه من كثرة استعمالها بمعنى واحد وعدم احتفال الناس بالترقة بينهما .

٣ - الفيث والمطر : ومن الالفاظ التي نجد اللغويين يختلفون فيها من حيث الدلالة : الفيث والمطر . فقد ذهب أكثر اللغويين الى انها سواء . يقول ابو زيد الانصاري - ت ٢١٥هـ - ان (الفيث إسم للمطر كله)^(١٦٣) ويقول

(١٥٩) المسلسل في غريب لغة العرب . محمد بن يوسف التميمي : ٧٦ .

(١٦٠) شرح درة الفواص : ٢٨ .

(١٦١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٩٧ وتقويم اللسان . ٦٦ - ٦٧ .

(١٦٢) مجلة مجمع اللغة العربية اللكي ج ٢ ص ٩٨ سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥ م .

(١٦٣) كتاب المطر لابي زيد الانصاري ص ١٠٤ = ضمن البلغة في شذور اللغة

الجوهري : (الغيث : المطر) (١٦٤) . وفي اللسان : (الغيث : المطر والكلاب ، وقيل : الاصل المطر ، ثم سمي ما ينبت به غيثا) (١٦٥) . والثقة منهم يفرقون بينها ، وهذا ما يتصل فيما نقله الثعالبي - ت ٤٣٠ هـ - عن بعض اللغويين . القدامى قولهم بان المطر اذا جاء عقب المحل أو عند الحاجة اليه ، فهو : الغيث (١٦٦) . وقد ذكر الجاحظ - ت ٢٥٥ هـ - ان القرآن لا يلفظ بالمطر الا في موضع الانتقام ، وان العامة واكثر الخاصة لا يتصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث (١٦٧) . ويبدو ان الجاحظ قد وهم في ذلك اذا ان الذي ذكره اللغويون والمفسرون انما هو الترق بين مطر وأمطر ولم يعنوا بهذا ، الفرق بين الغيث والمطر كما ذكر الجاحظ . وحتى هذا الترق بين مطر وأمطر غير مطرد وليس مسلما به عند جميع اللغويين والمفسرين . فهو مردود على رأى طائفة منهم بان امطر ومطر بمعنى ، وان امطر قد جاءت في الخير في اللغة والقرآن المجيد ، وفي هذه المسألة خلاف طويل (١٦٨) .

وأما كتب التفسير ، فقد ذكر الراجب الاصفهاني ان الغيث يقال في المطر وفسر الغيث بالمطر في قوله تعالى : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) (١٦٩) ثم استشهد بقول الشاعر : « ذى الرمة » :

سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح اتجمي بلا (١٧٠)

(١٦٤) الصحاح مادة غيث : ٢٨٩/١ .

(١٦٥) مادة غيث : ١٧٥/٢ .

(١٦٦) فقه اللغة وسر العربية : ٢٧٨ .

(١٦٧) البيان والتبيين : ٢٠/١ .

(١٦٨) انظر تفصيل ذلك في : لسان العرب مادة مطر : ١٧٨/٥ والصحاح مادة

مطر : ٨١٨/٢ ومفردات الراجب الاصفهاني : ٧١٢ طبعة مصر .

والكشف للزمخشري : ١٢٦/٢ والانتصاف للامام احمد بن النير

الاسكندر المطبوع بديل الكشاف : ١٢٦/٢ وتفسير القرطبي : ٨٨/٩

و٢٠٥/١٦ وفقه اللغة وسر العربية : ٢٧٥ وشرح درة الغواص للخفاجي :

١٢٣ ودرة الغواص : ٤٨ . والمزهر : ٢٩٠/٢ .

(١٦٩) سورة الحديد آية ٢٠ .

(١٧٠) المفردات في غريب القرآن : ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ٥٥٠ طبعة مصر

كذلك لم نجد أية تفرقة بينها في تسمية الزمخشري باستثناء الفرق الذي ذكره بين مطر وامطر ، ردا على من قال : مطر في الخير ، وامطر في الشر وتوهم انها تفرقة ونسبة (١٧١) . وقد نسر القرطبي الغيث بالمطر ثم حكى الفرق بينهما على رأى بعضهم ، فهو يقول في قوله تعالى : (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) (١٧٢) : (والغيث المطر ، ويسمى الغيث غيثا لانه يغيث الخلق .. والغيث ما كان نافعا في وقته ، والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته وغير وقته ، قاله الماوردي) (١٧٣) . وفي مكان آخر نسر القرطبي الغيث بالمطر دون فرق وذلك في قوله تعالى : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته) . حيث قال : « كمثل غيث » أي مطر (١٧٤) .

وفيا يتعلق باصحاب كتب لحن العامة وغيرهم فقد ذكر ابن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ - ان أهل بغداد في عصره لا يفرقون بين الغيث والمطر ، اي يعدونها مترادفة . وقد خطأ ابن الجوزي ذلك الاستعمال متبعا للرأي القائل بان الغيث ما جاء في أيامه والمطر ما لم يكن في أيامه (١٧٥) .

وقد سبقت الاشارة الى ملاحظة الجاحظ اللغوية بأن أكثر الناس لا يفتلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث . ولم يخطئ ، هذا ، بل عزاه الى خفة اللفظ . وقد سابقا قدامة بن جعفر - ت ٣٣٧ هـ - دون تفرقة (١٧٦) .

فاذا وجدنا الكثرة من العلماء ينصون على انها بمعنى واحد وهؤلاء المنصرون لا يفرقون بينها ، وان الناس يستعملون هذه الالفاظ مترادفة بشهادة الجاحظ وابن الجوزي ، قلنا بترادف هذه الالفاظ وان التفرقة بينهما ضعيفة جدا . وهي في الواقع رأى لبعض اللغويين ، ولا يمكن التحويل على

- (١٧١) الكشاف ١/٥٦٠ ، ١٢٦/٢ ، ٢٢٤/٤ ، ٣٠٧ - ٣٠٨ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ .
(١٧٢) سورة الشورى آية : ٢٨ .
(١٧٣) الجامع لاحكام القرآن : ٢٨/١٦ - ٢٩ .
(١٧٤) المصدر السابق : ١٧/٢٥٥ .
(١٧٥) تقويم اللسان : ١٦٢ .
(١٧٦) جواهر الالفاظ - لقدامة بن جعفر : ٤٤٤ .

ما نقله الثعالبي عنهم ، لأن الرجل ليس باللغوي الذي يشهد له امثال ابي زيد الانصاري والجوهري والراغب الاصفهاني والزمخشري وابن منظور وغيرهم . ويبدو ان القائلين بالفرق بينها يلحظون الاصل الاشتقاقي للكلمة ، فيرون في الغيث معنى الاغائة . ولا يابيه الاستعمال اللغوي العام بهذا الفرق ولا يراعيه . ولو سلمنا بالفرق الذي ذهبوا اليه ، فيمكن تفسير ترادفهما بتطور الدلالة على سبيل تعميم الخاص ، أي بتعميم دلالة الغيث . والى مثل هذا ذهب الدكتور مطر (١٧٧) .

٤ - الآل والسراب : اختلف اللغويون كثيرا في دلالة الآل والسراب ، حيث ذهب بعضهم الى انها بمعنى واحد ، وقال آخرون بالتباين فيهما . جاء في اللسان : (السراب : الآل ، وقيل : السراب الذي يكون نصف النهار لامنا بالارض ، لاحتا بها ، كأنه ماء جار . والآل : الذي يكون بالضحى ، يرفع الشخوص ويذهاها ، كاملا بين السماء والارض . . . الاصعي : الآل والسراب واحد ، وخالفه غيره ، فقال : الآل من الضحى الى زوال الشمس ، والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر ، واحتجوا بان الآل يرفع كل شيء حتى يصير آلا أي شخصا ، وان السراب يخفض كل شيء حتى يصير لازقا بالارض ، لا شخص له . وقال يونس : تقول العرب : الآل من (١٧٨) غدوة الى ارتفاع الضحى الاعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم . ابن السكيت : الآل الذي يرفع الشخوص ، وهو يكون بالضحى ، والسراب الذي يجرى على وجه الارض ، كأنه ماء ، وهو نصف النهار ، قال الأزهري : وهو الذي رأيت العرب بالبادية يتولونه) (١٧٩) . وفي مكان آخر من اللسان : (الآل : السراب ، وقيل : الآل هو الذي يكون ضحى كاملا بين السماء والارض يرفع الشخوص

(١٧٧) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ٢٨٤ ومقدمة تقويم اللسان : ٦٨

(١٧٨) وفي مكان آخر مد بدلا من : « من » اللسان مادة اول : ٢٦/١١

(١٧٩) اللسان مادة سرب : ٢٦٥/١ - ٢٦٦

(١٨٠) للاعشى ديوانه ص ١٠٢ .

ويزهاها ، فاما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطنا بالارض كأنه ماء جار ، وقال ثعلب : الآل في اول النهار ، وانشد (١٨٠) :

اذ يرفع الآل رأس الكلب فارتعنا ...

وفي حديث قس بن ساعدة : قطعت مهمها والا فالآل . الآل : السراب ، والمهمة القتر ... الجوهرى : الآل الذي تراه في اول النهار وآخره كأنه يرفع الشخص وليس هو السراب) (١٨١) .

وقد فرق بينهما ابو هلال العسكري بان : الآل هو الشخص الذي يظهر لك من بعيد ، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحارى ، وهو غير السراب وانما السراب سبخة تطلع عليها الشمس ، فتبرق كأنها ماء ، والآل شخص يرتفع في الصحارى للناظر وليت بشيء ، وقيل الآل من الشخص ما لم يشبهه ، وقال بعضهم الآل من الاجسام ما طال ولهذا سمي الخشب آلا . (١٨٢) وفي مفردات الراغب الاصفهاني : (وآل الشيء شخصه المتردد ... وقيل لما يبدو من السراب : آل وذلك لشخص يبدو من حيث المنظر وان كان كاذبا ، أو لتردد هواء وتسوج فيكون من آل يؤول) (١٨٣) وفي مكان آخر : (والسراب : اللامع في المغازة كالماء ، وذلك لانسرابه في مرأى العين .

وكان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة . قال تعالى : « كسراب بقيعة يحبه الظمآن ماء » (١٨٤) . وقال تعالى : « وسيرت الجبال فكانت سرابا » (١٨٥) (١٨٦) وقد فسّر الزمخشري السراب في الآية الاولى بقوله :

(١٨١) اللسان مادة اول : ٣٦/١١ - ٣٧ وقد وردت هنا نصوص مكررة لما جاء في النص السابق في مادة سرب مع شيء من الاختلاف اليسير في بعض الالفاظ الذي لا يؤثر على المعنى تحلقتها والبت الزيادة وبعض التكرار الذي يقتضيه السياق .

(١٨٢) الفروق اللغوية : ١٢١ ، ٢٢٢

(١٨٣) المفردات في غريب القرآن : ٣٨ . طبعة مصر

(١٨٤) سورة النور آية : ٣٩

(السراب : ما يرى في الغلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة . يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجري .) (١٨٧) وفي تفسير الثانية قال (« فكانت سرايا » كقوله : « فكانت هباء منبأ » (١٨٨) يعني انها تصير شيئا كلاشيء ، لتفرق اجزائها وانبات جواهرها .) (١٨٩) واما القرطبي فقد قال في تفسير الاولى (١٩٠) : (والسراب : ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر ، كالماء في المناوز يلتصق بالارض . والآل الذي يكون ضحى كالماء الا انه يرتفع عن الارض حتى يصير كأنه بين الارض والسماء . وسمي السراب سرايا لانه يسرب أي يجري كالماء ويسمى الآل ايضا ، ولا يكون الا في البرية والحر فيفتربه المطشان . قال الشاعر (١٩١) :

فكنت كخريق الذي في سقائه لرقراق آل فوق رايية صلد
وقال آخر :

فلما كفنا الحرب كانت عهودهم كلسع سراب بالأملا متالق
وقال امرؤ القيس :

فسيهتيم في الآل لما تكمشوا حدائق دوم أو سفينا مقيرا
وفي تفسير الثانية قال القرطبي : (أي لا شيء كما ان السراب كذلك ، يظن الرائي ماء وليس بماء) (١٩٢) .

(١٨٥) سورة النبا (عم) آية ٢٠ .

(١٨٦) المفردات في غريب القرآن : ٢٣٥ طبعة مصر .

(١٨٧) الكشاف : ٢٤٢/٢ .

(١٨٨) سورة الواقعة آية ٦ .

(١٨٩) الكشاف : ٦٨٨/٤ .

(١٩٠) الجامع لاحكام القرآن : ٢٨٢/١٢ .

(١٩١) هو العديل العجلي كما في الاقتضاب : ١١١ وقد ورد فيه : صلدا بدلا من صلدا .

(١٩٢) الجامع لاحكام القرآن : ١٧٦/١٩ .

وفيسا يتعلق بالذين القوا في لحن العامة ، فقد ذكر ابن تيبة - القرن الثالث الهجري - أن الناس في عصره لا يكادون يفرقون بين الآل والسراب . فخطأهم في ذلك ورأى الصواب في التفرقة بينهما (١١٣) . ولا ندرى كيف يكون هذا من اللحن ، والآل والسراب واحد بنص الاصمعي الذي كان قد عول عليه ابن تيبة كثيرا في القول بالتخطئة والصحة اللغوية كما ذكرنا سابقا .

وقد تابع الجواليقي ابن تيبة في التفرقة بينهما . (١١٤) غير أن لابن السيد البطليوسي موقفا آخر ما ذكره ابن تيبة ، اذ رد عليه ذلك بقوله : (هذا الذي قاله قد قاله غيره ، وانكار من أنكر أن يكون الآل السراب من أعجب شيء سمع به ، لأن ذلك مشهور معروف في كلام العرب الفصح . فمن ذلك قول امرئ القيس ... وقال العديل العجلي ... (١١٥) وقال الاحوص لكثير :

فكنت كمهريق الذي في سقائه لضحاح آل باللا يترقق (١١٦)

وهكذا يتبين لنا بجلاء من هذا العرض للكلمتين ومتابعتها في معجمات اللغة وكتب التفسير واللحن ، مدى الخلاف فيها والمتمثل بهذا التناقض في التسوية والتفرقة بينهما . ونلاحظ في هذا الجدل الكثير مدى الخط والتداخل في دلالة الكلمتين ، فالراغب الاصفهاني والقرطبي قد ذكروا أن السراب يسمى الآل أيضا على الرغم من ذكرهما للفرق بينهما . كما نجد أن القائلين بالتفرقة ليسوا متفقين على فرق واحد بعينه ، وعلى حجة دون سواها فالعسكري والراغب الاصفهاني لم يخصا حدوث السراب ولا الآل بوقت محدد . في حين اقتصر بعضهم على اختلاف تحديد وقت حدوثهما كثعلب . ناهيك عن

(١١٣) أدب الكاتب : ٢٨-٢٩ .

(١١٤) شرح ادب الكاتب : ١٣٣

(١١٥) ورد ذكرهما في نص القرطبي السابق فاستغنيت عن ذكرهما هنا .

(١١٦) الاقتضاب في شرح ادب الكاتب : ١١١ .

ان حجة بعضهم لم تكن واضحة قوية . على انا مع هذا نلاحظ ان اكثر اللغويين يقولون بالترقة كما مر بنا ، ولعل اقوى حجة ذكروها للتدليل على ذلك ، نجدها مثثلة بنص الازهري : (وهو الذي رأيت العرب بالبادية يقولونه .) يعني بذلك استعمال الآل والراب على ما حكاه ابن السكيت من الفرق بينهما .

ونستج من هذا الخلاف الطويل ان اللفظتين في الواقع هما من الألفاظ المتقاربة جدا في المعنى ، فالفرق الذي ذهبوا اليه قريب ، ويتصل بحقيقتهما في اللغة ، فهما متحدان في الدلالة اذ ان كليهما لا شيء ، الا ان هذا يبدو كالشخص وذلك يبدو كالماء على رأي ، أو ان كليهما كالماء الا ان الراب ملتصق بالارض والآل مرتفع عنها على رأي آخر ، أو ان كليهما كذلك ، الا ان الآل في اول النهار والراب يكون في منتصفه ، على رأي ثالث . وأيا كان وجه الفرق فهما متحدان في الدلالة العامة من حيث ان الراب في حقيقة الامر لا شيء والآل كذلك . ولهذا جاز اطلاق احدهما على الآخر ووقع موقعه ، فجرى بهما الاستعمال بمعنى واحد ، دون الثبات او مراعاة لتلك الفروق الدقيقة بينهما . والموع لهذا الاستعمال هو التطور الدلالي ، نتيجة هذا التقارب الشديد بين معنيهما ، وذلك على سبيل تعميم دلالة كل منهما بحيث ترادف الاخرى . وعلى هذا ، تكون الترقية بينهما بحسب الاصل بدلالة نسبة الفروق الى اكثر اللغويين القدامى فاقدم هؤلاء يونس بن حبيب - ت ١٨٢ هـ - وبدلالة حجة المفرقين أن الآل في اللغة هو الشخص ، وآل كل شيء : شخصه . بيد اننا لا نستطيع ان نحدد بالتمام زمان ترادفهما او مكانه ذلك أن كتب اللغة لا تغير الى استعمال الالفاظ مفيدة بحسب الزمان والمكان والبيئة المعينة . غير ان هذا الاستعمال قديم على ما يبدو بدلالة قول الاصمعي الآنف الذكر . وكل ما نستطيع قوله في هذا الخلاف ان بعض العرب كانوا يستعملون هذه الالفاظ متباينة على حين كان بعضهم يستعملونها مترادفة ولكن متى واين ، هذا ما لا نعلمه باستثناء القول بترجيح التباين على الترادف

من الناحية التاريخية كما ذكرنا . ولا شك ان زمان الاستعمال الاول او مكانه هو غير زمان الثاني او مكانه . ولهذا ربما كان لتفاوت الذين اخذ عنهم اللغويون ، من حيث الزمان والمكان والبيئة ، اثر في القول بترادف هذه الالفاظ او التفرقة بينها ، وهذا ما نرجحه في تمييز الخلاف بشأن هذه الالفاظ ونظائرهما ، ونمزو اليه سبب خلافهم فيها من حيث التباين والترادف .

٥ - الظل والنسيء : وقع نزاع بين اهل اللغة حول دلالة الظل والنسيء ، هل هما بمعنى واحد ، أم ثمة فرق بينهما ؟ قيل انهما مترادفان ، وقيل ان الظل غير النسيء . ويتلخص هذا الخلاف ، كما ورد في معجمات اللغة وكتب الفروق والتفسير واللحن ، في ان الظل يكون بالعداء الى الزوال ، والنسيء بعد الزوال (يقال : تعدنا في الظل ، وذلك بالعداء الى الزوال ، وما بعد الزوال فهو النسيء)^(١٩٧) وفي نصيح ثعلب : الظل بالعداء والنسيء بالعشي . وقد روى ثعلب حكاية ابي عبيدة عن رؤبة بان كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه نيو فيء وظل ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل^(١٩٨) . وعلى هذه التفرقة كثير من اهل اللغة . وهم يتشهدون على ذلك بقول حميد بن ثور الهلالي : فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا النسيء من برد العشى تذوق^(١٩٩) وقال ابو الهيثم : كل ما لم تطلع عليه الشمس فهو ظل ، والنسيء لا يدعى فينا الا بعد الزوال اذا فاءت الشمس أي رجعت الى الجانب الغربي ، فما فاءت

(١٩٧) اصلاح المنطق : ١٥٠ ، ٣٢٠ .

(١٩٨) الفصيح وشرحه المسمى التلويح ص ٩٥ = ضمن نصيح ثعلب والشروح التي عليه وحكاية ابي عبيدة من رؤبة جاءت في الصحاح فيا : ٦٢/١-٦٤ . وفي اللسان مادة فيا : ١٢٥/١ كما جاءت مقولة ثعلب دون نسبة اليه ونينا تقديم وتاخير في اللسان مادة ظلل : ٤١٥/١١ .

(١٩٩) ويرى بالنون بدلا من التاء في تستطيعه وتذوق كما في التلويح في شرح الفصيح ص ٩٥ . وفي المصادر الاخرى بالتاء كما في اصلاح المنطق : ٢٢ . والصحاح فيا ٦٢/١ واللسان مادة فيا ١٢٤/١ ومادة ظلل ٤١٥/١١ . وفي شرح درة الغواص للخفاجي نستطيعه بالنون وتذوق جاءت بروق وهو تصحيف فاعل المحقق تصحيحه لان الشاعر هنا يصف سرحة مكنا بها عن امرأة .

منه الشمس وبقي ظلا فهو فيء ، والنيء شرقي والظل غربي ، وانما يدعى
الظل ظلام من أول النهار الى الزوال، ثم يدعى فينا بعد الزوال الى الليل . وأشد
البيت السابق (٢٠٠) . وقال ابن السكيت : الظل : ما نخته الشمس ، والنيء :
ما نسخ الشمس . وقيل : النيء : ما كان شمساً فسخه الظل ، والجمع : أفياء
وفيوء : قال الشاعر :

لعبري ، لأن البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالاصائل

وفي الصحاح : النيء ما بعد الزوال من الظل ، ثم تشل بيت حديد
السابق . وقال : انما سي الظل فينا لرجوعه من جانب ال جانب (٢٠١) . وقيل
ان الظل هو النيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان ،
وقيل : هو مخصوص بما كان منه الى الزوال وما كان بعده فهو النيء . وفي
الحديث : « سبعة يظلهم الله في ظل العرش » أي في ظل رحته وفي حديث
آخر : « السلطان ظل الله في الارض » . لانه يدفع الاذى عن الناس كما
يدفع الظل اذى حر الشمس (٢٠٢) .

وقد احتج القائلون بالترق بانه يقال : ظل الجنة ولا يقال فيؤها ، لان
الشمس لا تعاقب ظلها فيكون هناك فيء ، وانما هي أبدا ظل ، ولذلك قال
عز وجل « أكلها دائم وظلها » (٢٠٣) ، أراد وظلها دائم أيضا (٢٠٤) . وقالوا أيضا :
ولأنه من فاء اذا رجع والظل رجع من جانب المغرب الى جانب المشرق ،
واصل الظل مطلق الستر ، ولهذا اطلق على ظلام الليل وظل الجنة . وقد جاء
في الاثر عن امي هريرة ان الرسول (ص) قال : (ان في الجنة لشجرة يسير
الراكب في ظلها مائة عام فما ينقطع ، اقرؤا ان شئتم . « وظل سدود » (٢٠٥) .

(٢٠٠) اللسان مادة ظلل : ٤٥١/١١ - ٤١٦ .

(٢٠١) اللسان مادة فيا : ١٢٤/١ - ١٢٥ والصحاح مادة فيا : ٦٣/١ - ٦٤ .

(٢٠٢) اللسان مادة ظلل : ٤١٩/١١ .

(٢٠٣) سورة الرعد آية ٣٥

(٢٠٤) اللسان مادة ظلل : ٤١٥/١١ - ٤١٦ .

(٢٠٥) سورة الواقعة آية ٣٠

قالوا والملة فيما ذكرناه ان النسيء سمي بذلك لانه فاء عند زوال الشمس من جانب الى جانب أي رجع ومعنى الظل الستر ومنه اشتقاق المظلة لانها تتر من الشمس وبه أيضا سمي سواد الليل ظلا لانه يتر كل شيء ، فكان اسم الظل يتبع على ما يتر من الشمس وعلى ما لا تطلع عليه . وقيل في ظل الليل بمعنى سواده ، انه استعارة لأن الظل في الحقيقة هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل . وأما قوله (ص) : « اللطان ظل الله في الأرض » فالمراد به ستره السابغ على عباده المنسدل على بلاده (٢٠٦) .

ونجد ان التائلين بالترفة ليسوا متفقين على فرق بعينه ، فقد ذكر بعضهم فروقا فيها شيء من الاختلاف عما سبق ذكره ، كما في ترفة ابن قتيبة التائل بأن الظل يكون غداة وعشية ومن أول النهار الى آخره وان النسيء لا يكون الا بعد الزوال (٢٠٧) . وقد ذكر ابو هلال العسكري أن الظل يكون ليلا ونهارا وان النسيء بالنهار ولم يخصه بوقت ما بعد الزوال أو بالعشي . فهو يقول : (الفرق بين الظل والنسيء أن الظل يكون ليلا ونهارا ولا يكون النسيء الا بالنهار ، وهو مافاء من جانب الى جانب أي رجع ، والنسيء الرجوع ويقال النسيء التبع لانه يتبع الشمس (٢٠٨)) .

كذلك فرق بينهما الراغب الاصفهاني بان : (الظل ضد الضح ، وهو أعم من النسيء ، فانه يقال : ظل الليل وظل الجنة . ويقال لكل موضع لم تصل اليه الشمس ظل ، ولا يقال النسيء إلا لما زال عنه الشمس) وقال في قول الشاعر : يتبع افياء الظلال عشية ، أن الظلال عام والنسيء خاص . وهو من اضافة الشيء الى جنسه (٢٠٩) .

(٢٠٦) درة الفواص للحريري : ٥٦ وشرح درة الفواص للخفاجي : ٢٥ - ٢٦
و ١٢٤ - ١٣٥ . واللسان مادة ظلل : ١١/١٥١ - ١٦٦

(٢٠٧) ادب الكاتب : ٢٧

(٢٠٨) الفروق اللغوية : ٢٥٣ .

(٢٠٩) المفردات في غريب القرآن : ٢١٦ - ٢١٧ .

يعني بذلك : أفياء الظلال . وفيما يتعلق بكتب التفسير فلم ينص الزمخشري صراحة على التفرقة بينهما حين عرض لتفسير الآيات الكرسيات اللاتني ورد فيهن ذكر الظل والفيء ، إلا ان كلامه يشعر بأنه يميل الى القول بالتفرقة بينهما (٢١٠) . بيد ان القرطبي فرق بينهما وذلك في تفسير قوله تعالى : « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » (٢١١) وفي تفسير قوله تعالى : « يتفياً ظلاله » (٢١٢) حيث ذكر آراء القائلين بالتفرقة وحكى الفرق عنهم بان الظل بالنداء والفيء بالعشي ثم اورد بيت حنيد الذي سبق ذكره (٢١٣) . وقد جعل الظل عاماً والفيء خاصاً في حديثه عن الآية الثانية ، فهو يقول : (أي يسل - يعني الظل - من جانب الى جانب ، ويكون اول النهار على حال ويتقلص ثم يعود في آخر النهار على حالة اخرى ... ومنه قيل للظل بالعشي : فيء ، لأنه فاء من المغرب الى المشرق ، أي رجع والفيء الرجوع .) (٢١٤)

وهكذا نرى ان الكثرة من اللغويين يقولون بالفرق بين الظل والفيء على ما بيناه ، على حين يذهب بعضهم الى انها بمعنى واحد كما في عبارة اللسان السابقة من ان الظل هو الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس أي شيء كان . وفي قوله الآخر : (وبعضهم يجعل الظل الفيء) (٢١٥) وان بعضهم قد جعل للجنة فيئا غير أنه قيده بالظل ، فقال يصف حال أهل الجنة ، وهو التابعة الجعدي :

(٢١٠) الكشاف : ٥٢٢/١ ٥٢٢/٢ - ٥٢٢ ، ٦٠٩ ، ٢٨٢/٢ - ٢٨٢ : ٤٠١ ، ٦٠٨ ، ٤٦٣ - ٤٦٠/٢ ، ٦٨٠ .

(٢١١) سورة الفرقان آية : ٤٥

(٢١٢) سورة النحل آية : ٤٨ .

(٢١٣) الجامع لاحكام القرآن : ٢٧/١٣ - ٢٨ .

(٢١٤) الجامع لاحكام القرآن ١١١/١٠

(٢١٥) اللسان مادة ظلل : ٤١٥/١١ وقد اورد صاحب اللسان هنا قول رؤية مبتوراً ولا يصح الاستشهاد به لان نص رؤية يدل على الفرق لو اكمل . وقد ذكره صاحب اللسان أيضاً كاملاً في مكان آخر عندما عرض لآراء الفرقين وذلك في مادة « فيا » : ١٢٥/١ .

فِلامُ الإله يَعدو عليهم^{٢١٧} وقيوءُ الفردوسِ ذاتُ الظلالِ
وقال كثير :

لقد سرت شرقي البلاد وغربها وقد ضربتني شمسها وظلولاها^(٢١٦)
وقد رد الذين سواها بين الكلمتين على المفرقين بأن لا حجة لهم في بيت
حيد بن ثور الهلالي السالف ، لأن التفرقة فيه بين الظل والقيء ، إنما هي لئلا
يتكرر اللفظ ، لا للتخصيص . واستدلوا على استعمال الظل بالعشى بقول
أمرئ القيس :

يتسبى عليها الظل عرّ مضها الطامي^(٢١٧)

وأما حديث : السلطان ظل الله في أرضه ، فقد قيل في تفسيره أن الظل
هو النعمة وقيل الحفظ وقيل الهيئة وقيل استعارة^(٢١٨) .

وقد ذكر الذين صنفوا في لحن العامة كابن قتيبة^(٢١٩) والحريري^(٢٢٠)
وابن الجوزي^(٢٢١) وعبد اللطيف البغدادي^(٢٢٢) ، أن الناس في استعمالهم
اللفظي لا يفرقون بين الظل والقيء . يقول ابن قتيبة مثلا : (ومن ذلك الظل
والقيء يذهب الناس إلى أنهما شيء واحد . . .) وأذ يلاحظ هؤلاء استعمالهما
بمعنى يذهبون إلى تخطئه محافظين على ما روى من الفرق بينهما ، ولهذا
كان عندهم ما يضعه الناس غير موضعه .

(٢١٦) ويروى : لقد سرت غوري البلاد وجلسها .

اللسان مادة ظلل : ١١/١٥ - ١٦ . وينظر بيت النابغة في ديوانه ص

٢٣١ ط الأولى دمشق ١٩٦٤

(٢١٧) ديوان امرئ القيس ص ٤٧٥ ، صدره :

تيمت العين التي عند ضارج

(٢١٨) شرح درة القواص للخفاجي : ٢٥ - ٢٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥ . وقد جاء فيه
بيت امرئ القيس مصحفا : يفيض بدلا من يفسد ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢١٩) أدب الكاتب : ٢٧

(٢٢٠) درة القواص : ٥٦ .

(٢٢١) تقويم اللسان : ١٦٥

(٢٢٢) ذيل نصيح ثعلب : ٩ = ضمن نصيح ثعلب والشروح التي عليه .

وقد عرض الشهاب الخفاجي لهذه المسألة بشيء من التفصيل - وقد ذكرنا آنفا طرفا منه - وذلك في تعقيبه على الحريري الذي أنكّر ان يكون الظل بمعنى الشيء ، فبين ان اللغويين على خلاف في هذه المسألة وما ذكره الحريري من الفرق بينهما وان اشتهر ليس بمسلم . وقد ذهب الخفاجي مذهباً فيه وجهة حين قال (الفرق بين الظل والشيء قريب ، وإن ذهب إليه بعض اللغويين ، فهما يستعملان بمعنى اما لترادفهما كما هو مذهب في اللغة أو هو على التوسع والتسحح ، ولهذا قال في الحواشي : (٢٢٣) (إن الشيء وإن كان على ما ذكره المصنف - يعني الحريري - لا يستحق ان يقع موقع الظل حيث كان فلا يتظل به ، فيقال قدمت في شيء الشجرة أي ظلها ، وعليه قول الجعدي في اهل الجنة - البيت السابق - فأوقع الشيء موقع الظل ، وإن كان الشيء أخص منه ، الا ترى ان الجنة لا شس فيها حتى يكون فيها في) (٢٢٤) ونحن نتفق مع الخفاجي بان الفرق بين الكلمتين قريب وإن استعملهما بمعنى هو على التوسع والتسحح . ولا تتفق معه في القول باصالة ترادفهما في اللغة وشأن الخفاجي هنا شأن اللغويين القدامى الذين يهتمون الترادف أو ينظرون اليه تبعاً للوضع في اللغة وليس بسبب التطور الدلالي . ولم يذهب بعض اللغويين الى الفرق بل ان الكثرة منهم يذهبون الى ذلك كما رأينا . والخفاجي نفسه كان قد ذكر من قبل ان الكثير من اهل اللغة على تفرقة ثلث (٢٢٥) ، فنتسي ما قاله هناك وناقض نفسه هنا .

نخلص من هذا كله الى القول بان الكلمتين من الالفاظ المتقاربة في المعنى وإن ترادفهما نتيجة التطور الدلالي ، اذ ان الظل عام والشيء خاص على

(٢٢٣) المقصود به ابن بري .

(٢٢٤) شرح درة الفواص : ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢٢٥) شرح درة الفواص : ٢٥ - ٢٦ .

(٢٢٦) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة : ١٩٧

قول اكثرهم ، ثم استعمالا بمعنى واحد على سبيل تعميم دلالة الخاص . وهذا ما اكدته ايضا الدراسة الحديثة في لحن العامة^(٢٣٦) . وبهذا يكون التباين الذي ذكره بينهما ، بحسب الاصل وبمقتضى الاشتقاق لاسيما وان القائلين بالترقة من اقدم اللغويين . ولا أدل على ذلك من حجة المفرقين بان الظل هو مطلق السر ولأن : (اصل الشيء : الرجوع ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء ، لانه يرجع من جانب الغرب الى جانب الشرق)^(٢٣٧) ويصدق عليها ما قلناه آتفا بشأن الخلاف في تباين وترادف الآل والسراب وسبب ذلك .

٦ - السنة والعام والحوال والحجة :

ان اللغويين على خلاف في هذه الالفاظ من حيث القول بالتباين والترادف فيها . فثمة طائفة منهم تذهب الى ان هذه الالفاظ بمعنى واحد دون اي فرق بينها ، واخرى تقول بالتباين فيها . ولعل ثعلبا - ت ٢٩١ هـ - اقدم من فرق بين السنة والعام وذلك بقوله : (السنة من اي يوم عددها فهي سنة والعام لا يكون الا شتاء وصيفا ، وليس السنة والعام مشتقين من شيء . فاذا عددنا من اليوم الى مثله فهو سنة يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف ، والعام لا يكون الا صيفا وشتاء ، من الاول يقع الربيع والنصف والنصف ، اذا حلف لا يكلمه عاما لا يدخل بعضه في بعض ، انما هو الشتاء والصيف . والعام اخص من السنة فعلى هذا تقول : كل عام سنة وليس كل سنة عاما)^(٢٣٨) وعلى هذه التفرقة كل من الجواليقي^(٢٣٩) - ت ٥٣٩ هـ - وعبد اللطيف البغدادي^(٢٤٠) - ت ٦٢٩ هـ - اللذين لاحظا استعمال الناس لهما بمعنى واحد ، فانكرا ذلك وحكيا الفرق بينهما على ما روى عن ثعلب . كما فرق بينهما ابو هلال العسكري - ت ٣٩٥ هـ - باكثر من فرق واحد ، تفرقة

(٢٢٧) اللسان مادة نيا : ١/١٢٦

(٢٢٨) تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة ص ٨ وقد جاء هذا النص ايضا بشيء من التفسير الطفيف والنقص في شرح ادب الكاتب للمؤلف نفسه : ص ٨٢ .

(٢٢٩) المصدر السابق والصفحة نفسها .

تختلف عن تفرقة ثعلب السالفة ؛ يقول المسكري : (الفرق بين العام والسنة ، ان العام جمع ايام والسنة جمع شهور ، الا ترى انه لما كان يقال ايام الرنج قيل عام الرنج ولما لم يقل شهور الرنج ؛ لم يقل سنة الرنج . ويجوز ان يقال : العام يفيد كونه وقتا لشيء ، والسنة لا تفيد ذلك . ولهذا يقال : عام الفيل ولا يقال سنة الفيل ، ويقال في التاريخ : سنة مائة وسنة خمسين ، ولا يقال عام مائة وعام خمسين ، اذ ليس وقتا لشيء ما ذكر من هذا العدد) (٢٢١) .

وبعد هذه الفروق كلها يعود المسكري فيقول : (ومع هذا فان العام هو السنة ، والسنة هي العام ، وان اقتضى كل واحد منهما ما لا يقتضيه الآخر ما ذكرناه . كما ان الكل هو الجمع والجمع هو الكل ، وان كان الكل احاطة بالاباض ، والجمع احاطة بالاجزاء) (٢٢٢) كذلك فرق المسكري بين السنة والحجة بقوله : (ان الحجة تفيد أنها يحج فيها ، والحجة المرة الواحدة من حج يحج ، والحجة قملة مثل الجلسة والقعدة ، ثم سبت بها السنة كما يسمى الشيء باسم ما يكون فيه) (٢٢٣) . ومن هذا يتضح لنا مدى اختلاف فروق المسكري عن تفرقة ثعلب السالفة ومن تابعه عليها . وهي فروق غير لغوية ولا تسم بالوضوح ، بل هي اقرب ما تكون الى المنطق وعلم الكلام منه الى الواقع اللغوي الصحيح ؛ الذي يجهل مثل هذه الفروق ؛ ناهيك عن اثر التكلف الواضح فيها وانتقاره الى الشواهد اللغوية الصحيحة القوية التي تدل بوضوح على مراعاة هذه الفروق في الاستعمال اللغوي . ولهذا نرى ان مثل هذه الفروق واهية بعيدة عن الحس اللغوي العام ، ولا ادل على ذلك من اعتراف المسكري نفسه صراحة ، بان العام هو السنة والسنة هي العام ، وان الحجة سبت بها السنة . فاذا كانت هذه الالفاظ كذلك ؛ فما قيمة تلك الفروق وجدواها ؟

(٢٢٠) ذيل فصيح ثعلب : ص ٤ = ضمن كتاب فصيح ثعلب والشروح التي عليه

(٢٢١) الفروق اللغوية : ٢٢٤

(٢٢٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٢٢٣) نفسه : ٢٢٤

ثم نجد من القائلين بالترفة ، الراغب الاصفهاني (٢٢٤) الذي ذكر ايضا غير فرق بين السنة والعام ، ، وهي تختلف تماما عما ذكره ثعلب والمكري . فهو يقول (العام كالسنة ، لكن كثيرا ما يستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الشدة والجذب . ولهذا يعبر عن الجذب بالسنة ، والعام فيما فيه الرخاء والخصب وقيل سمي السنة عاما لموم الشمس في جميع بروجها) (٢٢٥) . كما فرق الراغب الاصفهاني بين الحول والسنة بقوله : (والحول : السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها .) (٢٢٦) وهكذا نرى تعدد الفروق واختلافها بحسب آراء القائلين بها . ويصدق على فروق الراغب الاصفهاني ما قلناه حول فروق المكري من انها ضعيفة وتتجاوز كثيرا حدود اللغة . فهذه الاعتبارات التي ذكرها الراغب غير معتبرة في الاستعمال ، ما عدا تفرقه الاولى بين السنة والعام التي هي في الواقع نتيجة الاشتراك اللفظي الحاصل في معاني السنة ، وليست تفرقة وضعية بينها وبين العام على وجه الاطلاق ، والسياق هو الذي يحدد لنا فيما اذا كان المقصود بالسنة الجذب لا العام . كما سيأتي بيان ذلك . بقي ان نشير الى ان السيوطي قد جعل السنة والعام من الالفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه ، ثم اورد الفرق الاول الذي ذكره الراغب (٢٢٧) .

وقد ذهب كثير من اللغويين الى ان هذه الالفاظ بمعنى واحد ، مستشهدين على ذلك بما جاء في القرآن الكريم وعن الفصحاء العرب . فقد اورد عبد الرحمن بن عيسى الهذلي - ت ٣٢٠ هـ - هذه الالفاظ بمعنى واحد دون

(٢٢٤) اختلف في تاريخ وفاته ، فقيل سنة ٥٠٢ هـ وقيل سنة ٥٦٥ هـ .
والارجح هو الاول .

(٢٢٥) المفردات في غريب القرآن : ٥٢٧ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ . طبعة مصر .

(٢٢٦) المصدر نفسه : ١٩٢ . طبعة مصر .

(٢٢٧) الاتقان في علوم القرآن : ١٩٦/١ .

فرق بيننا ، فذكر تحت باب ترادف السنة : (يقال : السنة ، والحول ، والعام ،
والحجة ، وفي القرآن العظيم : « ثمانى حجج » (٢٣٨) وفيه : « يحلونه
عاما » (٢٣٩) وفيه : « حولين كاملين » (٢٤٠) (٢٤١) كما نص ابو سهل الهروي
- ت ٤٣٣ هـ - في شرحه لفصيح ثعلب على ان (العام والحول والسنة بمعنى
واحد ، ويأتي كل واحد منها على شتوة وصيفة .) (٢٤٢) ولم يفرق محمد
ابن يوسف التميمي - ت ٥٣٨ هـ بين الاحوال والسنين (٢٤٣) . وقد ذكر
الجواليقي في شرحه لادب الكاتب ان العام حول يأتي على شتوة وصيفة ، (٢٤٤)
بيد انه فرق بين السنة والعام في كتابه التكملة ، معولا في ذلك على تفرقة
ثعلب كما تقدم . فعقب عليه ابن بري - ت ٥٨٢ هـ - في تحقيقاته على التكملة
قائلا (٢٤٥) : (العام والسنة والحول والحجة عند العرب بمعنى . قال الله
سبحانه : « بل لبث مائة عام » (٢٤٦) وقال الربيع (٢٤٧) :
« اذا عاش الفتي مائتين عاما » . وقال الاخر (٢٤٨) :

-
- (٢٣٨) سورة القصص آية ٢٧
(٢٣٩) سورة التوبة آية ٢٧
(٢٤٠) سورة البقرة آية ٢٢٢
(٢٤١) الالفاظ الكتابية : ٢٦٦
(٢٤٢) التلويح في شرح الفصيح : ٩٢ = ضمن فصيح ثعلب والشرح التي عليه
(٢٤٣) المسلسل في غريب لغة العرب : ٧٦
(٢٤٤) شرح ادب الكاتب : ٨٢
(٢٤٥) تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي : ٨ . لقد نشر محقق
التكملة عز الدين التنوخي تحقيقات وتعليقات ابن بري على التكملة ضمن
التكملة نفسها .
(٢٤٦) سورة البقرة آية ٢٥٩ .
(٢٤٧) هو ابن ضبع الفراري وتمام البيت : فقد ذهب اللداذة والفتاء .
(٢٤٨) البيت لسلمة بن الخرشب الفزاري ، وهنيدة اسم للمائة من الاهل
خاصة . (عن المحقق)

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتبعين حولا ثم قوم فائصاتا .
وقالت أخت طرفة : (٢٤٩)

غددا له ستا وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيذا ضخما .

زد على ذلك اننا لا نجد في لسان العرب تلك الفروق والاعتبارات
العديدة المختلفة التي ذكرها المرفقون ، باستثناء الفرق الذي ذكره الراغب
من استعمال السنة في الغالب بمعنى الجذب . ويبدو ان هذه التفرقة رهن
باستعمال معين ولا تظهر الا من خلال السياق ، لان الكلمة من المشترك اللفظي ،
اذ تستعمل بمعنى العام تارة وبمعنى الجذب تارة اخرى . فليست هناك
تفرقة وضعية مطلقة ، ولا ترادف مطلق بسبب هذا الازدواج في معنى السنة
الذي تتوقف معرفته على السياق والمقصود من النص . وهذا ما يفهم مما جاء في
اللسان الذي ذكر المعنيين للسنة : (السنة واحدة السنين . قال ابن سيده : السنة
العام والسنة مطلقة : السنة المجذبة ، اوقعوا ذلك عليها اكبارا لها
وتشبيها واستطالة ، يقال : أصابتهم السنة والسنة : الازمة الاصمعي :
ارض بني فلان سنة اذا كانت مجذبة وهي من الاسماء الغالبة نحو الدابة في
الفرس والمال في الابل (٢٥٠)) .

وجاء في مكان آخر : (تقول : أسنى القوم يسنون اسناء ، اذا لبوا
في موضع سنة ، واستوا اذا أصابتهم الجذوبة ، تقلب الواو تاء للفرق
بينهما والسنة من الزمن من الواو ومن الباء واصابتهم السنة :
يعنون به السنة المجذبة وارض سنة : مجذبة على التشبيه بالسنة من
الزمان وأسنى القوم : اتى عليهم العام .) (٢٥١) وفيما عدا هذا لا نجد في
اللسان تلك الفروق الأخرى ، بل على خلاف ذلك ، نجد فيه السنة بمعنى العام

(٢٤٩) ويروى تسعا وعشرين ، وفي الكامل : ١٤٦/١ طبع لبيسك : ستا وعشرين

« عن المحقق » ص ٨

(٢٥٠) اللسان مادة سنة : ٥٠١/١٣ - ٥٠٢ .

(٢٥١) المصدر السابق مادة سنا : ٤٠٥/١٤ .

فقط كما في قول ابن سيده السابق . وفيه : (والحجة : السنة) (٢٥٢) وفيه :
 (الحول : سنة باسرها) (٢٥٣) وفيه : (العام : الحول يأتي على شتوة
 وصيفة) (٢٥٤) فالتسوية هنا واضحة بين هذه الألفاظ ، اذ يفسر اللسان
 الواحدة بالآخرى دون اي فرق . كذلك لم نجد تلك الفروق والاعتبارات في
 تفسير الزمخشري ، حين عرض لتفسير الآيات الكريبات اللواتي وردت فيهن
 هذه الألفاظ ، اذ نجده لا يفرق بينها البتة . بل ان كلامه في هذه المواضع
 ليدل على ان لا فرق بينهما (٢٥٥) فهو يستعاض عن ذكر الواحدة بالآخرى في
 اثناء شرحه ، كتفسيره الحجج بالسنين (٢٥٦) في قوله تعالى : « على ان تأجرني
 ثمانى حجج » (٢٥٧) وكتفسيره العام بالسنة (٢٥٨) دون اشارة الى اي فرق
 وذلك في قوله تعالى : « فأما لله مائة عام ثم بعثه » (٢٥٩) وفي قوله تعالى :
 « قال بل لبث مائة عام » (٢٦٠) كما ان الزمخشري لم يشر الى أية تفرقة
 دلالية بين السنة والعام اللتين اجتمعتا في قوله تعالى : « فلبث فيهم الف سنة
 الا خمسين عاما » (٢٦١) فان الذي ذكره حول اجتماعهما في هذه الآية هو :
 (فان قلت : فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام ؟ قلت : لان تكرير اللفظ
 الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة : الا اذا وقع ذلك لاجل

-
- (٢٥٢) اللسان مادة حجج : ٢٢٧/٢ .
 - (٢٥٣) اللسان مادة حول : ١٨٤/١١ .
 - (٢٥٤) اللسان مادة عوم : ٤٣١/١٢ .
 - (٢٥٥) الكشاف : ٢٧٨/١ - ٢٧٩ ، ٢٨٨ - ٢٨٩ ، ١٦٦ ، ٦٢١ ، ٣٠٥ -
 - ٣٠٧ و : ٢٢٤/٢ ، ٤٧٧ ، ١٦٣/٣ ، ٤٠٥ ، ٥٠٧ - ٥٠٨ .
 - (٢٥٦) الكشاف : ٤٠٥/٣ .
 - (٢٥٧) سورة القصص آية ٢٧ .
 - (٢٥٨) الكشاف : ٣٠٥/١ - ٣٠٧ .
 - (٢٥٩) سورة البقرة آية : ٢٥٩ .
 - (٢٦٠) سورة البقرة آية : ٢٥٩ .
 - (٢٦١) سورة المكنوت آية ١٤ .

غرض يتحيه المتكلم من تخفيف او تهويل او تنويه او نحو ذلك . (٢٦٢)
والى مثل هذا ذهب احمد بن المنير الاسكندري (٢٦٣) .

فالزمخشري هنا وصاحب الانتصاف لم يجعلوا المخالفة بين هذين اللفظين
في الموضع الواحد لاجل افادة معنى او بسبب فارق معنوي بينهما ، وانما
جعلها لغرض بلاغي هو اجتناب التكرار المعب . وهذا يذكرنا بفوائد
الترادف التي قال بها اللغويون والمتثلة في ذكر الالفاظ المختلفة ، ذات
المعنى الواحد في النص الواحد ، لتلا يكون ثمة تكرار للفظ بعينه .

وفىما يتعلق بتفسير القرطبي : فلا نجد فيه مثل تلك الفروق السالفة
الذكر ، بل يفهم بوضوح من كلامه حول الايات الكريبات اللواتي جاءت
فيهن هذه الالفاظ ، أن لا فرق بينها . فهو تارة يستعمل الواحد مكان
الآخرى في اثناء شرحه وتارة ينص على تفسير اللفظة بالآخرى دون فرق ،
وذلك كما في تفسير قوله تعالى « والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين » (٢٦٤) الذي يقول فيه : (حولين : اي ستين ، من حال الشيء اذا
انقلب ، فالحول منقلب من الوقت الاول الى الثاني . وقيل : سبي العام
حوالا لاستحالة الامور فيه في الاغلب (٢٦٥) . ولم يفرق القرطبي بين الحول
وغيرها من هذه الالفاظ ، وقد استعمل السنة بدلا منها (٢٦٦) وذلك في كلامه
على قوله تعالى : « ويذرون ازواجا وصية لازواجم متاعا الى الحول » (٢٦٧) .
كما يفهم من كلام القرطبي ان الحجبة والسنة والعام بمعنى واحد ، فهو يقول
في قوله تعالى : « على ان تاجرني ثمانى حجج » ان شعيبا جعل الثانية الاعوام

(٢٦٢) الكشاف : ٤٤٥/٣ - ٤٤٦ .

(٢٦٣) الانتصاف المطبوع بديل الكشاف : ٤٤٦/٣ .

(٢٦٤) سورة البقرة آية ٢٣٣ .

(٢٦٥) الجامع لاحكام القرآن : ١٦١/٣ .

(٢٦٦) المصدر نفسه : ٢٢٦/٣ - ٢٢٨ .

(٢٦٧) سورة البقرة آية ٢٤٠ .

شرطا (٢٦٨) . فيفسر هنا الحجج بالاعوام . وينص في مكان آخر (٢٦٩) على
ان : الحجج : السنون . ثم يستشهد بقول الشاعر : (٢٧٠)

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر
وفي تفسيره لقوله تعالى : « فأما لله مائة عام » ينص على ان العام : السنة .
وان قولهم : سنون عوم هو تأكيد للاول (٢٧١) . ولم يشر القرطبي ايضا
الى آية تفرقة بين السنة والعام (٢٧٢) اللتين اجتمعتا في قوله تعالى : « فلبث
فيهم الف سنة الا خسين عاما » ما يؤكد انهما بمعنى واحد .

وفي خاتمة هذا العرض لا راء اللغويين والمفسرين ومناقشتها ومن متابعة
سرائق الاستعمال اللغوي لهذه الالفاظ ، نخلص الى القول بان الكثرة من
الملاء يورون بين هذه الالفاظ من حيث الدلالة ، يؤيدهم في ذلك الواقع
اللغوي وكثرة الشواهد التي لا سبيل لانكارها ، وان قلة منهم يفرقون بينها .
وقد سبق ان رأينا تعدد هذه الفروق واختلافها من واحد لآخر ، ومن ثم
عدم اتفاقهم على فرق بعينه ، ولاحظنا ضعف الشواهد ، وقلتها على بعضها
واقترار الاخرى الى الشواهد اللغوية . يزداد على هذا بُعد تلك الفروق
والاعتبارات عن مقياس الحس اللغوي العام وتجاوزها حدود اللغة كثيرا
كما أسلفنا .

ويدل هذا كله على عدم وجاهة هذه الفروق من الناحية اللغوية وعلى
أثر الاجتهاد والتكلف فيها ، ومن ثم مخالفتها للاستعمال القرآني . ومن
بين الترادف الحقيقي وما هو ليس منه . على حين اعتدل بعضهم واقتصد مراعى
النظرة اللغوية الحديثة للترادف . كما لاحظ المستشرقون وبعض الباحثين

(٢٦٨) الجامع لاحكام القرآن : ٢٧٥/١٣ - ٢٧٩ .

(٢٦٩) المصدر نفسه : ٢٧٩/١٣ - ٢٨٠ .

(٢٧٠) هو زهير بن ابي سلمى . ويروى : ومن شعر .

(٢٧١) الجامع لاحكام القرآن : ٢٩١/٣ .

(٢٧٢) المصدر نفسه : ٣٣٢/١٣ وما بعدها .

اجل هذا لا تتردد في القول بترادف هذه الالفاظ . وان سلنا بيمض هذه التروق جدلا ، فمن السهل تسيير ترادفها نتيجة التطور في الاستعمال ، وذلك بتعميم دلالة العام فيكون عندئذ مرادفا للسنة ، اذ ان العام اخص من السنة على رأى ثعلب كما مر بنا . وفي ضوء التطور الدلالي ايضا يمكن تسيير استعمال الحجة بمعنى السنة او العام ، وذلك ان الحجة تقع في السنة ، ثم سبت بها السنة ، وهذا من باب تسمية الشيء باسم ما يكون فيه . وقد اعترف السكري صراحة بتسمية السنة حجة على هذا الوجه ، بيد انه حافظ على الاحل . وهذا الموع في التسمية هو في حقيقته على سبيل المجاز المرسل للعلاقة الزمانية ، وهو من اوجه تطور دلالة الالفاظ .

آراء المحدثين :

يكاد الدارسون المحدثون من العرب يجتمعون على وقوع الترادف والتسليم به فنجد أن اغلبهم يؤكدونه بوصفه أمرا واقعا لا يمكن دحضه ، ويرون أن انكاره انكارا تاما مذهب لا تؤيده النصوص والشواهد اللغوية ، وأنه شيء ثابت في العربية لا تخطئه عين ولا تخلو منه لغة قل أو كثر (١٣٣) . ولكن معظم المحدثين جاري القدامى في النظر الى الترادف تبعا للوضع في اللغة ، فاغفلوا اثر التطور الدلالي في الترادف وفي توجيه القول بالتباين . وقد صنف بعضهم في الترادف على نحو ما فعل القدامى فأسرفوا فيه وخلطوا الاجاب هذه الظاهرة في العربية فاثارت دهشتهم ولم ينكروها بيد ان

(٢٧٢) انظر : في اللبجات العربية : ص ١٦٦ وما بعدها ، وفصول في فقه العربية ، ص ٢٧٨ ، وكلام العرب : ص ١٠٢ ورواية اللغة : ص ٢٢٠ ، ودلالة الالفاظ : ص ٢١١ وما بعدها ودراسات في فقه اللغة : ص والتضاد في ضوء اللغات السامية ، د. ربحي كمال : ص ٥ ، والوجيز في فقه اللغة : ص ٢٨٣ ، ومحاضرات في فقه اللغة للاستاذ الراضى : ص ١٧٩ والالفاظ اللغوية خصائصها وانواعها : ص ٧٦ ، وعلم اللغة د. وافي ص وفقه اللغة : وافي : ص والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د. جواد علي : ٥٥١/٨ وما بعدها .

مواقفهم قد تباينت ازاء كثرتها . ومن هؤلاء المشرق الروسي ف . م بيلكين (٢٧٤) ، والمشرق الفرنسي بلاشير (٢٧٥) ، والميو مريه (٢٧٦) ، واوتو كلينيراغ (٢٧٧) ، واللغوي الانكليزي (H.A. Gleason Jr.) (٢٧٨) ، ومع هذا لا نعدم أن نجد من المحدثين عربا كانوا او مشرقين من أنكروا الترادف بمعناه التام أو من صنف في الفروق ، محاولا تأويل هذا الامر وتوجيهه على شاكلة المنكرين من القدامى . فقد ذكر الاب المشرق هنريكوس لامنس أن (كل لفة تشتمل على مترادفات ، وكلم في المعنى متشابهات . غير أن الترادف التام ما يستحيل كيانه ، ويستع في الوضع اتيانه . اذ يترتب عليه ان تكون اللغة الواحدة لغتين ، ويصير اللسان الفرد لسائين . والعريية داخلة في السنة التي ذكرناها ، غير خارجة عن الطريقة التي أوردناها . وانا هي بحر طافح بالالفاظ المتقاربة المعنى ، زاخر بالكلم المتشاكلة في المدلول والمعنى ، حتى يختلط على الكاتب ان يفرق بينها ، وكثيرا ما يستعجم عليه استعمالها في حينها) (٢٧٩) كما ذكر الاستاذ حنفي ناصف أن الناظر اذا امعن نظره تبين له أن لا ترادف في الحقيقة لأن العرب شعوب وقبائل ، ولكل شعب الفاظ محصورة وضعها واضعهم ليتفاضوا بها أغراضهم ، ولا ضرورة في تقاضي الاغراض الى وضع أزيد من لفظ واحد لكل معنى . فالذين يسون السبع اسدا لا يسونه ليثا ، والذين يقولون مدية لا يقولون سكيئا ، واذا لا تمس الحاجة الى ذلك فالحق أن الترادف في اللغات ليس طبيعيا ولا وجود له متى وجنا النظر الى كل قبيلة على حده وانا هو أمر يحدث عند

(٢٧٤) مجلة المورد المجلد الثالث ، العدد الاول ، سنة ١٣٩٤ - ١٩٧٤ م ص ٥٩ وما بعدها .

(٢٧٥) تاريخ الادب العربي ، د. بلاشير : ٢/٢١٣ .

(٢٧٦) النشر الفني في القرن الرابع ، د. زكي مبارك : ٢/٦٤ .

(٢٧٧) علم النفس الاجتماعي : ١/٧١ - ٧٢ .

(٢٧٨) Linguistics and English Grammar, by H.A. Gleason, Jr., p. 428 — 429.

(٢٧٩) فرائد اللغة الجزء الاول في الفروق : ص ٥ .

النظر الى كافة التباين وعوم الشعوب (٢٨٠) . ولا نرى جديدا في هذا الرأي لتعويله على الوضع في نفي الترادف وتجاهله فعل التطور اللغوي ، ناهيك عن أثر النظرة العقلية فيه . وقد فاتته ان كون العرب شعوبا وقبائل وما كان من أمر اختلافها وتداخل لغاتها وما نتج عن ذلك من اثر في العربية المشتركة مدعاة للقول بوقوع الترادف . والعرب انه بعد ان اترك الترادف ذهب يتحدث عن اسبابه وفوائده في اللغة .

ولعل الجديد في النظر الى الترادف ما ذكره الدكتور محمود فهمي حجازي بانه في ظل مبدأ نسبية الدلالة لا يمكن ان تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقا كاملا ، ومن الممكن ان تتقارب الدلالات لا اكثر ولا اقل . فالالفاظ المترادفة هي بهذا المعنى الالفاظ ذات الدلالات المتقاربة (٢٨١) .

وان اكثر الادباء والنقاد المحدثين (٢٨٢) ، الذين افكروا الترادف التام هم اكثر تعلقا بهذا الرأي لاتفاقه مع نظرتهم الى دلالة الالفاظ ، تلك النظرة التي تكشف احياءات الكلمة من ظلال والوان ومشاعر وانطباعات وجدانية ، وما تثيره في النفس من تداعي المعاني المختلفة . ولا تعنى بالدلالة اللغوية العامة المتعارف عليها للالفاظ وحب . ولهذا يتحيل عندهم وجود كلمتين بمعنى واحد تتفقان من حيث الظلال والاثارة والايحاء اتفاقا كاملا لأن هذه

(٢٨٠) مميزات لغات العرب : ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢٨١) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة : ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢٨٢) في الادب والتقد ، د. محمد مندور : ص ٢٢ - ٢٤ ، ٢٦ - ٢٧ وفي النقد الادبي د. شوقي ضيف : ص ١٢٩ . والتفسير البياني للقرآن الكريم د. بنت الشاطيء : ص ٥ - ٦ وفي اللهجات العربية : ص ١٦٩ . ودلالة الالفاظ : ص ٢١١ . نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠ - ١٩٥٨ ، عباس توفيق رسالة ماجستير ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ،

تختلف من شخص الى اخر . وهذا هو سبب انكار الغالبية من الادباء والنقاد للترادف بمعناه التام .

وهذه نظرة تبعد بالالفاظ عن حقيقتها الخارجية اعنى دلالتها اللغوية الاجتماعية العامة وتُعنى بالناحية الوجدانية والنفسية متأثرة بالنوازع الذاتية للفرد والخلجات الحية ، وما تبعته في اعناق النفس من خواطر ومشاعر وبذلك تباين الالفاظ في معانيها تبعاً للتصور الشخصي والانطباع الذاتي الذي يختلف باختلاف الناس .

وإذا كان أهل الأدب والنقد وأصحاب علم النفس من المعنيين بالمسائل الوجدانية والنفسية ، فإن اللغوي لا يعنيه الا الدلالة اللغوية المشتركة بين الناس جميعاً وهي التي بمقتضاها يتم التفاهم بينهم وذلك باعتبار اللغة نوعاً من التجريد وضرباً من التصنيف . وله أخذنا بهذه النظرة لتعذر التفاهم بين الناس ولاستحالة اتفاهم حتى على معنى الكلمة الواحدة ، فكل واحد يرى فيها ما لا يراه الاخر . وكأنه ليس للفظ معنى محدد تماماً ومتفق عليه .

ولعل من المفيد ان نعرض هنا بايجاز الى مواقف الباحثين الاجانب بشأن وقوع الترادف في اللغة والخلاف فيه، بغية تعرّف آرائهم والاستئناس بأقوالهم تيسراً للبحث واستكمالاً لصورة الخلاف في هذه المسألة . وهذا ما تناوله ستيفن اولمان (Stephen Ullmann) بالتفصيل حيث افرد فصلاً خاصاً بعنوان: (Synonym) أي الترادف (٢٨٢) أورد فيه آراء طائفة من علماء اللغة حول هذا الموضوع ثم ناقشهم في ذلك وما ذكره ان الدكتور (Dr. Johnson) يرى ان الكلمات نادراً ما تكون مترادفة بصورة تامة . ولقد عبر ماكولسي (Macaulay) عن الفكرة نفسها قائلاً : غير تركيب الجملّة واستبدال مرادفاً بآخر ، فحينئذ يتغير الجوهر الكلي للجملّة وغالباً ما

(٢٨٢) وذلك في كتابه

Semantics an Introduction to the Science of meaning, p.

141 — 155.

كما عرض له في كتابه : دور الكلمة في اللغة ص ٩٧ وما بعدها .

يقال في فقه اللغة المعاصر انه لا يوجد مترادف تام . وعند بلوم فيلد (Bloom Field) ان كل صيغة لغوية لها معنى محدد وثابت ، فاذا كانت الصيغ اللغوية مختلفة من الناحية الفونيمية^(٢٨٤) فالتا نعتقد ان المعنى مختلف ايضا ، وباختصار نرى انه لا توجد مترادفات حقيقية^(٢٨٥) وقد سبق ان تكلم بلوم فيلد وبريل (Breal) على قانون التوزيع في اللغة وهو الذي يستتضاه تكتب الكلمات التي كانت مترادفة او التي ستصير مترادفة معاني مختلفة ، ولا تعد قابلة للاستبدال . وقد انتهى استيفن اولمان بعد هذه الآراء الى القول بأنه على الرغم من وجود قدر من الصحة في هذه الاقوال ، فان من الخطا انكار امكانية حدوث الترادف التام . حيث ان هذا مناقض للظاهر بصورة كافية ، لانه من الممكن ان نجد الترادف التام على الاقل في المصطلحات العلمية . فحقيقة كون المصطلحات العلمية محددة بشكل دقيق ومجرد من الناحية العاطفية تمكننا من اكتشاف ان الاثني منهما يمكن استبدال احدهما بالآخر بصورة تامة ، وان الترادف التام هو قليل على أية حال . كما ان الدراسات الحديثة حول نشوء علم المصطلحات الصناعية والفنية قد بينت ان هناك عدة مترادفات تظهر احيانا للاختراع الجديد ، ومن ثم تصنف وتوزع في آخر الأمر . ومثل هذا الترادف قد يستمر حقبة غير محددة^(٢٨٦) .

(٢٨٤) الفونيمية Phoneme : احدى وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة اخرى في لغة او لهجة ، مثلا : ال p. في Pin وال f. في fin هما نونيمتان مختلفتان .
عن المورد ، منير بعلبكي ص ٦٨٢ ، ط ٦ .

(٢٨٥) وقد ذهب فيرث ايضا الى مثل هذا الرأي ، دور الكلمة في اللغة ص ١٠٩ الهامش .

(٢٨٦) Semantics An Introduction to the Science of Meaning. p. 141 — 142.

وقد ذكر ايضا في كتاب آخر له ان : (الترادف التام — بالرغم من عدم استحالته نادر الوقوع الى درجة كبيرة . فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة ان تجود بها في سهولة ويسر) . دور الكلمة في اللغة ص ٩٧ .

كما ذكر ان الانسان نادرا ما يكون متاكداً من معرفة المعنى وتحديدِه في اللغة الاعتيادية ، اذا كان الموضوع شائكا لما يشوبه من الغموض والابهام والمعاني الاضافية المثيرة . وعلى الرغم من هذه العوائق فاننا نستطيع احيانا ان نجد كلمات يسكن استبدال الواحدة بالآخري في كل الاغراض والمعاني ، ولهذا عدت الكلمات مثل: *Almost and Nearly* من المترادفات التامة . والحق ان الترادف التام يقف مناقضا لطريقتنا الكلية في نظرتنا الى اللغة ، فعندما نرى كلمات مختلفة فمن البديهي ان نفترض انه ينبغي ان يكون هناك اختلاف في المعنى ايضا . وفي الحقيقة ان هناك في اغلب الحالات اختلافا حتى اذا كان من الصعب سياغته . وهناك كلمات قليلة جدا هي مترادفة بصورة تامة من حيث كونها قابلة للاستبدال في اي سياق لغوي دون تغيير في المعنى المقصود وفي القيمة الحسية المثيرة للعواطف والمشاعر^(٢٨٧) . وقد ذكر المؤلف ايضا في كتاب آخر له ان الترادف التام حالة نادرة الوقوع بداهة . فقد نجد اسمين يسكن التاكيد بسهولة على انهما شيء واحد ، ولكن من الصعب ان ثبت تاوي أي معين في الامتداد من حيث الزمان والمكان . فهناك عاملان يعترضان سبيل الترادف التام الاول غموض معنى الكلمة نفسها ، والثاني المعاني الاضافية ما توحى به الكلمة من احساس وشعور . فالكلمات التي يسكن ان توصف بانها مترادفة هي تلك الكلمات التي يسكن ان تنوب احداها عن الآخري في اي نص لغوي ، دون أقل تغيير في المعنى الفكري والمضمون العاطفي لهما^(٢٨٨) .

وقد ذهب ترنش Trench الى رأى مسائل لما ذكره اولمان ، بقوله : ان (المترادفات لا تستعمل في العادة مع النظر الى ما بينها من فروق دقيقة لاننا دون ان نجرؤ على انكار انه قد يجوز ان يكون هناك كلمات حقيقية الترادف، نرى ان مثل هذه الكلمات لا يتطاع البحث عما بينها من فروق ؛ لعدم وجود هذه الفروق)^(٢٨٩) .

Op. Cit., p. 142.

(٢٨٧)

The principles of semantics, by Stephen Ullmann, p. 108.

(٢٨٨)

(٢٨٩) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ، ج ١ ص ٣٠٨ ، سنة ١٩٣٤ .

وثمة باحثون آخرون عرضوا لظاهرة الترادف وناقشوا مسألة وقوعها في اللغة ، وذلك وفق مناهجهم الخاصة في فهم المعنى والنظر اليه من زوايا مختلفة ، فأبدوا وجهات نظر لا تخلو من وجهة . ومن هؤلاء : وليام الستن William P. Alston الذي ذكر انه غالبا ما يقال ان من المتعذر وجود كلمتين مترادفتين بصورة تامة . وهذا التعذر او على الاقل الصعوبة البالغة امر يتصل في تعريفات المعنى . ويرى ان الكلمتين تكونان مترادفتين حينما يمكن استبدال الواحدة بالآخري في الجمل دون حدوث اي تغيير في المعنى . ثم بين العوامل التي تمنع وقوع الترادف التام فذكر ان السبب الرئيس في الصعوبة التي تحول دون ذلك يكمن في ان جميع الكلمات لها اكثر من معنى واحد ، من الناحية العملية في الاستعمال . وكلما كثرت المعاني التي تعطىها الكلمة الواحدة بعمد احتمال ايجاد كلمة اخرى تحل محل سلسلة المعاني نفسها . وذلك نحو كلمتي ill and sick اللتين تحلان المعنى شبه في جمل كثيرة ولكن ثمة استعمالات خاصة لهما لا يمكن فيها استبدال الواحدة بالآخري . وهكذا فان عقبات حصول الترادف التام تعزى الى النقص الحاصل في تطابق المعاني بشكل مجدد وواضح . وحتى اذا قيدنا انفسنا بتلك السياقات التي تبدو فيها الكلمتان بمعنى واحد تماما ، فان هناك عدة اختلافات في استعمال تلك الكلمات . واذا كانت تلك الاختلافات هي اختلافات في المعنى ، فربما سواجه نتيجة غير مريحة ، وهي انه لا توجد لفظتان لهما معنى واحد في سياق معين (٢٩٠) .

وتعزى هذه الاختلافات الى الاعتبارات الآتية (٢٩١) :

- ١ - المحيط الاجتماعي ، حيث تكون كلمة معينة اكثر ملائمة من سواها في المقتائيس الاجتماعية . كما يبدو هذا الاختلاف مثلا في كلمتي : ill and sick فكلية ill اكثر مناسبة في الحديث المؤدب .

Philosophy of language, by William P. Alston, p. 44 — 51. (٢٩٠)

Ibid., P. 45 — 46.

(٢٩١)

ويبدو هذا الاختلاف اكثر وضوحا وقوة في كلمتي :
perspir and sweat وكل كلمتين مترادفتين تقريبا يبدو فيهما هذا
الاختلاف الى حد ما .

٢ - تداعي المعاني : قد تستدعي كلمة معينة الى الذهن معاني لا تستدعيها
مرادفتها ، وكثير من الامثلة تبين هذا النوع من الاختلاف بين المترادفات
بحسب تداعي المعاني ، ولكن ليس من السهولة في اغلب الكلمات اعطاء
صيغة تامة لايضاح ذلك . ويبدو هذا الاختلاف مثلا في كلمتي :
ground earth فكلية earth تشتمل على عدة انواع من المعاني
المترابطة نحو : الارض الام ، خصوبة الارض ، خصال الناس مصدر
الوجود ، في حين لا تعطي كلمة : هذه المعاني ولا تضي بهذه
الاعراض .

٣ - الدافع الاتعمالي التائري : نستطيع ايجاد كلمتين تبدوان مترادفتين
بعيدا عن حقيقة كون الواحدة منهما تحل موقفا او قيمة معينة ، بينما
تحل الاخرى قيمة مغايرة او لا تحل قيمة اطلاقا . ومثال ذلك كلمتا :
cheap and inexpensive وينبغي تمييز الحالات التي تكون فيها قوة
الموقف هي الاختلاف المحتمل الوحيد في المعنى من الحالات الاخرى
التي تؤثر في هذا الاختلاف . واذا كان كل اختلاف بين الكلمات اختلافا
في المعنى ، فانه لا يوجد ترادف تام في المعنى بين اي كلمتين حتى لو
قيدنا انفسنا بمعنى واحد لكل كلمة .

وبعد ذلك يعقب المؤلف على ما اورده من عقبات تمنع وقوع الترادف
التام فيتساءل هل هذه الاختلافات هي اختلافات في المعنى ؟ ثم يخلص الى ان
هناك مجادلات مقبولة في هذا الشأن يمكن ترتيبها في نظرتين : الاولى لا تحتم
الاخذ بتداعي المعاني عند اطلاق الكلمات ويكتفى بالمعنى العام لها . فعند اخبار
شخص ما بما تعنيه كلمة : earth فاننا لا نأخذ بالحسابان تداعي المعاني الذي
تثيره هذه الكلمة بصورة نموذجية . اي اننا لا ننتد بحقيقة الكلمة ولا نقصد

كل معانيها على وجه الدقة والتخصيص . وتبعا لهذه النظرة فان فكرة المعنى اللغوي لكلمة معينة تشمل في استعمالها بمعناها العام بغض النظر عن الاعتبارات الاخرى .

واما النظرة الثانية فهي بخلاف الاولى حيث تعول على الدقة والتخصيص في المعنى اللغوي آخذة بنظر الاعتبار كل الجوانب التي تؤثر في المعنى ، وما توحى به الكلمة وما يلازمها من معان ، ولا تحفل بالاستعمال المتداول للالفاظ في حياتنا اليومية ، وحتى الموجود في المعاجم اللغوية فانه يعد الى حد ما شأنا بسيطا لا يمكن الاخذ به بامان دليلا في المواضيع النظرية . ذلك ان المعاجم لم تعد الى مراعاة التخصيص والدقة في استعمال الالفاظ ، وأغفلت اعتبارات اخرى في المعنى مكتفية بالمعنى العام للالفاظ .

فاذا كانت فكرة المعنى اللغوي لمعرفة كلمة معينة تقوم على اساس الدقة والتخصيص واستعمالها بصورة صحيحة ، فيجب ان يصدق هذا على كل الاستعمالات والالفاظ المتداولة في حياتنا اليومية والمعاجم ، والا نكون قد استعملنا الكلمات بصورة غير صحيحة قياسا الى هذه النظرة (٢٦٢) .

وهكذا تبين لنا ان هذه العقبات التي تحول دون وتوسع الترادف التام تتعلق بفكرة المعنى اللغوي وتحليله ومن ثم النظر اليه من زوايا متعددة وذلك من حيث الجوانب النفسية والعاطفية والاجتماعية وغيرها . فهذه الاعتبارات التي اثارها المؤلف انما هي اعتبارات نظرية مثالية في الغالب مبعثها الاختلاف في وجهات النظر الى المعنى اللغوي وما يكتنفه من اشكال وملازمات ، مردها الى طبيعة واختلاف المعنى الضمني الكامن (illocutionary acts) الذي لعلم المنطق وعلم الاخلاق علاقة بتحليله والذي هو من اهتمامات فلسفة اللغة التي تمنى بذلك التحليل (٢٦٣) .

Op. Cit., p. 46.

(٢٦٢)

Philosophy of language, p. 47—48.

(٢٦٣)

وواضح ان النقطة الاخيرة « المعنى العاطفي » (emotive force) تصدق على اللغة المنطوقة لا المكتوبة وذلك لتعلقها بطريقة الاداء والنطق وحالة المتكلم عند حديثه . والحق ان الترادف التام يكاد ينعدم في اللغة المنطوقة ؛ لان طريقة التعبير وكيفية اداء الكلمات ونبرة المتكلم وحالته النفسية والموقف ، وحتى درجة صوته تؤثر في السامع اكثر من حقيقة تأثير معاني الكلمات نفسها بما تضيفه من معان والوان مختلفة وتأثيرات متباينة اكثر من حقيقة القول نفسه . على حين تنعدم مثل هذه الامور تماما في اللغة المكتوبة ؛ لانه من غير الممكن تلمس هذه الامور والوقوف عليها ، ومن هنا يبني التفريق بين الترادف في اللغة المنطوقة عن الترادف في اللغة المكتوبة .

وقد قام البروفسور كولنسن (W.E. Collinson) بمحاولة متعة لبيان الاختلافات المهمة بين المترادفات فاحصى تسعة انواع من الاحتمالات التي توضح امكانية التناوت بين المترادفات ، وتتلخص في النقاط الآتية : (٢٩٤)

- ١ - ان تكون الكلمة اكثر شولا من الاخرى نحو : (refuse - reject)
- ٢ - ان تكون الكلمة اكثر قوة من الاخرى نحو : (repudiate - refuse)
- ٣ - ان تكون الكلمة اكثر اثارا للافعال والمواطف من الاخرى نحو : (reject - decline)
- ٤ - ربما تشير الكلمة الى استحسان خلقي او استهجان ، في حين تخلو الاخرى من هذه الاعتبارات : (thrifty - economical)
- ٥ - ان تكون الكلمة اكثر استخداما من سواها نحو : (decease - death)
- ٦ - ان تكون الكلمة افضل من مرادفتها وارق اسلوبا من حيث التعبير الادبي نحو : (passing - death)
- ٧ - ان تكون الكلمة اكثر عامية من الاخرى نحو :: (turn down - refuse)

Semantics an introduction to the science of Meaning, p. (٢٩٤)
142 — 143.

٨ - ان تكون الكلمة اكثر محلية من الاخرى نحو :

(flesher - butcher)

٩ - ان تكون احدى الكلمات المترادفة ذات صلة بلغة الطفل نحو :

(daddy - father)

ويلاحظ ان بعض هذه الاختلافات متشابهة في مؤداها ويمكن جمعها تحت مسألة واحدة وذلك كما في النقطتين الثالثة والرابعة اللتين تدلان على اختلاف خلقي ، في حين ان النقاط الخامسة والسادسة والسابعة تتعلق بالمعنى العاطفي وتأثيراته . ويلاحظ على بعضها ايضا الخلط بين مستويات عدة كخلطها بين النصحي والعامية ولهجة الطفل . واللهجة وحديث الطفل هما حقيقة بعيدتان عن الانكليزية النصحي كما يقول ستيفن اولمان . وتتضمن بعض هذه النقاط اختلافات غير معنوية بين المترادفات فيما يخلط بعضها بين المعاني اللغوية الموضوعية والجوانب الاخرى من اعتبارات عاطفية واجتماعية واخلاقية وادبية تعبيرية . ومجمل القول ان هذه المحاولة في التفرقة بين الالفاظ المترادفة لم تقتصر على المعنى اللغوي المحض ، بل تجاوزته الى اعتبارات اخرى مختلفة . وهذا ما اشار اليه ستيفن اولمان في تعقيبه على هذه الفروق وفي كشفه عن طبيعتها (٢١٥) .

ونجد غير هؤلاء من الباحثين الاجانب ممن يقولون بنفي الترادف التام ايضا مستدلين على ذلك بظلال المعاني وايحاءات الكلمة وتداعي المعاني وغير ذلك تبعا لمناهجهم في النظر الى المعنى اللغوي وتحليله كما يتضح ذلك عند ريتشاردز I.A. Richards واوجدن C.K. Ogden في تناولهما المعنى اللغوي من الناحية النفسية (٢١٦) .

Op. Cit., p. 143.

(٢١٥)

Linguistics and English Grammar, by H.A. Gleason Jr., p.

(٢١٦)

429. The Meaning of meaning, by C.K. Ogden & I.A.

Richards, p. 92, 128, 206. A comprehensive English

Grammar for Foreign Students, by C.E. Eckersley,

M.A. and J.M. Eckersley M.A., p. 428.

وخلاصة القول ان اغلب الباحثين الاجانب يستبعدون كثيرا وقوع الترادف التام في اللغة ، ويرونه في الالفاظ المتقاربة في الدلالة . على حين يرى بعضهم ان الترادف التام واقع في اللغة ولكنه نادر الحدوث ، ومرد اختلافهم في ذلك الى تباين نظراتهم الى فكرة المعنى اللغوي وذلك في ضوء مناهجهم النحوية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية . ولعل اهم العقبات التي ذكرها المنكرون والتي تحول دون وقوع الترادف التام تتمثل في المعاني الاضافية والجوانب العاطفية والاسلوبية وفي احياءات الكلمة وما الى ذلك من الاعتبارات .

ويبدو ان صعوبة حصول الترادف التام بعثها ان هؤلاء لا يشترطون التطابق الكلي في معاني المترادفات حسب ، وانما يرون ان مقياس الترادف الحقيقي يقوم على مبدأ الاستماضة ، وهو ان نستبدل الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون اي تغيير في المعنى . وهذا هو المفهوم الدقيق للترادف في فقه اللغة المعاصر كما اسلفنا . فهناك كثير من الالفاظ التي تدل على معنى واحد ولكنها تختلف من حيث الاستعمال فلا يمكن ان نستعاض عن الواحدة بالاخري في جميع الاستعمالات . ولعل اقرب مثال على ذلك في العربية الفاظ الحرب والوعى والهيحاء فهي بمعنى واحد . ولكننا نقول مثلا : « الحرب النفسية » ولا يجوز ان نقول الهيحاء النفسية او الوعى النفسية وقس على هذا في كثير من الالفاظ المترادفة التي لها استعمال خاص في سياق معين لا يمكن ان تحل محلها لفظة مرادفة لها .

ولم يتبه القدامى في الغالب الى هذا الامر بل اكتفوا بالمعنى العام للمترادفات .

وحين ينكر هؤلاء المحدثون الاجانب الترادف التام ، فانهم يعولون في الواقع على وجبات نظر مختلفة الى المعنى اللغوي ، وذلك ان انكارهم يعبر عن تباين مذاهبهم في فكرة المعنى اللغوي وما يكتنفه من غموض . وكثيرا ما تجاوز هؤلاء المعنى اللغوي الى اعتبارات اخرى اجتماعية وثقافية ونفسية

وادية واخلاقية ، ما يتضح من منحاهم الذي يمتد تحليل المعنى الضمني
والعناصر المتداخلة فيه .

ولعل اهم ما نجده في هذه الاقوال اشارة بعضهم الى ان الترادف ظاهرة
غير ثابتة في الالفاظ ، لاكتساب الالفاظ المترادفة معاني مختلفة بمرور الزمن ،
وتخصص كل منها باستعمال معين حتى عد بعض اللغويين هذا الامر قانونا
كامتا في اللغة وهو ما يسمى عند (بريل) Breal بقانون التوزيع في اللغة ،
وضربوا له الامثلة في عدة لغات^(٢١٧) . وهذا يؤكد ما توصلنا اليه آتفا من
ان الترادف حالة ليست ثابتة في الالفاظ ولا مطلقة . ويمثل هذا في ان ما
كان مترادفا من الالفاظ قد يصير متباينا ، والعكس صحيح ايضا .

الفصل الرابع

كثرة الترادف في العربية

الترادف ظاهرة عرفت كثيرا من اللغات الانسانية القديمة والحديثة وقد أكدها الدارسون ، على الرغم من اختلافهم في مفهوم الترادف . ويكاد يجمع المحدثون من علماء اللغات على امكان وقوع الترادف في أية لغة من لغات البشر ، (بل ان الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة)^(١) كما أن الدراسات اللغوية القديمة والحديثة لا تخلو من ذكر هذه الظاهرة أو من الإشارة إليها . فقد عرض ليا قديما فلاسفة اليونان وعلماء الهنود في اللغة السنسكريتية القديمة . فارسطو مثلا قد اشار إليها في تقيساته للاسماء وأنواعها في كتابه (فن الشعر) وبثل ليا بأمثلة من اللغة اليونانية القديمة^(٢) وقد ذكر في كتابه الخطابية « ان الكلمات ذات المعاني الغامضة مفيدة بصورة رئيسة للشطائي اذ تمكنه من خداع سامعيه أو إيهامهم ، في حين تكون المترادفات مفيدة للشاعر ، واعنى بها الكلمات الشائعة المألوفة التي تدل عادة على المعنى نفسه مثل : advancing and

Semantics an Introduction to the Science of Meaning, p. 141

(١) في اللهجات العربية : ص ١٦٦ وينظر : الوجيز في فقه اللغة : ص ٢٨٠ .

(٢) De poetica, by Aristotle, vol, Xi, ch2 — 21 — 22 p. 1457b
1450a. translated by in gram Bywater

وينظر الترجمة العربية القديمة : تلخيص كتاب ارسطوطاليس في الشعر ، لابن رشد ، ص ١٢٧ . وكتاب ارسطوطاليس في الشعر ، ص ١١٦ ، ١١٨ .

proceeding فهاتان الكلمتان مألوفتان وتنتكآن المعنى نفسه^(٣) « كما عني بروديكوس - من فلاسفة الاغريق - وسفطائيو القرن الخامس قبل الميلاد بسألة الترادف وذلك بحكم نظرتهن الى العلاقة الطبيعية بين الكلمة ومعناها ؛ ففي مذهبهم ان الكلمة اذا كانت تاوى الشيء ذاته بصورة تامة فلا وجود للمترادفات^(٤) .

وقد عرفت هذه الظاهرة ايضا في اللغة السنسكريتية القديمة اذ اثار الهنود القدماء مشكلتي الترادف والاشترك اللفظي ؛ وجاءت عنهم بعض المؤلفات التي تجمع كلمات كلا النوعين ؛ فقد عرف عن مؤلف بوذي اسمه امارا سنها Amara Smba أنه الف معجما في المترادفات في ثلاثة ابواب والحق به فعلا عن المشترك اللفظي ؛ ويعد هذا المعجم من اقدم المعجمات الكاملة في تلك اللغة اذ يعود ظهوره الى القرن السادس الميلادي او قبله^(٥) . اخف الى هذا ان الـ Nighantu التي شرحها ياسكا Yaska تحوى خمسة ابواب ؛ تناولت ابوابها الثلاثة الاولى الفاظ الترادف ؛ وتناول الرابع الفاظ المشترك اللفظي ؛ بينما تناول الخامس الفاظا تتعلق بالالهة^(٦) . ولم يقتصر علماء هذه اللغة على وضع المعجمات للكلمات المترادفة ؛ بل ناقشوا هذه الظاهرة من بعض جوانبها كصريح « ياسكا » بأن الترادف لا ينحصر في الاسماء وحدها بل يتعداها الى الافعال ايضا . كما لاحظ باتنجالي

The Works of Aristotle, Rhetorica, translated by W. Rhys Roberts. vol, XI, Book III, 2, p. 1404b — 1405a. (٣)

وتنظر الترجمة العربية القديمة وما فيها من شروح وتعليقات بشأن فون ارسطو هذا ؛ كتاب ارسطوطاليس ، الخطابة بتحقيق : د. بدوي ص ١٨٧ - ١٨٨ و ؛ تلخيص الخطابة لابن رشد ، تحقيق وشرح د. محمد سليم سالم ص ٥٤٥ - ٥٤٦ .

(٤) الوجيز في فقه اللغة : ص ٣٠ .

(٥) البحث اللغوي عند الهنود واثره على اللغويين العرب د. احمد مختار عمر ص ٢٢ ، ٩٢ - ٩٥ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٠ .

Patanjali أن الكلمة الواحدة قد تؤدي أكثر من معنى ، وانه من الممكن
ان تؤدي اكثر من كلمة معنى واحدا^(٧) .

ان هذا يدل على شيوع هذه الظاهرة وكونها معروفة في لغات قديمة
وقد اكد وقوعها ايضا في اللغات الحديثة كثير من الدارسين المحدثين الذين
وتقنا على آرائهم فيما سبق ، حتى ليظهر أن شيوع الترادف ليس وقفا على
العربية اذ نجد ذلك في لغات اخرى ، فقد اخذ على الانكليزية مثلا - كما يروى
فندريس - تضخم مفرداتها واسرافها في المترادفات ولم يستثن الفرنسية
من هذه الظاهرة^(٨) . وقد اشار اللغوي الانكليزي "gleason" إلى كثرة
الترادف في الانكليزية أيضا لكن تلك الكثرة على رأيه لا تضاهي ما هو واقع
في العربية والهندية القديمة^(٩) . وفي الفرنسية أكثر من تسع كلمات في لهجة
واحدة للتعبير عن شيء واحد^(١٠) .

وقد وقع الترادف في العربية كسائر اللغات الاخرى . وتنبه اللغويون
العرب القدامى الى هذه الظاهرة في لغتهم منذ وقت مبكر ، نتيجة الاستقراء
وملاحظتهم الواقع اللغوي عن كتب ، فشاركوا أما أخرى في البحث عنها
مشاركة اصيلة واسهوا في دراستها بنصيب وافر . بيد أن العربية عرفت من
بين اللغات الانسانية بكثرة الترادف في ألفاظها فقد تعددت فيها الاسماء
المترادفة على المعنى الواحد الى حد المبالغة والاسراف ، حتى صارت يضرب
بها المثل في هذا المجال بين اللغات الاخرى ، ونتيجة هذه الكثرة صار
الترادف من ابرز خصائص العربية وسمة تميزها من غيرها لا تضاهيها في
ذلك لغة .

ولعل مرد هذه النظرة التي تشير الى كثرة الترادف هو اسراف وغلو طائفة
من اللغويين في هذا الامر كما اثر عنهم . ومن اشهرهم ابن خالويه القائل

(٧) البحث اللغوي عند الهنود : ص ٢٣ ، ٦٤ - ٦٥ .

(٨) اللغة : ص ٢٩٢ .

(٩)

(١٠) مجلة مجمع اللغة العربية .

(جمعت للاسد خمسمائة اسم وللحية مائتين) (١١) وقد افرد خلق من أئمة العربية كتابا في اساء اشياء مخصوصة ، ومنهم ابن خالويه الذي ألف كتابا في اساء الاسد وكتابا في اساء الحية ، وقد روى السيوطي عنه أكثر من أربعين اسما للسيف (١٢) . وذكر ابن فارس انه جرد كتابا في اساء الحجر واهداه الى الصاحب بن عباد (١٣) كما جمع حمزة الاصفهاني ما يزيد على اربعمائة كلمة للدهاية وعلق عليها قائلا : (ان تكثر اساء الدواهي من احدى الدواهي . قال : ومن العجائب ان أمة وسمت معنى واحدا بمشتين من الالفاظ) (١٤) وألف مجد الدين الفيروز آبادي كتابا ساه « الروض المملوف فيما له اسنان الى الوف » وألف كتابا آخر ساه (ترقيق الاسل لتصفيق العسل) أورد فيه ثمانين اسما للعسل (١٥) . وقد ذكر السيوطي ان الكمال أبا البركات ابن الانباري كان قد ألف كتابا أساه « قبسة الاديب في اساء الذيب » وأنه لم يقف عليه ، فتبعها من كتب اللغة ، فبلغت عنده ثلاثين ومائة اسم جمعها في مؤلف ساه « التهذيب في اساء الذيب » (١٦) .

وحين دخل أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى في مجلسه عشر برجل فقال الرجل : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما . فحمل هذا القول السيوطي على تتبعها من كتب اللغة ، فجمعها وظمها في ارجوزة ساهها : « التبري من معرفة المعري » (١٧) ومثل هذا كثير

- (١١) الصاحبي : ٤٣ - ٤٤
(١٢) المزهر : ٤٠٧/١ ، ٤٠٩ - ٤١٠
(١٣) الصاحبي : ص ٤٤
(١٤) فقه اللغة وسر العربية : ص ٢٠٩ والمزهر : ٢٢٥/١
(١٥) المزهر : ٤٠٧/١
(١٦) التهذيب في اساء الذيب للسيوطي مخطوط : الورقة الاولى
(١٧) مطبوعة ضمن كتاب : تعريف القدماء بابي العلاء : ص ٤٢٩ - ٤٣٦
واسماء الخمر وعصرها لمحمد بن الحسن بن رمضان ١١٢/٣
واسماء السحاب والرياح والامطار للزيادي ١٦٧/١ واسماء السيف
لابي سبليل الهروي ١٩٥/٢ في الحاشية ، والدواهي لمحمد بن الحسن
الاحول ٩٢/٢ والسيف لابي عبيدة ٢٨٦/٢ والسيف والرياح للسجستاني
٦٢/٢ وتفتية ما اختلف لفظه واتفق معناه لليزيدي ، لابن خالويه ٢٢٥/١

لدى القدامى من مبيات ذكروا لها اساء كثيرة أو خصوصها بأبواب من كتبهم أو أفردوا لها كتابا متقلا^(١٨) . والناظر الى كتاب المخصص لابن سيده يجد فيه كثيرا من هذا النحو اذ جمع فأوعى ولعله أبرز وأضخم الكتب في هذا الشأن .

وقد صنف جماعة من المحدثين في هذه المسألة وأفردوا لها كبا جمعوا فيها كثيرا من الاساء للشيء الواحد ، ولكنهم لم يبلغوا فيها ما بلغه القدامى في العالب . ومعظم ما فيها نقول عما ذكره القدامى من قبل . ومن هذه الكتب مثلا : « غرائب اللغة العربية » للاب رفايل نخلة اليسوعي و « قاموس المترادفات والمتجانسات » للمؤلف نفسه . و « معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض » لنجيب اسكندر ، وكتاب (نجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد) للشيخ ابراهيم اليازجي . وللدكتور حين محفوظ كتاب في المترادفات مرتب على حروف المعجم^(١٩) . وقد جمع المستشرق دوهايم (De Hammer) المترادفات العربية التي تتعلق بالجعل وشئونه ، فبلغت أكثر من أربع وأربعين وستمائة وخمسة الاف كلمة^(٢٠) .

ان هذه الكثرة من الاساء للشيء الواحد في العربية على هذه الشاكلة قد جعلت بعض الباحثين يعدها ما اختصت به العربية وامتازت بها من سواها ومع أن الترادف أو تعدد الاساء المختلفة للشيء الواحد واقع في لغات أخرى كما أسلفنا ، فإن هذه الوفرة من الاساء في العربية ادهشت الباحثين وأثارت شكهم وحيرتهم . فكانوا بين مستغرب لها ومتعجب منها ، وبين مفتخر بها

- (١٨) في كتاب « انباء الرواة على انباء النحاة » للقطبي كثير من هذه الكتب ، نذكر منها : اساء الخمر للاصمعي ٢٠٣/٢ في الحاشية ،
واساء الخيل لابي عبيدة معمر بن المثنى ١٨٦/٢
واساء الدواهي عند العرب للمبرد ٢٥٢/٣
واساء الاسد لابن خالويه ٣٢٥/١
واساء الاسد لابي سهل الهروي ١٩٥/٣ في الحاشية .
- (١٩) مخطوط في خزائنه الخاصة
- (٢٠) لغة اللغة د . وافي ص ١٦٩ والعرب والعربية للبيدروسى ص ١٠٩

أو مستكر لها ، حتى عدّها بعضهم من غرائب هذه اللغة واعاجيبها . فالذين يقولون بالترادف منهم يرونه من دلائل فضل العربية تفخر به على غيرها ، وخصيصة من خصائصها الشرفة اللطيفة ، ودليلا على سعة هذه اللغة وغناها وثراء مفرداتها في التعبير . ومن أجل هذا يعدون هذه الثروة اللفظية منغرة للعربية ومدعاة للاعتزاز والمباهاة كما ذهب الى ذلك ابن جني (٢١) والباقلاني (٢٢) ومن تابعهم من المحدثين . على حين يرى آخرون خلاف هذا الرأي تماما ، فينظرون الى هذه الظاهرة من ناحية أخرى هي ثلب العربية واتهامها بالاسراف في المفردات والتعبير عن الشيء الواحد بسيل من الالفاظ لا ضرورة لها . ومن هؤلاء السيوطي « مرسية » الذي كتب تقريرا مطولا وحم في العربية بانها لغة « مائة » لا تعرف تحديد الالفاظ ولا الصفات (٢٣) كما عد « آرنست فيشر » هذه الظاهرة دليلا على بدائية اللغة (٢٤) . ومنهم من رآها أمرا غير طبيعي أو انه عبث واصطناع لا طائل تحته ، فوقف ازاءها موقف الشاك المرتاب وهو ما ذهب اليه الدكتور طه حسين (٢٥) . حتى دعا بعضهم الى اطراح كثير من المترادفات واستبعادها من المعجمات العربية مناديا بما سناه بالتأقلم في المترادفات بسبب كثرتها واتقاء الحاجة اليها ، وهو ما اقترحه المرحوم أحمد أمين (٢٦) .

ونرى ان القائلين بالترادف في العربية قد غالوا فيه وأسرفوا كثيرا ، بزعمهم المثات أو الالوف من الاسماء المترادفة للمسمى الواحد فجانبوا الصواب كثيرا . وأما الذين اتحموا باللائمة على العربية بسبب هذه الكثرة التي علوها من مثالبها ومعاييبها ، فانهم سلموا بهذه الكثرة وكأنها حقيقة من غير أن يتبينوا

(٢١) الخصائص : ١٢١/٢

(٢٢) اعجاز القرآن : ص ٤٤ - ٤٥

(٢٣) النثر الفني في القرن الرابع د . زكي مبارك : ٦٤/٢

(٢٤) ضرورة الفن : ص ٣٣

(٢٥) النثر الفني في القرن الرابع : ٤٦/٢ - ٤٧

(٢٦) فيض الخاطر : أحمد أمين ٢١٥/٢ وما بعدها .

طبيعتها واسبابها ، فجاء حكمهم دون وجه حق وبعيدا من مفهوم البحث اللغوي الوصفي .

ولا بد لنا هنا ان نأل هل هذه الكثرة من الاسماء كأن يكون للمسى الواحد مئات من الالفاظ هي حقيقة ؟ وهل هي مترادفة حقا ؟ هذا ما سنكشف عن صحته في جملة امور :

١ - التطور الصوتي :

أورد القدامى كثيرا من الالفاظ للمسى الواحد وعدوها من باب المترادف من نحو : جذب وجبذ ، والباسب والبابس للصحراء ، وصاغة وصاغة ، واضحل واضعل ، وجذب وجذف للقبر ، وحبر وبهر وبهر للقصير^(٢٧) ، والرساطون والرساطون^(٢٨) ، والترباق والطريق والطراق والدرياق والدراق والدرياقة^(٢٩) ، للخضرة . ويقول الفيروز آبادي (ومن اسمائها الازفند والازفند والاسفند والاسفند والاسفندة والاصفند والاصفندة بكسر الهمزة وكسر الفاء في الكل وقد يفتح الفاء في الجميع^(٣٠)) ومن امثلة الترادف في اسماء العمل عند القدامى ألفاظ نحو : الضرب والضربة والضرب ، والحمت والتحنوت ، والظرم والظرم والظرام والظريم ، والدستشار والمستشار ، والشهد والشهد ، والشثوث والشثوث والسنة . والمزج والمزج ، والطن والطن ، وغير ذلك وأكثر أسماء العمل الثمانية هي من هذا النحو^(٣١) . ومن أسماء السيف المترادفة عند القدامى ألفاظ من نحو : الهذام والهذوم ، والهذاذ

(٢٧) لقد سبقت الإشارة الى مثل هذه الالفاظ وأثبتنا مصادرها

(٢٨) الجليسي الانيس : ورقة ٦٣ ا - ب وورقة

(٢٩) المصدر السابق : ورقة ٢٤ ا وورقة ٨٢ ب

(٣٠) الجليسي الانيس : ورقة ٢٩ ب وورقة ٣٠ ا

(٣١) الزهر ٤٠٧/١ - ٤٠٨

والهَيْدَهَاذُ ، والهَيْدَاهِيذُ والمِهْدَمُ ، والمِهْدَمُ والهَيْدَمُ والنِي
والهَيْدَمُ كِي وغيرها^(٣٢) . واغرب من هذا أن نجد من أمثلة الترادف عندهم
الفاظا مثل : أَجَلِك وإِجْلِك وإِجْلِك وإِجْلَالِك وإِجْلَالِك ، وَجَلَلِك
وَجِرَّالِك^(٣٣) . وهناك الكثير من الالفاظ التي وردت على هذه الشاكلة وقد
بلغت العشرات أحيانا للمسى الواحد ، فعدها القدامى من مرادفاته كما في
اسماء الخيرة والداهية والموت والسيف والعلل وأساء التعير والطويل
والجميع والشيء البالي والاصل وغيرها مما زعموا لها العشرات أو المئات
من الاسماء المترادفة^(٣٤) . بل انهم اسرفوا في ذلك حتى عدوا أقل اختلاف
في بنية الكلمة أو صيغتها من باب الترادف .

ان مثل هذه الالفاظ الكثيرة التي وردت في اللغة على هذا النحو ليست
من الترادف في شيء ، بيد أن القدامى توهموا أصالة اللغات فيها فعدوها
مترادفة . فاللغة في الحقيقة واحدة وقد اختلفت صورها وصيغها لعوارض
صوتية طرأت عليها ما نتج عنه اختلاف صورة اللغظة الواحدة في نطقها
فنشأ من جراء ذلك هذا التعدد في صورة الكلمة الواحدة وفي لفظها وذلك
بسبب التطور الصوتي على سبيل القلب والابدال واختلاف الناطقين بها
باختلاف الزمان والمكان . والقلب والابدال ظاهرة صوتية شائعة في كلام
العرب . يقول ابن فارس : (ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكلمة
ويكون في القصة . فأما الكلمة فقولنا : جذب وجذب ، وبكل ولبك ، وهو
كثير قد صنفه علماء اللغة)^(٣٥) ويقول أيضا : (ومن سنن العرب ابدال الحروف
واقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون : ملحه ومدهه ، وفرس رقل ورفن ،
وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء)^(٣٦) .

(٣٢) المصدر السابق : ٤٠٩/١ - ٤١٠ .

(٣٣) المصدر السابق : ٤١١/١ .

(٣٤) المصدر السابق : ٤٠٧/١ وما بعدها .

(٣٥) الصحابي : ص ٢٠٢ وينظر تفصيل ذلك في الزهر : ٤٧٦/١ وما بعدها .

(٣٦) الصحابي : ص ٢٠٣ وينظر تفصيل ذلك في الزهر : ٤٦٠/١ وما بعدها .

وما نستدل به على أن هذه الالفاظ ليست مترادفة حتا اشارة بعض اللغويين صراحة الى أنها من باب القلب . ففي اللسان عن الازهري : (ومن المقلوب الموائد والمآود الدواهي^(٢٧)) وفيه أيضا : (والمآود والموائد ، الدواهي وهو من المقلوب)^(٢٨) . ولا أدل على ذلك من قول الاصمعي في الصور اللفظية الكثيرة لكلمة اصفنط اسم للخمرة : (وأصل الكلمة رومية تلاعبت فيها العرب بالتصرف)^(٢٩) وقول الازهري في الرساطون بأن أهل الشام يسمون الخمر الرساطون والرساطون ، وبعضهم يقول الرشاطون^(٤٠) .

وقال أبو عبيدة : (العَوَطْبُ والعَوْبَطُ : من أسماء الداهية ، قال ابن دريد : كأنه مقلوب عنده)^(٤١) .

ويبرز هذا ما ذهب اليه بعض المحدثين من أن هذه الصور اللفظية العديدة للكلمة الواحدة ، ما هي الا من قبيل التطور وليست لغات مستقلة يقول الدكتور ابراهيم السامرائي : (نستطيع أن نقرر أن ما يسي في كتب اللغة والنحو « لغة » من الاستعمالات غير المألوفة ، أو قل غير الصحيحة تلك الاستعمالات التي نسبت الى هذيل أو عقيل أو اسد أو طيء أو غير هؤلاء ، لم يكن الا من قبيل هذا التطور في اللغة ، ثم نسب اعتبارا لفئة معينة من الناس)^(٤٢) والى مثل هذا ذهب الدكتور ابراهيم أنيس في قوله : (حين نتعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الابلال حيننا ، أو من تباين اللهجات حيننا آخر ، لا نشك لحظة في أنها جميعا نتيجة التطور الصوتي ، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها ، نستطيع أن

(٢٧) اللسان مادة ميد : ٤١٢/٣ .

(٢٨) اللسان مادة اود : ٧٤/٣ - ٧٥ .

(٢٩) الجليس الانيس : ورقة ١٣٠ .

(٤٠) اللسان (رسط) : ٢٠٤/٧ .

(٤١) الزهر : ٤٧٧/١ .

(٤٢) التطور اللغوي التاريخي : ص ٢٣ .

نشرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والآخرى فرع لها أو تطور عنها (٤٣) . وعلى هذا الرأي أيضا المشتق برجتراس الذي ذكر أن العربية كثيرا ما احتفظت بالصورة الأصلية للكلمة مع الصورة الجديدة ، أي التي طرأ عليها التقديم والتأخير . فأحيانا يمكن معرفة أيتهما هي الأصلية بالرجوع إلى اللغة العربية وحدها كما هو الحال في كلمة مزراب ومرزاب ، فحيث أن الفعل منها زرب لا رزب يتقرر أن الكلمة الأصلية مزراب وأن مرزاب مقلوب عنها . وأحيانا نحتاج إلى استعراض الكلمات المقابلة لها معنى في سائر اللغات السامية . ومثال ذلك أننا نجد في العربية شمآل وشمآمل أي الشمال ، ونرى في العبرية أن شمآل هو الأصل وشمآمل مقلوب عنه . وأمثال التقديم والتأخير أي القلب المكاني عديدة جدا في العربية (٤٤) . كما ذهب إلى أن ظاهرة إبدال الحروف في العربية هي من قبيل التطور الصوتي (٤٥) ويقول برجتراس في هذه التغيرات التي طرأت على الالفاظ العربية نتيجة الإبدال والقلب في حروفها : (وهذه التغيرات كلها ما ساء قدام العرب أصولا مطردة ، ونحن نبيه قوانين صوتية) (٤٦) .

إن مثل هذه الكلمات ليست من الترادف البتة ذلك أنها لم تكن كلمات مستقلة بعضها عن بعض تماما ، وإنما هي كلمات كانت ذات أصل واحد ، ثم تطورت صورتها بسبب من عوامل التطور الصوتي . وما هذا الاختلاف الذي يبدو في صورة الكلمة الواحدة إلا اختلاف ظاهري . وقد أصاب المحققون من المحدثين كثيرا حين اشتملوا لتحقيق وقوع الترادف إلا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر ، وعدوا أمثال هذه الكلمات مترادفات وهمية (٤٧) . وفي ضوء هذه الحقيقة جمع الدكتور أنيس عشرات

(٤٣) من اسرار اللغة ص ٧٥

(٤٤) التطور النحوي للغة العربية : ص ٢٢ - ٢٣

(٤٥) المصدر السابق : ص ٢٣ - ٢٩ وص ١٥-١٦

(٤٦) التطور النحوي : ص ١٦

(٤٧) في اللهجات العربية : ص ١٦٧

من هذه الكلمات التي لحقتها التطور الصوتي من ابدال وقلب ، والتي كان القدماء قد حسبوها مترادفات فبين العلاقة الصوتية بينها ، وكيف تطورت الى صور متعددة (٤٨) .

غير ان الامر المشكل في هذا الضرب من الالفاظ هو تلك الالفاظ التي حدث فيها ابدال وليس ثمة علاقة صوتية واضحة بين حروفها . فهل هي كلمات مستقلة تنعد من المترادفات ، أو انها نتيجة التطور الصوتي ليس غير ؟ ان بعض المحدثين ممن يشترط في الابدال أن تلاحظ علاقة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه ، نظروا الى تلك الكلمات على انها أصلية ، مستقلة تمام الاستقلال ، فعدوها مترادفات . وهذا ما ذهب اليه عز الدين التنوخي محقق كتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي حين عرض لألتباس الترادف بالابدال وحكم على بعض المبدلات التي وردت في هذا الكتاب بالترادف بسبب عدم وجود ترابط صوتي بين حروفها كالبدال واللام في (عذب العين هلبها) لان الدال نطعية واللام ذلقية ، وتمتاز الدال بالأصمات والقلقة ، ولهذا يرجح انهما اصلان مستقلان ، وانهما بالترادف أشبه منهما بالتعاقب . ومثلها المعد والمعدل ، والكنبند والكنبئل ، وسائر ما ذكره أبو الطيب في باب الدال واللام (٤٩) . والى مثله ذهب الدكتور أنيس إذ ذكر ان معظم الكلمات المبدلة الحروف التي رواها ابن السكيت يمكن تفسيرها بالتطور الصوتي فيما يسمى بالابدال وذلك لوضوح الصلة الصوتية بين كل حرفين ، وعد ما سوى ذلك صورة أصلية مستقلة تمام الاستقلال عن الصورة الأخرى لعدم وضوح الصلة الصوتية بين حروفها ، ومن ثم عدتها مترادفات (٥٠) .

ونحن نتبع كل المبدلات من الترادف سواء لاحظنا بين حروفها المبدلة علاقة صوتية أم لم نلاحظ . ذلك أن اللغويين والنحويين على خلاف في ظاهرة

(٤٨) في اللهجات العربية : ص ١٧٢ - ١٨٠

(٤٩) مقدمة ابدال أبي الطيب : ٢٧/١ وينظر : الانداد في اللغة ص ٢٠

(٥٠) من أسرار اللغة : ص ٧٥ ، ٨٢

الابدال ، فمنهم من يشترط تلك العلاقة الصوتية فيها ومنهم من يتوسع فيها بحيث يشمل الابدال جميع الحروف ولا يشترط تلك العلاقة فأبو الطيب اللغوي في كتابه لم يشترط في الابدال تقارب المخارج كما اشترطها ابن السكيت مثلاً^(٥١) ، فضلاً عما ورد في كتب القلب والابدال نفسها من الفاظ بدلة عن العرب وليس بينها علاقة صوتية واضحة^(٥٢) . والرأى الراجح أن هذه العلاقة هي الغالبة في المبدلات ، ولكنها ليست مسألة قياسية مطردة في كل الاحوال عند اللغويين كما هي عند النحويين . يقول الدكتور ابراهيم السامرائي : (اما الابدال اللغوي فكثير ولا يحصره ضابط . وقالوا : ان الابدال يعرض لكثير من اصوات العربية . وهو عندهم اقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة ؛ وهكذا تترك الكلمتان أو الكلمات بحرفين أو أكثر ويبدل حرف منها بحرف آخر قد يكون قريباً منه في نشأته من جواز النطق أو قد يشتمل على شيء من خواصه ، وقد يكون بعيداً منه)^(٥٣) .

وقد ينشأ الابدال في الفاظ نتيجة التصحيف والتحريف فتجد هذه المبدلات طرقتها الى اللغة^(٥٤) نحو : « أعلت الابل وأغللتها » وقد نص الأزهري على أنها تصحيف^(٥٥) . وقد ينشأ نتيجة الخطأ في السمع مثل : (عسيق التي تبدل غميق ومنها غامق ، أو تسمع (جدث) فتصبح (جدف)

(٥١) الإضداد في اللغة ص ٢٠ وأمالى القالي ١٨٦/٢ والمزهر ٤٦٠/١-٤٦١ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٥٢) الابدال لابى الطيب اللغوي :

والقلب والابدال لابن السكيت = الكنز اللغوي في اللسان العربي ، الصفحات ٢٨-٣٠ ، ٤١-٤٢ ، ٤٦-٤٧ ، ٦٣-٦٥ . والمزهر : ٤٦٠/١ وما بعدها .

(٥٣) التطور اللغوي التاريخي : ص ١٠٦ .

(٥٤) من اسرار اللغة ص ٨٤ - ٨٥ .

(٥٥) لسان العرب مادة علل : ٤٦٨/١١ .

وهي موجودة في القرآن (٥٦) كما انه قد يحدث بسبب لثغة أو غيرها من عيوب النطق . وقد أشار الخليل الى هذا الامر حين قال في الذعاق والزعاق :
 (سعناه فلا ندري الةة هي أم لثةة) (٥٧) وقال الجوهري : (يقال : فلان من جنثك وجنثك ، أي من أصلك ، لةة أو لثةة) (٥٨) وقال أيضا (اللهس : لةة في اللّحس أو ههجة) (٥٩) ، أي لثةة ، ولالتباس هذه الامور بالابدال واختلاطها به فليس من الصواب قصر تفسيره على العلاقة الصوتية حسب .

ومن أجل هذا كله لا يمكن عد مثل هذه الألفاظ المبدلة أو المقلوبة أو التي فيها اختلاف نثيف في البنية أو الحركات من المترادفات خلافا لمن ذهب من القدامى الى ذلك متوهين أنها لغات مختلفة لمعان متشقة ، وخلافا لمن تابعهم من المحدثين . وهذا أحد اسباب مغالاة القائلين بالترادف واسرائهم فيه بعدهم هذه الكلمات من المترادفات وهي ليست منه بمعنى الترادف الدقيق . وإذا ما علمنا أن هناك العشرات من هذا الضرب من الألفاظ وأن الكلمة الواحدة قد تختلف بنيتها فتتعدد صورها فتبلغ عشرة أو أكثر أدركنا ما لهذا السبب من أثر في كثرة الترادف في العربية .

٢ - الفخر والاعتزاز :

عنى جماعة من اللغويين بجمع أسماء الشيء الواحد وتتبعها من كتب اللغة ، ومحاولة الاكثار منها بشتى السبل قدر الامكان . وقد صار هذا غرضا لهم في الغالب يتسابقون نحوه ويتفاخرون به . فتجد الواحد منهم يزعم أنه قد جمع لسمى معين كذا من الألفاظ معتزا بتباهايا ، فيستدرك عليه الآخر بالفاظ أخرى وهكذا . . فلم يكونوا يهدفون من وراء ذلك الى غاية

(٥٦) الاضداد في اللغة : ص ٢١

(٥٧) العين : ص ١٦٨

(٥٨) الصحاح (جنث) : ٢٧٧/١

(٥٩) نفه مادة لهس : ١٧٢/٢ .

لغوية بتدرما هو منافسة في المفاخرة والمباهاة بجميع الاسماء الكثيرة للشيء الواحد . فلم يتحرج بعضهم من القول أنه يعرف للشيء العشرات أو المئات من الاسماء جاعلين من ذلك آية على سعة حفظهم ومعرفتهم اللغوية . كما جملوا منها مائة للعربية وسعة اتردت بها على بقية اللغات . وللتدليل على أن لفظة العرب أفضل اللغات وأوسعها وان هذه ما اختصت به دون سواها ، وهذا مظهر من مظاهر الفخر عندهم ايضا .

ومن أجل هذا راحوا يجمعون مختلف الالفاظ للشيء الواحد حتى وان كانت متقاربة في المعنى أو من باب المشترك اللفظي أو ما اختلفت صورها اختلفا طفيفا . أو ما هو من صفات الشيء وانواعه ، أو ما كان مهجورا سائا ، أو من الالفاظ الغريبة أو النادرة ، أو التي ليست بثبت ولم ترد عن العرب ، فكان ان تزيدوا فيها كثيرا واغربوا ، جاعلين من ذلك مسألة تعجيزية اشنوها على اللغة وعلى انفسهم ، من اجل شهرة أو حظوة أو جبا في المبالغة ، فقد سأل الرشيد يوما الاصمعي عن شعر لابي حزام العكلي ، فسره ، فقال الرشيد له : (يا اصمعي : ان العرب عندك لغير غريب) فقال : « يا امير المؤمنين الا اكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما » (٦٠) ولا ادل على مبلغ تفاخرهم بهذا من قول ابي العلاء المعري في مجلس الشريف المرتضى لرجل عثر به فقال له : من هذا الكلب ؟ فقال ابو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما (٦١) . فجعل عدم معرفة هذه الاسماء معرفة ومنقصة . ما حمل السيوطي على جمع هذه الاسماء ونظمها في ارجوزة « بنية التبري من معرفة المعري » كما اسلفنا .

ولا نحسب ابن خالويه حين قال في مجلس سيف الدولة الحمداني وبحضرة جماعة من العلماء : (أحفظ للسيف خمسين اسما) (٦٢) الا متباها فخورا بسعة معرفته وكثرة حفظه .

(٦٠) الصاحبى : ص ٤٤

(٦١) تعريف القدماء بابي العلاء : ٤٢٩ .

(٦٢) الزهر : ٤٠٥/١

ولم تكن كثرة الاسماء للشيء الواحد موضع فخر واعتزاز اصحاب
 الترادف حب ، بل نجد بعض منكري الترادف بعناه التام من يذهب الى
 ذلك أيضا ويعدده دليلا على أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وأنه من
 أسرار تفوقها على غيرها . وهذا ما عبر عنه ابن فارس حين قال : (لو احتجنا
 الى أن نعبر عن السيف و اوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك الا باسم
 واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الاسد والنرس
 وغيرها من الاشياء المسماة بالاسماء المترادفة . فإين هذا من ذلك ؟ وأين
 لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟) (٦٣) وقال ايضا : (وما لا يمكن
 نقله البتة اوصاف السيف والاسد والرمح وغير ذلك من الاسماء المترادفة ،
 ومعلوم أن العجم لا تعرف للاسد غير اسم واحد ، اما نحن فنخرج له
 حين ومائة اسم) (٦٤) . ولعل هذا الامر هو الذي دفع ابن فارس الى أن
 يؤلف كتابا في اساء الحجر يهديه الى الصاحب بن عباد (٦٥) .

ان للتفخر والاعتزاز اثرا واضحا في جمع الاسماء الكثيرة للشيء الواحد
 والمغالاة في ذلك ولعله بسبب من هذا كثر الخلط في طائفة كبيرة من الاسماء
 ذلك أننا نجد اسما بعينه على انه من اسماء الخضرة ثم نجده اسما للعمل فن
 ذلك مثلا : العرخدي والماذية والشراب والغرب واليانية والسلاف والسلافة
 والصعباء والاصبحانية : فقد اورد الفيروز آبادي هذه الاسماء من جملة
 اسماء العمل (٦٦) ثم ذكرها في كتاب آخر له اساء للخضرة (٦٧) . ومن اسماء
 العمل ما هو مشترك بينه وبين الثمر نحو : الحبيت والطن (٦٨) ، وقل مثل
 هذا في اسماء الداهية والموت والقتل والحرب والمنية والمصائب والكوارث

(٦٣) الصاحبى : ٤١

(٦٤) نفسه : ٤٢

(٦٥) نفسه : ٤٤

(٦٦) الزهر : ٤٠٧/١ - ٤٠٩

(٦٧) الجليس الاتيس :

(٦٨) الزهر : ٤٠٧/١ - ٤٠٨

والامراض حيث نجد كثيرا من الالفاظ مشتركة بين هذه المسيات ، كما نجد اساء كثيرة مشتركة بين الاسد والذئب والثعلب وابن آوى والكلب والضبع والسنور والارنب والدب وغيرها من ضروب الحيوان . وخير مثال على ذلك ما جاء في اساء الكلب والذئب التي جمعها السيوطي ، وأفرد لها كتابين^(٦٩) . ولعل اغرب ما في هذا الخلط قول بعضهم ان الطيثار من اساء الاسد ، وقول بعضهم الاخر انه البعوض^(٧٠) .

تبين من هذا. كله مدى تزيد هؤلاء واسرائهم في الامر من أجل جمع الكثرة من الاساء للشيء الواحد والتباهي بها . فان كانت مثل هذه الاساء صحيحة في دلالتها فهي ليست من الترادف ، بل من قبيل المشترك اللفظي وان لم تكن كذلك فهي من قبيل الخلط والوهم .

٣ - النظرة التاريخية :

نظر القدامى في جمعهم للترادفات نظرة تاريخية من غير تقييد لها بالزمان والمكان ، وجمع المترادفات على هذا النحو قد اوقعهم في خطأ منهجي ذلك أنه لا يصح النظر الى المترادفات نظرة تاريخية اذ ان من شروط تحقق وقوع الترادف الاتحاد في البيئة اللغوية والاتحاد في العصر ، أي أن تكون الالفاظ المترادفة مقيدة بزمان ومكان معينين . غير ان القدامى اغفلوا هذا الجانب وتتبعوا الكلمات الدالة على معنى واحد في مختلف العصور غاضين النظر عن اتحادهما في الزمان والمكان والبيئة حتى وان كانت هذه الكلمات مهجورة أو مساة ، فكل كلمة تدل على السيف أو على الاسد او على الجمل جمعوها وان اختلف زمانها ومكانها ثم عدوها من المترادف . ان مثل هذا المنهج قد جعلهم يرون ان للشيء الواحد العشرات أو المئات من الاسماء ، ولو اتهم نظروا اليها - هذه الاسماء - نظرة وصفية

(٦٩) التبري من معرفة المعري : ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء : ٤٢٩-٤٣٦ ؛
والتهذيب في اسماء اللبب الورقتان الاولى والثانية .

(٧٠) المخصص : ٦٠/٨

وقيدوها بيئة معينة ضمن زمان ومكان محددين لتبين لهم ان القلة منها مستعملة وما سواها مهجور ، او غير معروف البتة ، ومن هنا يمكن القول ان هذه الكثرة من الاسماء التي رووها للشيء الواحد لم تكن مترادفة بمعنى الترادف الدقيق ، والا فبئس يعقل ان المئات من أسماء الشيء الواحد قد كانت مستعملة على لسان الرجل الواحد في زمان معلوم بمعنى بعينه ؟ ، يقول الازهري ان (أهل الشام يسون الخمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه) . وقد كان أبو هريرة يجهل لفظ السكين لولا تلك المصادفة اللغوية التي عرف بها ترادف السكين والمدية في حضرة الرسول (ص) . ان هذه المترادفات الكثيرة لم تكن كلها معروفة ولا مستعملة عند جميع العرب وانا تلقفها الرواة من مختلف البيئات على اختلاف الزمان والمكان ثم جمعها اللغويون من بطون الكتب ، فهي على هذا ليست جميعها مترادفة حقا ، ولو كانت هذه الالفاظ معروفة لدى جميع العرب لما قال ابن خالويه مفتخرا بأنه يحتفظ خمسين اسما لليف ولما قال المعري الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما ، وقد سبق ان اشرنا الى هذه الناحية في ثنايا هذا البحث .

كما انه ليس من الصواب ان ننظر الى المترادفات من غير تقييد استعمالها بزمان معلوم ومكان معين ، أو أن نخلط بين مستويات عدة من الاستعمالات اللغوية ثم نزعم ان هذه الالفاظ جميعا مترادفة ، ولعل اقرب مثال على ذلك ما كان من اسماء أيام الاسبوع واسماء الشهور في الجاهلية التي أميتت ثم استبدلت بها اسماء اخر فيما بعد^(٧١) ، فهل يصح ان نعد مثل هذه الالفاظ مترادفات ؟ .

لقد تناسى هؤلاء في نظرتهم الى المترادفات وجمعها على هذا النهج ان اكثر هذه المترادفات قد صارت من الثروات الضائعة التي لا يحتاج اليها ، ثم تصيدها الرواة من مختلف ارجاء الجزيرة حبا في المبالغة والاعراب^(٧٢) ولم

(٧١) الايام والليالي والشهور للفراء ص ٦ والزهر ١/٢١٨ - ٢٢٠ .

(٧٢) النشر الفني في القرن الرابع : ٦٤/٢

تتكن تنسي الى بيثة واحدة أو عصر بعينه . بل منها كثير من الجهل والمات
والمتروك ، وهو : « ما كان قديما من اللغات ثم ترك واستعمل غيره » (٧٣)

٤ - الوضع والوهم والخطا :

لقد لجأ بعض اللغويين والرواة الى الاختلاق والاصطناع في المعاني
والالفاظ لتأييد مسألة معينة أو بسبب ما كان من المنافسة الشديدة بينهم
بغية ان ييز احدهم الآخر وليظهر انه عارف باللغة ، فرائدها وغريبها ونوادرها
ولئلا يخرج في مناظرة أو مجلس أو لينال حظوة أو شهرة ، فربما قضى على
عالم سئل عن كلمة لم يعرف معناها أو عن مسى يجهل اسمه ، وغير ذلك
من الدوافع التي كانت تحل بعضهم على الكذب والاختلاق والتزويد ، وهذا
امر معروف لدى الدارسين ، وقد كان من آثاره تكذيب بعضهم بعضا وقدح
بعضهم في بعض ، وقد عرف بعضهم بهذا واشتهر وليس امر حماد الراوية
وخلق الاخر بخاف .

وبسبب ذلك وجدت طائفة من الاسماء الموضوعة المختلقة ثم أخذت
طريقها الى اللغة ، وادت الى كثرة الاسماء للشيء الواحد . فقد اورد ابن جنى
بابا في كلمات من الغريب لا يعلم احد أتى بها الا ابن احمر الباهلي (٧٤) . كما
روى عن رؤبة وايه العجاج انهما كانا يرتجلان النافلا لم يسماها ولا سبقا
اليها (٧٥) . وقد افرد السيوطي بابا ساء : « معرفة ما روى من اللغة ولم
يصح ولم يثبت » (٧٦) ، أورد فيه الكثرة من هذه الالفاظ .

ومن آثار هذا السبب ما جاء مثلا بشأن « الزَوْبَر » اسما للداهية على
قول بعضهم . قال ابن برب : لم يسمع بزَوْبَر هذا الاسم الا في شعر ابن
احمر : وكذلك لم يسمع باموسة اسما علما للنار الا في شعره . وكذلك

(٧٣) المزهري : ٢١٤/١ .

(٧٤) الخصائص : ٢١/٢ - ٢٨ ، والمزهري : ١١٧/١ .

(٧٥) الخصائص ٣٦٩/١ .

(٧٦) المزهري : ١٠٢/١ وما بعدها .

سي حوار الناقة بابثوسا ولم يسمع في شعر غيره ، وسسمى ما يلف على
 الرأس أُرْهَنة ولم توجد لغيره (٧٧) . ومن ذلك ما قاله الأزهري : (أخطأ
 الليث في غير شيء ما نسر ، فنينا قوله : الشَّرْشَر : الكلب ، وأنا الشرشر .
 نبت معروف ، قال : وقد رأيت في البادية تسن الأبل عليه وتفزر ، وقد ذكره
 ابن الأعرابي وغيره في أساء نبوت البادية) (٧٨) . ولا أدل على ذلك ما
 نص عليه ابن الأنباري في بعض أساء الخمر بقوله : (الفَيْهَج اسم مختلف
 للخمر ، وكذلك التَنْدِيد وأم زَنْبَق) (٧٩) .

ولعل من أمثلة المصطنع اللغوي واقتعال الخطأ خبر « التبعض » إذ
 يروى أن جماعة قطعوا البيت :

أبا منذر اتيت فاستبق بعضنا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض .

فعرض لهم من تعميلاته « ق بعضنا » فجاءوا الى المبرد وسألوه :

ما التبعض ؟ فقال : التطن ، وأنشد :

كان سناما حسي التبعضا (٨٠) .

ومثل هذا ما جاء في أخبار أبي عمرو الزاهد المعروف بغلام ثعلب من
 أنه يولد الألفاظ على طريقة الاصطناع والوضع . فقد قصده جماعة للاخذ
 عنه ، فتذكروا في طريقهم عند قنطرة هناك : أكاره وكذبه ، فقال أحدهم :
 اصحف له اسم هذه القنطرة وأسأله ، فانظروا ما يجيب ؟ فلما دخلوا عليه قال
 له : إجا الشيخ ما « البرطنق » عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا ، فضحكوا
 وانصرفوا (٨١) .

(٧٧) اللسان مادة زبر : ٢١٦/٤ - ٢١٧ ، والتنبه على حدوث التصحيف .

لحمزة الاصفهانى : ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٧٨) اللسان مادة تشر : ٩٢/٥ .

(٧٩) اللسان مادة فنج : ٢٤٩/٢ .

(٨٠) نزهة الالباء : ص ١٥٠ وارشاد الارب : ١٢٨/٧ وجمهرة الامثال :

٦٧/١ - ٦٨ ونيه أمثلة اخرى على ذلك

(٨١) انباه الرواة : ١٢٧/٣ وفقه اللغة المقارن : ص ١٨٢

ومما يكن من صحة هذه الاخبار فانها تدل على ان مثل هذا الامر قد وقع في اللغة ، مما نشأ عنه الكثرة من الاسماء للشيء الواحد والمبالغة فيها ، وهذا ما اشار اليه الدكتور ابراهيم السامرائي في تعليقه على مثل هذه الاخبار بقوله انه (يدل على ان شيئا من هذا قد وقع بحيث صارت العربية غنية بالالفاظ الموضوعية لمعنى واحد ، ومن هنا نشأت مشكلة الترادف في العربية . وهي في حقيقتها لا تعدو ان تكون أثرا من آثار الاصطناع وتوليد المعاني على هذه الطريقة) (٨٢) .

فهذه الاخبار ونحوها وتلك الالفاظ التي نص بعض اللغويين على وضعها واختلافها تدل على ان بعض الرواة وبعض علماء اللغة اضافوا كثيرا من الاسماء ولا سيما الغريب منها ، ودخل ما اضافوه في اللغة والاستعمال . وهذا لون من ألوان التوليد ، وهو اختراع محض (٨٣) . وقد اشار غير واحد من المحدثين الى ما للاختراع والتوليد والوضع من اثر في كثرة المترادفات ، ووفرتها فقد ذكر المستشرق نولدكه ان ثمة تسميات شخصية للاسد قد اخترعها بعض الشعراء له ثم دخلت في المعجم العربي على أنها اسم للاسد على وجه مطلق (٨٤) . كما اشار الدكتور طه حسين الى ان هذا غير طبيعي او انه على الأقل اسراف (وهو يرجح ان كثرة المترادفات الى هذا الحد ليست الا اثرا من عبث الرواة ولعبهم بالجواهر ويرى انها ترجع الى السياحات العديدة التي كان يرمي بها الرواة واللغويون الى جمع ما تفرق في احشاء البادية من مختلف الصفات والاسماء ، ليعودوا الى الحواضر مثقلين ببادء المكاثرة والتعجيز ، ثم لا يتخرجون من ان يقولوا ان العرب تعرف للاسد خمسين ومائة اسم وللليف خمسمائة وللحبة مائتين) (٨٥) .

(٨٢) فقه اللغة المقارن : ص ١٨١ .

(٨٣) نفسه : ص ١٨٢ .

(٨٤) اللغات السامية : ص ٨٠ - ٨٢ .

(٨٥) النشر الفني في القرن الرابع : ٤٦/٢ - ٤٧ .

٥ - التقارب في المعاني :

ذكرنا في الفصل الاول ان مفهوم الترادف لدى قدامى اللغويين كان يتصف بشيء من العموم والشمول ، على الرغم من حدهم له ، وتقييدهم له بضوابط معينة ، وقد تساهل كثير من علماء العربية في نظرتهم الى الترادف ، حتى عدوا كثيرا من الالفاظ مترادفة لادنى تقارب في المعنى ، ولايس تشابه في الدلالة . ويتجلى هذا التساهل عند القائلين بالترادف والمؤيدين له . فالتشابه في المعنى كاف عندهم للحكم بالترادف من غير نظر الى تحقق التتابع التام في المعنى .

وقد عد المغالون في وقوع الترادف الى التحيل على كثير من الالفاظ وتحلوا لها المسائلة في المعنى بغية القول بترادفها .

وهذه الالفاظ المتقاربة في المعنى لا يمكن أن نمدّها من المترادفات الحقيقية ، لان من شروط الترادف الاتفاق في المعنى اتفاقا تاما ، كما ذكرنا في حد الترادف في الفصل الاول .

وقد أدى هذا التساهل في مسألة الاتفاق في المعنى الى كثرة المترادفات في العربية حتى بلغت اساء الشيء الواحد عندهم العشرات أو المئات وربما (الالوف من الالفاظ .

ومن الامثلة التي تدل على هذا التساهل بشأن اتفاق المترادفات في المعنى ما تجده عند الرماني الذي اورد كثيرا من الالفاظ المتقاربة في المعنى امثلة للترادف نحو رشيته وخوكه واويلته واصفيته وواسيته وجبرته مرادفة ل (اعطيته)^(٨٦) ، ونحو ما اوردّه في فصل الخراج والجزية فعد من المترادف : الخراج والاتاوة والنيء والجزية والفدية والضريبة^(٨٧) .

(٨٦) الالفاظ المترادفة : ص ٨

(٨٧) المصدر السابق : ص ٤٣ : وينظر الى امثلة اخرى في هذا المصدر نفسه : ص ١٠ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٧

ونجد من مرادفات الداهية عندهم (أم خنور) التي لا تدل على الداهية وحدها ، فنس العرب من يجعلها الدنيا ، ومنهم من يجعلها النعيم والخصب ، ومنهم من يجعلها الضبع^(٨٨) . غير أن أصحاب الترادف غلبوا معنى الداهية فيها ، مغفلين استعمالها عند العرب بمعان أخرى ، فهي من المشترك اللفظي وليست مقتصرة في الدلالة على الداهية وحدها .

وقد اسرف الفيروز آبادي في جمع الاسماء الكثيرة للشيء الواحد حتى بلغ بها الالوف في كتابه (الروض المفلوح في ما له اسمان الى الوف) فجعل نوعي .

والناظر الى اسماء الخرة التي بلغت عند الفيروز آبادي المئات من الالفاظ يجد فيها كثيرا من الخلط والتعامل في دلالتها على الخرة ، اذ اورد من اسمائها : الشيخ ، والعجوز ، والغب ، والرجس ، والوردة ، والياقوت ، والسراج ، والكريم ، والشراب ، والكأس ، والحانوت ، والصافية ، والصبوح ، والأحر ، والتليل والمقتولة ، والثفاحة ، والذهب ، والريح ، والشس ، والاثم ، والداء ، والدبس ، والفتاح ، والعروس ، والعصير ، وعين الديك ، والدم ، والسجلاط أي الياسين ، والدمشقية ، والبابلية ، والمانية ، والعراقية ، والفارسية ، ونحو من هذا كثير^(٨٩) .

وهذا ما يدعو الى العجب والاستغراب ، فهذه الالفاظ لا تنصرف عند ذكرها مجردة من القرائن الى الدلالة على الخرة وحدها ، وانما اطلقت عليها تجوزا لمناسبة ما على سبيل الاستمارة والكناية والمجاز ، وما يؤكد هذا الخلط والاسراف عند الفيروز آبادي في هذا الشأن انه ساقى جملة من

(٨٨) المرصع : ص ١٥٧ وجمهرة الامثال ٤٦/١ .

(٨٩) الجليس الانيس : ورقة ٢٧ ب ، ٢٨ ا - ب ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٦ ب ، ٥٨ آ ب ، ٦٠ ، ٦٥ ا ب ، ٦٩ ا ب ، ٧٤ ب ، ٧٦ آ ب ، ٨٦ ب ، ٨٨ ا - ب ، ٩١ ، ٩٥ آ ب ، ٩٩ ب ، ١١١ ب ، ١١٦ ب ، ١١٢ ، ١٢١ ا - ب .

الالفاظ اساء للخمرة . ثم اورد هذه الالفاظ تفصيا اسما للعسل كما اسلفنا .

وقد اشار المرحوم علي الجارم الى غلو الفيروز آبادي وتساهله في عدة الكثير من الاسماء المرادفة للعسل ، وبين أن اكثرها ليس مترادفا ، بل هي الفاظ متقاربة في المعنى بما كشفه من الترويق بينها^(٩٠) .

وقل مثل هذا في ما أورده السيوطي من أمثلة استشهد بها على الترادف وقد سبقت الاشارة الى طائفة منها .

كما لم يكن معظم ما جمعه من أسماء للذئب والكلب من الاسماء المترادفة ترادفا تاما ، لانها لم تقتصر في الدلالة على الذئب أو الكلب وانما تجاوزت ذلك الى كل ما يتعلق بهما من صفات واحوال وأجناس ، ونحو ذلك . وثمة لغات اخرى عرفت ايضا كثرة الاسماء المختلفة للمسمى الممين ، من ذلك تعدد اسم الثلج لدى الاسكيو التي نشأت بسبب الحاجة الى تمييز الوجود المختلفة للثلج ، وتعدد اسم الطبي عند جماعة التشوكتش في سيبيريا . وفي الايرلندية اثنا عشر اسما للذب ومثلها للسالمون ، كما ان اسم الحصان يتجدد في معظم اللغات الهندية الاوربية لاختلاف اجناسه وتعدد وجود استعماله . وفي الانكليزية سبع وثلاثون كلمة للعسل تبعا لانواعه . وهذا التعدد في التسمية يعبر عن اهتمامات شعب من الشعوب بشيء معين لما له من اثر واهمية في حياتهم ، ذلك ان « تعدد الاستعمال يؤدي الى خلق كلمات مختلفة »^(٩١) . وهذا القليل من تعدد الاسماء ليس من الترادف التام ، لاختلاف هذه الالفاظ في الدلالة على هذا المسمى بحسب احواله واجناسه وصفاته وضروب استعماله ، وفي ضوء هذا ننظر الى تعدد اسماء الجبل والناقة والخيول في

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي : ج ١ ص ٣١٤ - ٣٢٠ القاهرة سنة ١٩٩٣٤

(٩١) اللغة : ٢٨٣ - ٢٨٥ ، وينظر علم النفس الاجتماعي ٧١/١ - ٧٢ ومجلة آفاق عربية عدد ٤ ، ص ٢ بغداد كانون الاول ١٩٧٥ .

العربية لما لهذه الاشياء من الاهية الكبرى عند العرب .

٦ - التصحيف والتحريف :

سبق أن اشرنا الى هذا الامر عند الحديث عن الابدال . والتصحيف والتحريف أمران شائعان في الالفاظ العربية بسبب طبيعة الحروف العربية وتشابهها في الصورة وعدم وجود النقط في الكتابة العربية القديمة فقد يؤديان باللفظ الى ان يقرأ بخلاف حقيقته . وقد وقع التصحيف والتحريف في الفاظ اللغة حتى بعد وضع التنقيط واختراعه . وبالنظر الى خطورة الاتار التي يتركها هذا الامر في اللغة سارع العلماء الى التصنيف فيه اتقاء لوقوعه وتنبها على ما وقع منه ؛ مثل كتاب التبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الاصمغاني وكتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لابي احمد العسكري وغيرها من الكتب التي الفت في هذا الموضوع .

والذي يعنينا من امر التصحيف والتحريف ما يتعلق بكثرة الترادف في العربية وائر ذلك في تعدد الالاء للشيء الواحد كأن يكون لمسى واحد اسم معين فيصحف او يحرف هذا الاسم ومن ثم يقرأ بعده وجوه فتشأ له عدة صور لفظية ثم تجد هذه الصور من بعد ذلك ملتبها الى اللغة فتحسب الالاء مختلفة لمسى واحد على حين ان اللفظة في الحقيقة واحدة .

وبسبب التصحيف والتحريف كثيرا ما كان يشبه الامر في الفاظ وتخلط المسيات ، فيحسبها بعضهم اساء لشيء ما ويحسبها آخر اساء لمسى آخر ، فتعدد الالاء وتكثر الصور اللفظية نتيجة عدم تقيدها بلفظ معين وضبط مساهها ، وربما عدت لنة او ابدالاً ، ولعل ما لحق كلمة « أم رباح » من تصحيف ووهم في لفظها خير دليل على ذلك ، وفيها يقول ابن الاثير (ولقد وقتت بعض الايام في بعض كتب العربية ؛ على تمثيل اسماء مثل بها مصنفة ، وفي جلستها « أم رباح » ولم يقيد لها لفظ ولا بناء ، ولا ذكر لها مسى . فاشتبه أمرها فتطلبته في ما حضرني من كتب العربية لنة ونحوها فلم أجدها . وسألت عنها فلم أجد فيها شافيا ، فمن قائل : انها براء

مكسورة وتاء من فوقها ... ومن قائل انها براء مفتوحة وباء تحتها تنقطة وحاء وهو الصحيح ... ثم جعل مساهما فن قائل : انها الشس وعزاه الى بعض علماء الزمان ، ومن قائل : انها الريح . ومن قائل : انها اللعبة التي يلعب بها الصبيان ، ويقال لها : « أبو رياح » فلم تقع الثقة بشيء من هذه الأقوال لاختلافها ، ولم أزل أتبع مواعظها وأطلبها من مظانها الى أن وجدت في كتاب « الطير » لابي حاتم الجستاني - رحمه الله - وقد ضبطها بالراء المفتوحة وبالباء الموحدة والحاء المهللة وقال : هي طائر أحمر الجناحين والظهر ياكل العشب (٩٢) .

وقد نجد أحيانا عدة الفاظ متقاربة في صورها اللفظية عدت اساء مختلفة مستقلة لشيء واحد . ولا نستبعد أن يكون هذا التعدد هو نتيجة التصحيف والتحريف الذي لحق الكلمة الواحدة ان لم يكن تطورا صوتيا قد لحق بحروف الكلمة على سبيل الإبدال أو القلب ولا سيما الالفاظ التي نلاحظ بين حروفها علاقة صوتية .

ومن أمثلة ذلك ما ورد للداهية من اساء من نحو : العنقير والعنقير والعنقير^(٩٣) ، والضئيل والنظيل والسئيل ، وقيل هي لغة بني ضبّة ، والنيدل^(٩٤) ونحو : أبو خنثير ، ويقال خناسير ، وأخو خناسير ، وأم خنثور وأم خنثير ، وأم خنثور^(٩٥) . وأم الرقبوت وأم الرقيم وأم الرقوب وأم الرقون^(٩٦) . ومثل هذا كثير من الالفاظ الجارية على هذه الشاكلة التي جاءت متقاربة في صورها اللفظية وعدت من المترادف ، ونحن نستبعد كل هذه الالفاظ ونرجح انها كانت لفظا واحدا ثم تعدد نتيجة التطور الصوتي أو انها كانت بسبب من التصحيف أو التحريف أو الوهم .

-
- (٩٢) المرصع : ص ٢٢
 (٩٣) اللسان مادة عنقر : ٥٩٩/٤
 (٩٤) اللسان مادة ضابل : ٣٨٩/١١ .
 (٩٥) المرصع : ص ١٥٢ ، ١٥٧ ، واللسان مادة خنسر وخنثير : ٢٦١/٤ .
 (٩٦) المرصع : ص ١٨٦ .

ومن الأدلة التي تؤكد ما للتصنيف من اثر في كثرة الترادف ما قيل من ان من اساء الخرة الجادري وهو تصنيف الحاذري والجادري من اساء الزعران، كما نص على ذلك الفيروز آبادي ونبه عليه^(٦٧) . ومن اساء الحية المصحفة « الحَصْب » وانا هو الحَصْب^(٦٨) . ومن اساء الموت « المَيْتِغ » وهو تصنيف « المَيْتِغ »^(٦٩) ومن الاساء التي وقع فيها التصنيف وصار لها اكثر من لفظ : العَلَس للذئب فقد صحت الى العلس^(١٠٠) . والصمام والصى بمعنى الداهية اذ صحت الى الضَم والضمام^(١٠١) . وقد صحت ايضا الذئب والذئابة للتصير الى الذئب والذئابة ، وقد ذكر الجوهري أن الجَيْدَر هو التصير وهو تصنيف الجَيْدَر بنص الهروي^(١٠٢) . ومن اساء الاصل التَبَس وهو تصنيف التَبَس^(١٠٣) . ومن اساء الشس بئوح وهو تصنيف بئوح^(١٠٤) وانا البوح النفس .

ومن هذا تبين ما للتصنيف والتحريف من اثر في كثرة الترادف لما ينشأ عن ذلك من تعدد في صورة الكلمة الواحدة للمعنى الواحد ومن ثم تعد تلك الصور من أسائه المختلفة .

وقد انتقل كثير من هذه الكلمات المصحفة الى افواه العلماء ثم جرى بها الاستعمال ودخلت كتب اللغة والمعجمات ، ثم ان التصنيف قد يختلط بالابدال أو يلتبس به ، ولا يبعد أن تكون بعض الكلمات التي اقحت في مسائل الابدال ليست في الحقيقة الا وليدة التصنيف او التحريف^(١٠٥) .

(٩٧) الجليسي الانيس : ورقة ٤٥ ب

(٩٨) التنبيه على حدوث التصنيف ص ١٢٢

(٩٩) نفسه : ١٢٢ - ١٢٣ ، والمزهر : ٢/٣٦٢

(١٠٠) المزهر : ٢/٢٨٨

(١٠١) نفسه : ٢/٢٨٩

(١٠٢) نفسه ٢/٢٩٠ - ٢٩٢ .

(١٠٣) نفسه : ٢/٢٥٦

(١٠٤) نفسه : ٢/٢٦٥ .

(١٠٥) من اسرار اللغة : ص ٨٥

وايا كان مرد اختلاف هذه الالفاظ التي هي بمعنى واحد ، من تصحيف
او تحريف أو ابدال أو قلب أو بسبب لثغة أو لكنة فان هذه العوامل قد
اوهت بترادف كثير من الالفاظ التي هي ليست من الترادف - بعناده
الدقيق - في شيء .

وفي ضوء الحقائق السالفة يبدو لنا الخلط الكثير الذي وقع فيه الذين
وضعوا معجمات خاصة بالترادف ، سواء كانوا قدامى ام محدثين ، إذ انهم
اغفلوا هذه الامور في جمعهم للالفاظ المترادفة ما نجم عنه ازدحام تلك
المعجمات بما هو مترادف حقا وما هو ليس منه البتة ، كأن يكون من باب
التطور الصوتي او الخطأ والوهم او التصحيف والتحريف او من قبيل
الالفاظ المتقاربة في المعنى . او من قبيل التراكيب والتعابير لا المفردات .
كما انهم لم يراعوا اتحاد الالفاظ المترادفة بيئته معينة واستعمالها التعلوي ،
ومن غير تقييد لها بزمان ومكان معينين ، اضافة الى اهلهم التطور الدلالي
واثره في حدوث الترادف او في تباينه برور الزمن ، وكان الترادف حقيقة
ثابتة مطلقة في الفاظ اللغة فكان طبيعا ان تكثر المترادفات لديهم نتيجة هذا
الخلط ولابتعادهم عن المفهوم الدقيق للترادف ، ولنظرتهم المنهجية الخطأ في
التصنيف فيه على هذا النحو . وقد انحصر هدفهم في جمع اكبر قدر ممكن
من المترادفات الوهمية والحقيقية ، غير متهمدين بأسس وضوابط لغوية
معينة ويصدق هذا الامر كما تبينا فيما سبق على معظم مصنفات القدامى
وعلى الدارسين المحدثين الذين تابعوا اللغويين الاسلاف في جمع الالفاظ
المترادفة على هذه الشاكلة ، واذ فصلنا الحديث عن القدامى ، حق علينا الاشارة
الى المحدثين مثل روفائيل نخلة اليسوعي في كتابه : « غرائب اللغة العربية
وقاموس المترادفات والمتجانسات » ونجيب اسكندر في كتابه « معجم المعاني
للترادف والمتوارد والنقيض » ، والشيخ ابراهيم اليازجي في كتابه : « نعمة
الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد » وغيرهم .

فن امثلة خلطهم ما اورده اليسوعي من مترادفات نحو : خزام

وخزامي ، اصبع واصبوع ، عر وعرة وعري ، وجيد وجذب ، وحد
ومدح (١٠٦) .

وما اورده نجيب اسكندر من الفاظ للترادف نحو : اتسع ووسع
واستوعب . ونحو اتفاق واتفاقية ، واجتنب وتجنب ، واجوف ومجوف ،
وانس وانسة واتناس (١٠٧) وكذلك ما اورده الشيخ اليازجي من الفاظ
نحو : يدين وبادن ومبدان وبدانة ومستليء البدن . ومسته ومسته وماسته
ولمت ولامته ، ونجته واجتته (١٠٨) . فضلا عن خلطه الكثير بين الترادف
في المفردات والتراكيب المتقاربة في معانيها (١٠٩) بل ان جل ما ورد في كتابه هو
من هذا النحو .

وخلاصة القول ان اكثر ما ورد في هذه الكتب هو من هذا النحو من
هذا الخلط المعيب الذي لا طائل تحته . واذا نظرنا الى هذه الالفاظ التي
اوردوها في ضوء ما قررناه من حقيقة الترادف اتينا الى القول اننا ليست

(١٠٦) غرائب اللغة العربية ص ١١-٤٣ ، وقد اورد في كتابه قاموس الترادفات
والتجانسات كثيرا من مثل هذه الالفاظ : ص

(١٠٧) معجم المعاني في الترادف والمتوارد والنقيض ص ١١ ، ١٣ ، ١٥ ،
٦١ وينظر امثلة اخرى : ص ٢٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٣٠٢ ، ٣٩٤ .

(١٠٨) نجمة الرائد : ٩/١ ، ٤٤ وتنظر امثلة اخرى : ١٤/١ ، ٣١ ، ٣٧ ،
٥٥ ، ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٨٨ ،
١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٥/٢ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٦٣ ،
٧٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٦٦ ، ١٧٩ .

(١٠٩) المصدر السابق : ١/١ - ١٠ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٥٢ - ٥٣ ،
٦٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٢ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ،
٢٠٠ - ٢٠٩ ، ٢١٤ - ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٢٥٩ ،
٢٧٤ - ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢/٢ ، ١٢ ، ١٩ - ٢٤ ، ٢٦ - ٢٨ ،
٣٦ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٥٨ - ١٥٩ ،
١٠٣ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٥٨ - ١٥٩ ،
١٦٦ ، ١٨٢ - ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٠١ .

من الترادف الحقيقي البتة ، وكشفنا عن مدى الخلط والوهم الذي وقع فيه هؤلاء ، ومدى عشوائية جمعهم ، حتى يكاد المرء يقرر انهم لم يعرفوا معنى محددًا للترادف قط .

ان هذا ليؤكد ان اللغة لم تكن السبب في كثرة الترادف الذي هو ضرب من الترف اللغوي قلما تجود به بسهولة ويسر ، وانما سببها ما كشفنا عنه من النظر الخطأ الى الترادف وحشره دون قيد او اعتبار . واذا اخرجنا ما ولدته تلك النظرة تبينا بطلان هذه الكثرة وعدم صحتها ، الا ان هذا لا يعني خلو العربية من الترادف ، فهو واقع ولكن بقدر معتول كما هي الحال في لغات أخرى .

الخاتمة

الترادف ظاهرة لغوية عرفت في كثير من اللغات ، القديمة والحديثة ، وقد تبه لغويونا العرب القدامى لها منذ وقت مبكر واختلفوا بشأنها ، وكانوا بين قائل بها ومنكر لها ، كما اختلفوا في تعريفها وتفسيرها ونشأتها وقد غال كل فريق من هؤلاء اللغويين بالتسك برأيه حتى صارت مشكلة من المشكلات اللغوية في عربيتنا الفصيحة ، تتحق الوقوف عندها والتأمل فيها .

ومرد خلط القداماء في هذه الظاهرة الى امرين : اولهما افتقارهم الى تعريف واضح دقيق محدد لمفهوم الترادف ، وثانيهما ما كان من نظرهم الى المترادفات تبعاً الى الوضع الاصلى للالفاظ ، وخطبهم بين المستويات اللغوية المختلفة في الزمان والمكان والبيئة .

ونستطيع اجمال ما توصلنا اليه في هذه الدراسة في :

١ - تحديد معنى الترادف تحديداً دقيقاً ، ذلك ان الغموض الذي لحق هذا المفهوم كان سبباً رئيسياً في الخلط والاضطراب في النظر الى ظاهرة الترادف وفي توسيع الهوة بين الآراء المتضاربة بشأنها ، فكان ان وقفنا على مفهوم دقيق للترادف يلتصق تبعاً للحس اللغوي العام ولطرائق الاستعمال مع ضرورة مراعاة اتخاذ الالفاظ المترادفة في الزمان والمكان والبيئة وعدم التعويل على اصل الوضع لصعوبة معرفته اولاً ، ولانه يخرجنا عن المنهج الوصفي في دراسة الحقائق اللغوية ثانياً .

٢ - لا يسكن تفسير وقوع الترادف بسبب بعينه ، ذلك ان ثمة اسباباً كثيرة لحدوثه لكل منها اثره وطبيعته ، واهم سبب لوقوع الترادف هو حقيقة التطور في الاستعمال لا التعدد في الوضع كما ذهب كثير من اللغويين القداماء

والمحدثين . كما ان للعرب والدخيل واختلاف اللغات اثرا في ذلك ، أقل شأنا ، وإذا ما توسعنا في فكرة التطور اللغوي يمكننا القول ان الترادف كان نتيجة لهذا التطور بعناه الواسع ، لا تتران حدوثه بالظروف اللغوية عامة وبالتطور الدلالي خاصة . وعلى هذا يمكننا القول ان معظم المترادفات تشتقر الى الاصالة .

٣ - ان الخلاف في وقوع الترادف سببه اختلاف اللغويين في النظر الى فكرة المعنى اللغوي وتباين مواقفهم ومناهجهم في النظر الى اللغة ، يزداد على ذلك ما تركته النظرة العقلية والمنطقية من اثر واضح في موقف المنكرين خاصة .
٤ - ان الكثرة الكاثرة ما سبي بالمترادف في العربية لا صحة له ، وقد كان لخلط جامعي الالفاظ المترادفة ومنهجهم الخطأ في هذا الجمع اثر كبير في ذلك .

٥ - ان الترادف واقع في العربية لا سبيل الى انكاره وهو موضوع ينميه التطور. ويدعاه الاستعمال ويشهد به الواقع اللغوي ، أما هذه الكثرة فلا صحة لها بالمعنى الدقيق للترادف . والترادف حالة تعرض لالفاظ من اللغة في اثناء حياتها وتطورها ، ومن الجائز ان يكون ما كان مترادفا في مرحلة ما متباينا في مرحلة اخرى والعكس صحيح ايضا ما دامت الفاظ اللغة جميعا عرضة للتطور الدلالي .

وهذا يعني ان الترادف نوع من الترف اللغوي ليس ثابتا في الالفاظ قلما تجود به اللغة يسر بسبب من تطور اللغة نفسها وتغير معاني الفاظها بسرور الزمن ولان من طبيعة اللغة توزيع الالفاظ على الاستعمالات المختلفة وظهور التباين في دلالاتها على وجه العموم .

وفي ضوء هذه الحقائق ارى ضرورة وضع معجم حديث للالفاظ المترادفة يعتمد المفهوم الدقيق للترادف ، ويراعي التطور اللغوي التاريخي ويمير الاس التي ارسناها في هذا البحث ما تستحقه من عناية .

المصادر والمراجع

المخطوطات والرسائل الجامعية والمحاضرات

- × ابن الإغرابي دراسة وتحقيق كتاب النوادر وجمع مروياته - كامل سعيد عواد - رسالة ماجستير - جامعة بغداد - ١٩٧٦ م .
- × ابن درستويه وكتابه تصحيح الفصح ، دراسة وتحقيق - عبدالله احمد الجبوري - رسالة ماجستير - جامعة بغداد ١٩٧٢ م .
- × ابو بكر الزبيدي الاندلسي واثاره في النحو واللغة - نعمة رحيم الغزاوي - رسالة ماجستير - جامعة بغداد ١٩٧٤ .
- × الاضداد في اللغة ، محمد حسين آل ياسين ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ١٩٧٣ .
- × التهذيب في اساء الذيب - جلال الدين ابو الفضل عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) مخطوط في المكتبة الازهرية بالقاهرة ضمن مجموعة خطية برقم (١١٢٢ مجاميع) ٥٣٧٢٩ (مصورة الدكتور عدنان محمد سلمان)
- × المجلس الانيس في تحريم الخدريس - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي (ت ٨١٧ هـ) مخطوط في دار الكتب برقم ٥١١ لغة نسخة مصورة في معهد احياء المخطوطات - جامعة الدول العربية .
- × الزهرة البارقة في فنون اللغة الرائقة - ابو المحاسن محمد بن عبدالوهاب ابن داود الهذاني (ت ١٣٠٥ هـ) - نسخة الدكتور حسين علي محفوظ المصورة عن النسخة المودعة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف .
- × الغريب المصنف - ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) مخطوط في مكتبة المتحف العراقي ، ببغداد برقم (١٦٢٨)

- × ما اختلفت الفاظه واتفقت معانيه - أبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي
(ت ٢١٤ هـ) مخطوط مصور بالمباكر وفيلم ضمن مجموعة برقم (١٦٠٧)
في مكتبة الدراسات العليا - كلية الآداب جامعة بغداد « عن مخطوط
مكتبة القاهرة بدمشق - تصوف ١٢٩ (١٢٨) »
- × محاضرات في فقه اللغة القاها الاستاذ عبد الحيد الرازي على طلبة
الصفوف الرابعة - قسم اللغة العربية - كلية الآداب جامعة بغداد
- مطبوعة بالآلة الكاتبة .
- × معجم المترادفات - الدكتور حسين علي محفوظ - مخطوط في خزائنه
الخاصة .
- × نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠ - ١٩٥٨ - عباس توفيق
رسالة ماجستير - جامعة بغداد ١٩٧٦ .

المطبوعات

- × القرآن الكريم
- × الأبدال لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١ هـ)
تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق
١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- × الأبل للاصمعي، تحقيق: د. أوغت هفتر - ضمن الكنز اللغوي في
اللسن العربي .
- × ابو فراس الحمداني - الديوان - (ت ٣٥٧ هـ) تحقيق: د. سامي
الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٤٥ م .
- × الاتباع لابي الطيب اللغوي، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبعة الترقى
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- × الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي . تصحيح لجنة من العلماء، الطبعة

الثالثة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بسمر - ١٣٧٠ هـ -
١٩٥١ م .

× احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن
احد بن ابي بكر البشاري المقدسي (ت ٣٨٠ هـ) . بناية دي غويه ،
الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦ م .

× الاحكام في اصول الاحكام ، للحافظ ابي محمد علي بن حزم الاندلسي
الفاهري (ت ٤٥٦ هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى ،
مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٥ هـ .

× الاحكام في اصول الاحكام ، لسيف الدين ابي الحسن علي بن ابي علي بن
محمد الامدي (ت ٦٣١ هـ) ، دار الكتب الخديوية ، مطبعة المعارف
بمصر ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م .

× اخبار النخوين البصرين ، ابو سعيد الحسن بن عبدالله اليراق
(ت ٣٦٨ هـ) بناية : فريش كرنكو - المطبعة الكاثوليكية بيروت
١٩٣٦ م .

× ادب الكاتب ، لابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
(ت ٢٧٦ هـ) تحقيق : ماكس كرنيرت مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٠ م اعادت
طبعه بالافنييت دار صادر ، بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

× ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بـ (معجم الادباء) لشهاب الدين
ابي عبدالله ياقوت الحنوي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) تحقيق
د . س . مرجليوث - لندن - لوزاك - ١٩٢٣ م .

× ارشاد التحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، لمحمد بن علي بن
محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي واولاده بمصر ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .

- X اصلاح المنطق ، لابي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت (ت ٢٤٤ هـ)
تحقيق : احمد محمد شاکر و عبدالسلام محمد هارون . الطبعة الثالثة ،
دار المعارف بصر ١٩٧٠ م .
- X الاصوات اللثوية ، د . ابراهيم انيس ، الطبعة الرابعة ، المطبعة الفنية
الحديثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١ م .
- X اصول الفقه ، الشيخ محمد الغضري ، الطبعة الرابعة ، مطبعة السعادة
مصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- X اصول الفقه ، الشيخ محمد رضا المظفر ، الطبعة الثانية ، مطابع دار
النعمان ، النجف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- X الاضداد ، محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق : محمد
ابو الفضل ابراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ١٩٦٠ م .
- X اعجاز القرآن ، لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣) ،
تحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف بصر ١٩٥٤ م .
- X الاتضاب في شرح ادب الكتاب ، ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد
البليوسي (ت ٥٢١ هـ) دار الجيل ، بيروت ١٩٧٣ م .
- X الالفاظ الفارسية العربية ، ادى شير ، المطبعة الكاثوليكية بيروت
١٩٠٨ م .
- X الالفاظ الكتابية ، عبدالرحمن بن عيسى الهذاني (ت ٣٣٠ هـ) تصحيح
الاب لويس شيخو اليعوبي ، الطبعة الثامنة ، مطبعة الاباء اليعوبين
في بيروت ١٩١١ م .
- X الالفاظ اللثوية خصائصها وانواعها ، عبدالحيد حسن ، مطبعة الجبلاوى
القاهرة ١٩٧١ م .

X الالفاظ المترادفة : لابي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ)
شرح وتصحيح :: محمد محمود الرافعي ، مطبعة الموسوعات ، مصر
١٣٣١ هـ .

X الامالي ، لابي علي اساعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) .
نشر : اساعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي ومحمد عبدالجواد
الاصمي الطبعة الثانية - المطبعة الاميرية د . ت . اعاد طبعه بالاوفيت
المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - د . ت .

X امالي الزجاجي ، لابي القاسم عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ)
تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الاولى ، مطبعة المدني ، القاهرة
١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

X انباء الرواة على انباء النحاة ، علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي
(ت ٦٤٦ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم - دار الكتب المصرية
القاهرة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

X الانسودج في اصول الفقه ، د . فاضل عبدالواحد عبدالرحمن ، الطبعة
الاولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

X الايام والليالي والشهور ، لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ)
تحقيق : ابراهيم الاياري ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩٥٦ م .

X البئر ، لابي عبدالله محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، تحقيق :
د . رمضان عبدالنواب ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة
١٩٧٠ م .

X البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتاثر ، د . احمد
مختار عمر ، مطابع سجل العرب ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

- × البحث اللغوي عند الهنود واثره على اللغويين العرب : د . د . احمد مختار
عمر ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ م .
- × البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي
(ت ٧٩٤ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى دار
احياء الكتب العربية ، مصر ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- × البلغة في شذور اللغة (مجموعة كتب في اللغة) ، تحقيق : د . د . أوغست
هنتز والاب لويس شيخو السوعي . الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية
بيروت ١٩١٤ م .
- × بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، لابي عبدالله محمد بن
علي الحكيم الترمذي (من علماء القرن الثالث الهجري) . تحقيق :
د . نقولا هير ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي
وشركاه ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- × البيان والتبيين ، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)
تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، مطبعة دار التاليف ،
مصر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- × تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٣٠٥ هـ)
دار مكتبة الحياة بيروت (اوفست عن الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية ،
مصر ١٣٠٦ هـ) .
- × تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) ، اسماعيل بن حماد الجوهري
(ت ٣٩٣ هـ) تحقيق : احمد عبدالغفور عطار ، مطابع دار الكتاب
العربي بمصر ١٩٥٦ م .
- × تاريخ الادب العربي ، ريجس بلاشير ، ترجمة ابراهيم الكيلاني مطبعة
الجامعة السورية - دمشق - ١٩٥٦ م .

- × التبري من معرة المعري للسيوطي - ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء .
- × تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلي
(ت ٥٠١ هـ) : تحقيق د . عبدالعزيز مطر ، دار التحرير للطبع والنشر
القاهرة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م .
- × التضاد في ضوء اللغات السامية ، د . ربحي كمال ، جامعة بيروت العربية
١٩٧٢ م .
- × التطور اللغوي : د . عبدالرحمن أيوب ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- × التطور اللغوي التاريخي : د . ابراهيم السامرائي ، دار الرائد للطباعة ،
القاهرة ١٩٦٦ م .
- × التطور النحوي للغة العربية : بروجتراسر ، بعناية محمد حدي
البكري ، مطبعة الساح ، مصر ١٩٢٩ م .
- × التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) مكتبة
لبنان ، بيروت ١٩٦٩ م .
- × تعريف القدماء بأبي العلاء ، باشراف د . طه حسين وتحقيق مصطفى
السقا وآخرين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م .
- × التفسير البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء)
الطبعة الثانية ، دار المعارف بصر ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- × التقريب لحد المنطق والمدخل اليه ، لابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٠ هـ) ،
تحقيق : د . احسان عباس ، مطابع دار العباد ، بيروت . د . ت .
- × تقويم اللسان ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ،
تحقيق د . عبدالعزيز مطر ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة ، القاهرة
١٩٦٦ م .

- X تكملة اصلاح ما تفلط فيه العامة : لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) تحقيق : عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العلمي العربي (٨) . د . د . ت . د . مط .
- X تلخيص الخطابة ، لابي الوليد ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) تحقيق : د . محمد سليم سالم ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، الكتاب الرابع عشر ، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- X تلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، ابو الوليد ابن رشد ، تحقيق : د . محمد سليم سالم . لجنة احياء التراث الاسلامي ، الكتاب (٢٣) القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- X التلويح في شرح الفصح ، لابي سهل محمد بن علي بن محمد الهروي (ت ٤٣٣ هـ) نشر وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي ، ١٩٤٩ م . فن فصيح ثعلب والشروح التي عليه .
- X التنبية على حدوث التصحيف ، حنزة بن الحسن الاصفهاني (ت نحو ٣٥١ هـ) تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- X تهذيب اللغة ، لابي منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر - دار القومية العربية للطباعة - القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- X تيسير اصول الفقه ، بدر المتولي عبدالباسط ، نشر دار النهضة العربية ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- X الجامع لاحكام القرآن ، لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) الطبعة الثالثة (عن طبعة دار الكتب المصرية) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

- × جهرة الامثال ، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري
(ت ٣٩٥ هـ) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم وعبدالمجيد قطامش ،
الطبعة الاولى ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر ، القاهرة
١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- × جهرة اللغة ، لابي بكر محمد بن الحسن الازدي البصري المعروف
بابن دريد (ت ٣٢١ هـ) طبعته مكتبة المثنى ببغداد بالافويت (عن
طبعة ١٣٤٦ هـ) .
- × جواهر الالفاظ ، لابي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) تحقيق :
محمد محي الدين عبدالحيد ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ، مصر
١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .
- × حاشية العطار على جمع الجوامع ، للشيخ حسن العطار : تحقيق : محمد
علي بن حسين المالكي ، المكتبة التجارية الكبرى بصر د . ت .
× الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها ، لابن الكيت ، تحقيق :
د . رمضان عبدالنواب ، الطبعة الاولى ، مطبعة جامعة عين شمس
١٩٦٩ م .
- × خزائن الادب ولب باب لسان العرب ، الشيخ عبدالقادر بن عمر
البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) الطبعة الاولى - المطبعة الاميرية
بيولاق د . ت .
- × الخعائص ، لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق : محمد
علي النجار ، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت
اوفيت عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م .
- × الخطابة ، لارسطو طاليس (الترجمة العربية القديمة) تحقيق : د .
عبدالرحمن بدوي ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة
١٩٥٩ م .

- × خلق الانسان : للاصمعي : تحقيق : د . اوغست هفتر ، ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي .
- × خلق الانسان ، عن ابي محمد ثابت بن ابي ثابت (من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري) تحقيق : عبدالستار احمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٩٦٥ م .
- × دراسات في علم اللغة : د . كمال محمد بشر ، دار المعارف بصر ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- × دراسات في فقه اللغة العربية : د . يعقوب بكر ، مكتبة لبنان ، مطبعة المطبعة ، بيروت ١٩٦٩ م .
- × دراسات في فقه اللغة د . حجي الصالح ، الطبعة الثانية ، المكتبة الاهلية ، دار الشالي للطباعة ، بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م .
- × دراسات في اللغة : الدكتور ابراهيم السامرائي - مطبعة العاني - بغداد ١٩٦١ م .
- × درة الفواص في اوهام الخواص : لابي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦ هـ) الطبعة الاولى : مطبعة الجوائب ، قطنية ١٢٩٩ هـ .
- × الدررة الفاخرة في الامثال السائرة ، حزة بن الحسن الاصهاني ، تحقيق : عبدالمجيد قطامش ، دار المعارف بصر ، القاهرة ١٩٧١ م .
- × دلالة الالفاظ : د . ابراهيم انيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- × دلالة الالفاظ العربية وتطورها ، د . مراد كامل ، جامعة الدول العربية ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٣ م .

- × دور الكلمة في اللغة ، ستيفن اولمان ، ترجمة : د . كمال محمد بشر
مكتبة الشباب ، الطبعة الثالثة ، المطبعة العشائية ، ١٩٧٢ م .
- × ديوان ابي الطيب المتنبى بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتيان في
شرح الديوان ، تحقيق : مصطفى السقا واخرين ، الطبعة الثانية ، طبع
ونشر : مصطفى البابي الحلبي واولاده بصر ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .
- × ديوان امرى ، القيس ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف
القاهرة ١٩٥٨ م .
- × ديوان التابعة الذبياني ، صنعة ابن السكيت ، تحقيق شكري فيصل ،
دار الفكر ، بيروت ١٩٦٨ م .
- × ديوان التابعة الجمدي ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ١٩٦٤ م .
- × ذيل الامالي والنوادير ، لابي علي القالي ، تحقيق : محمد عبدالجواد
الاسمي المكتب التجاري ، بيروت - د . ت .
- × ذيل فصيح ثعلب ، موفق الدين ابو محمد عبداللطيف بن الحافظ بن
ابي المز يوسف بن محمد البغدادي (٦٢٩) . نشر وتعليق : محمد
عبدالمعتم خفاجي ، ضمن فصيح ثعلب والشروح التي عليه .
- × رسائل البلاء ، محمد كرد علي ، الطبعة الرابعة ، مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- × رسائل في اللغة ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي ، مطبعة الارشاد ،
بغداد ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- × رواية اللغة ، د . عبدالحيد الشلقاني ، دار المعارف بصر ، القاهرة
١٩٧١ .
- × سؤالات نافع بن الازرق الى عبدالله بن عباس ، تحقيق : د . ابراهيم
السامرائي مطبعة المعارف بغداد ، ١٩٦٨ م .

- X شرح ادب الكاتب ، للجواليقي ، تقديم وتعليق : مصطفى صادق الرافعي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- X شرح درة الفواص في اوهام الخواص : شهاب الدين احمد الخضاجي (ت ١٠٦٩ هـ) الطبعة الاولى ، مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ١٢٩٩ هـ .
- X شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، شهاب الدين احمد الخضاجي تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ، المطبعة المنيرية بالازهر القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
- X الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لابي الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق : مصطفى الشويبي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- X ضرورة الفن ، ارنست فيشر ، ترجمة اسمد حليم ، الطبعة الاولى ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، مصر ١٩٧١ م .
- X الطويطا لارسطو (نقل ابي عثمان الدمشقي) - تحقيق وتقديم د . عبد الرحمن بدوي - مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٩ م .
- X العرب والعربية ، عبدالرحمن محمد العيدروسي ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- X العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، يوهان فك ، نقله الى العربية وحققه وفهرس له : د . عبدالحليم النجار ، نشر : مكتبة الخانجي بدمر ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- X العربية ولهجاتها ، د . عبدالرحمن ايوب ، جامعة الدول العربية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- X العسل والنحل والنباتات الذي تجرس منه ، لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) تحقيق : محمد جبار المعيد ، نشر في مجلة

- المورد ، المجلد الثالث ، العدد الاول ، بغداد ، ١٩٣٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- X علم اللغة ، د . علي عبدالواحد وافي ، الطبعة الرابعة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- X علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، د . محود فهي حجازي ، المكتبة الثقافية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- X علم اللغة العربية ، د . محود فهي حجازي ، وكالة المطبوعات الكويت ، ١٩٧٣ م .
- X علم اللغة مقدمة للقاري ، العربي ، د . محود السران ، مطبعة م . ك . الاسكندرية ، دار المعارف بمصر ، فرع الاسكندرية ١٩٦٢ م .
- X علم المنطق ، احمد عبدة خير الدين ، الطبعة الاولى ، المطبعة الرحمانية ، بصر ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .
- X علم النفس الاجتماعي ، اوتو كلينبرغ ، ترجمة حافظ الجمالي ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٥ م .
- X العين (الجزء المطبوع) ، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) تحقيق : د . عبدالله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- X غرائب اللغة العربية ، الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، الطبعة الثانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ م .
- X فرائد اللغة (الجزء الاول : في الفروق) ، الاب هنريكوس لامس اليسوعي ، الطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٨٩ م .
- X فروق اللغات ، السيد نورالدين الجزائري (ت ١١٥٨ هـ) تحقيق : اسد الله الاسماعيليان ، منشورات دار الكتب العلمية ، مطبعة النجف ، النجف ١٣٨٠ هـ .

- × الفروق اللغوية ، لابي هلال العسكري ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
- × فصول في فقه العربية ، د . رمضان عبدالنواب ، الطبعة الاولى دار الحسامي للطباعة ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- × فصيح ثعلب والشروح التي عليه ، نشر وتعليق : محمد عبدالنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ، المطبعة السودجية ، القاهرة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م .
- × فقه اللغة ، د . علي عبدالواحد وافي ، الطبعة السابعة دار تهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٢ م .
- × فقه اللغة المقارن ، د . ابراهيم السامرائي ، دار العلم للنلايين بيروت ، ١٩٦٨ م .
- × فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر الحديث ، لبنان ١٩٦٤ م .
- × فقه اللغة وسر العربية ، لابي منصور عبدالملك بن محمد بن اساعيل الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) : تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده بصرى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- × في الادب والنقد ، د . محمد مندور ، دار تهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- × في اصول اللغة والنحو ، د . فؤاد حنا قرزي ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦٩ م .
- × فيض الخاطر ، احمد امين ، الطبعة الخامسة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- × في اللهجات العربية ، د . ابراهيم انيس ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٢ م .

- × في النقد الادبي ، د . شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- × قاموس المترادفات والمتجانسات ، الاب زفائل نخلة اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٥٧ م .
- × القلب والابدال ، لابن السكيت ، تحقيق : اوغست هفتر ، ضمن الكنز اللغوي في اللسن العربي .
- × الكتاب ، لابي بشر عمرو الملقب بسبيويه (ت ١٨٠ هـ) الطبعة الاولى المطبعة الاميرية بيولاك ، مصر ١٣١٦ هـ .
- × كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، نقل ابي بشر متي بن يونس القنائي من السراني الى العربي حققه مع ترجمة حديثة الدكتور شكري محمد عياد دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- × الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) دار الكتاب العربي بيروت د . ت .
- × كلام العرب ، د . حسن ظاflا ، مكتبة الدراسات اللغوية ، مطبعة المصري الاسكندرية ١٩٧١ م .
- × كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الالفاظ ، لابي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبرزي (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥ م .
- × الكنز اللغوي في اللسن العربي (مجموعة في اللغة) نشر وتحقيق : د . اوغست هفتر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٣ م . (اعادت طبعه بالاونفست مكتبة المثنى ببغداد) د . ت .
- × اللبا واللبن ، لابي زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) نشر وتحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي ، ضمن البلغة في شذور اللغة .

- × لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، د . عبدالعزيز مطر ،
الدار التوتية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- × لحن العامة والتطور اللغوي ، د . رمضان عبدالنواب ، الطبعة الاولى
مطابع البلاغ ، دار المعارف بصر ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- × لحن العوام ، لابي بكر محمد بن حسن بن منجج الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ)
تحقيق د . رمضان عبدالنواب ، الطبعة الاولى المطبعة الكسالية ،
القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- × لان العرب ، لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) دار صادر ودار بيروت ، بيروت
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- × اللغات السامية ، تيودور نولدكه ، ترجمة : د . رمضان عبدالنواب ،
مكتبة دار النهضة العربية ، المطبعة الكسالية ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- × اللغات في القرآن ، رواية ابن حنون المقرئ ، باسناده الى ابن عباس ،
تحقيق : د . صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الجديد ،
بيروت ١٩٧٢ م .
- × اللغة ، ج . فندريس ، تعريب : عبدالحيد الدواخلي ومحمد القصاص ،
مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- × اللغة والمجتمع ، د . علي عبدالواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع
والنشر القاهرة ١٩٧١ م .
- × اللغة والنحو بين القديم والحديث ، عباس حسن ، دار المعارف بصر
القاهرة ١٩٦٦ م .
- × لهجات العرب ، احمد تيمور باشا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- X اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د . عبد الراجحي ، دار المعارف
بصر ، مطبعة م . ك . الاسكندرية ١٩٦٩ م .
- X ما اتفق لفظه واختلف معناه - ابو العباس محمد بن يزيد المرزوقي
(ت ٢٨٥ هـ) تحقيق : عبدالعزيز الميني ، المطبعة السلفية ، القاهرة
١٣٥٠ هـ .
- X مباحث لغوية : د . ابراهيم السامرائي ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- X متخير الالفاظ : لاحد بن فارس ، تحقيق : هلال ناجي ، الطبعة الاولى
مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٠ م .
- X مثالب الوزيرين اخلاق الصاحب بن عباد وابن العميد ، لابي حيان علي
ابن محمد التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) تحقيق : د . ابراهيم الكيلاني ، دار
الفكر دمشق ١٩٦٦ م .
- X مجالس ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) تحقيق
عبد السلام هارون ، دار المعارف بصر - القاهرة ١٩٦٠ م .
- X مجمع الامثال ، لابي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم
النيسابوري الميداني (ت ٥١٨ هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد
الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م .
- X محاضرات في اللغة ، د . عبدالرحمن ايوب - مطبعة المعارف - بغداد
١٩٦٦ م .
- X مختصر تهذيب الالفاظ ، لابن السكيت ، تحقيق : الاب لويس شيخو
اليوسعي المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٧ م .
- X المخصص / ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨ هـ)
المطبعة الاميرية الكبرى - القاهرة - ١٣١٦ هـ .

- X المرصع في الابهاء والامهات والبنين والبنات والاذواء والذوات ، مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الاثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق : د . ابراهيم السامرائي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- X الزهر في علوم اللغة وانواعها ، للسيوطي ، تحقيق : محمد احمد جاد المولى وآخرين ، الطبعة الرابعة ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- X المتعنى من علم الاصول ، لابي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ١٣٢٢ هـ . (اعادت طبعه بالاوفست مكتبة الشئى ببغداد) .
- X مستقبل اللغة العربية المشتركة ، د . ابراهيم انيس - معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة ١٩٦٠ م .
- X المسلسل في غريب لغة العرب ، لابي الطاهر محمد بن يوسف بن عبدالله التيسيني (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق : محمد عبد الجواد ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٥٧ م .
- X المطر ، لابي زيد الانصاري ، نشره الاب لويس شيخو اليسوعي ، ضمن البلغة في شذور اللغة .
- X المعجمات العربية ، اعداد : وجدي رزق غالي وتقديم د . حسين نصار الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م .
- X المعجم العربي نشاته وتطوره ، د . حسين نصار ، الطبعة الثانية ، دار مصر للطباعة ١٩٦٨ م .
- X معجم المعاني للترادف والمتوارد والنقيض من اساء وافعال وادوات وتعايير نجيب اسكندر ، الطبعة الاولى ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٧١ م .

- × العرب من الكلام الاعجبي على حروف المعجم ، للجواليقي ، تحقيق :
احمد محمد شاكر ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة
١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- × المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد بن الفضل الملقب بالراغب
الاصفهاني (٥٠٣ هـ) نشر : نور محمد ، اصح المطابع ، كارخانه
تجارت كتب ، كراچي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م وانظر الطبعة المصرية ،
تحقيق د . محمد احمد خلف الله ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة
الفنية الحديثة : القاهرة ١٩٧٠ م .
- × المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د . جواد علي ، الطبعة الاولى
- دار العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة - بغداد ١٩٧١ م .
- × مقدمة التفسير ، للراغب الاصفهاني (ملحق بكتاب المفردات للراغب
الطبعة الباكستانية) .
- × مميزات لغات العرب ، حفني ناصف ، الطبعة الثانية ، مطبعة جامعة
القاهرة ١٩٥٧ م .
- × من اسرار اللغة - د . ابراهيم انيس - الطبعة الرابعة ، المطبعة الفنية
الحديثة - القاهرة ١٩٧٢ م .
- × مناهج البحث في اللغة ، د . تمام حسان ، مكتبة الانجلو المصرية ،
مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- × المنطق ، الشيخ محمد رضا المظفر ، الطبعة الثانية ، مطبعة الزهراء ، بغداد
١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م .
- × منطق ارسطو ، تحقيق : د . عبدالرحمن بدوي ، مطبعة دار الكتب
المصرية القاهرة ١٩٤٨ م .
- × المنطق التوجيهي ، ابو العلا عفيفي ، الطبعة الحادية عشرة ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣ م .

- × المنطق الصوري منذ ارسطو وتطوره المعاصر ، د . علي سامي النشار ،
الطبعة الاولى ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة دار نشر الثقافة ،
الاسكندرية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- × المنطق الوضعي ، د . زكي نجيب محمود ، الطبعة الرابعة ، مكتبة
الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م .
- × المنطق ومناهج البحث ، د . محمد فتحي الشنيطي ، الطبعة الاولى ،
مطبعة مونت برس ، بيروت ١٩٦٩ م .
- × المهدب فيا وقع في القرآن من العرب ، لليوطي ، تحقيق : عبدالله
الجبوري مجلة المورد ، المجلد الاول ، العددان الاول والثاني ١٣٩١ هـ
- ١٩٧١ م .
- × موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات
التنوير ، للشيخ المولوي محمد اعلى بن علي التهانوي ، شركة خياط
للكتب والنشر ، بيروت . د . ت .
- × النبات والشجر ، للاصمعي ، نشره : د . اوغست هفتر ، ضمن البلغة
في شذور اللغة .
- × النثر الفني في القرن الرابع ، د . زكي مبارك ، الطبعة الاولى ، مطبعة
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م .
- × نعمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد ، الشيخ ابراهيم
اليازجي الطبعة الثانية ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ١٩١٣ م .
- × النخل والكرم ، للاصمعي ، نشر : د . اوغست هفتر ، ضمن البلغة في
شذور اللغة .

- × نزهة الالباء في طبقات الادباء ، لابي البركات كمال الدين عبدالرحمن ابن محمد بن الانباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : د . ابراهيم السامرائي ، الطبعة الثانية ، مكتبة الاندلس ، بغداد ١٩٧٠ م .
- × نشوء اللغة العربية ونموها واكتسابها ، الاب انتاس ماري الكرمللي ، المطبعة المعصرية - القاهرة - ١٩٣٨ م .
- × نصوص في فقه اللغة العربية ، د . يعقوب بكر ، دار النهضة العربية ، مطابع دار لبنان ، بيروت ١٩٧٠ - ١٩٧١ م .
- × نهاية السؤل في شرح منهاج الاسؤل ، للقاضي عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) للشيخ جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الاسنوي (ت ٧٧٢ هـ) جمعية نشر الكتب العربية ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- × الوجيز في فقه اللغة ، محمد الانطاكي ، المطبعة الحديثة ، حلب ١٩٦٩ م .

المجلات :

- × اسلاميكا - المجلد الخامس - المانيا - ١٩٣١
- × آفاق عربية - العدد ٤ - بغداد - كانون الاول ١٩٧٥ .
- × الفكر - العدد ٥ - السنة ١٥ - تونس ١٩٧٠ .
- × الكتاب - العدد ٧ - السنة ٨ - بغداد توز ١٩٧٤ .
- × كلية الشريعة - العدد ٥ - بغداد ١٩٦٨ - ١٩٦٩ .
- × مجمع اللغة العربية الملكي - الجزء الاول - القاهرة ١٩٣٤ .
- × مجمع اللغة العربية الملكي - الجزء الثاني - القاهرة ١٩٣٥ .

المراجع الأجنبية

1. A Comprehensive English Grammar for Foreign Students. C.E. Eckersley, and J.M. Eckersley. Tenth impression 1972. Longman Group Limited, London, printed in Hong Kong.
2. Language and Communication.
George A. Millen.
United States of America, 1963.
3. Language An Interoduction to the Study of Speech.
Edward Sapir.
Second edition, United States of America, 1949.
4. Language its Nature, Developmnet and Origin.
Otto Jespersen, London, 1949.
5. The Language Poets Use.
Winifred Nowottny.
The Athlone Press, University of London, 1968.
6. Linguistics and English Grammar.
H.A. Gleason, Jr.
Printed in the United States of America 1965.
7. The Meaning of Meaning.
C.K. Ogden and I.A. Richards.
Printed in Great Britain, London, Tenth edition, 1956.
8. New Standard Dictionary of the English Language.
Prepared by more than three hundred and eighty specialists
and other scholars.
Funk & Wagnalls Company, New York, 1960.

9. **Philosophy of Language.**
William P. Alston.
Twelve edition, Library of Congress, U.S.A. 1964.
10. **The Principles of Semantics.**
Stephen Ullmann.
Seconon, Edition, London, 1957.
11. **Semantics An Introduction to the Science of Meaning.**
Stephen Ullmann.
Oxford, 1967.
12. **The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles.**
William Little, H.W. Fowler, J. Coulson.
Revised and edited by C.T. Onions.
Third edition, Oxford University Press, 1965.
13. **Webster's New International Dictionary of the English Language**
William Allan Nellson, Thomas A. Knott and Paul W.
Carhart.
Second Edition, U.S.A., 1959.
14. **The Works of Aristotle.**
Translated into English under the editorship of W.D. Ross.
Volume XI Rhetorica by W. Rhys Roberts. De Poetica by
Ingram Bywater, Oxford 1959.

المحتوى

٥	المقدمة
١٧ - ١١	التمهيد : في التطور الدلالي
٧٢ - ٢٩	الفصل الاول : فكرة الترادف
٢١	- الترادف لغة واصطلاحا
٢٢	- الترادف في الدراسات اللغوية
٤٨	- مفهوم الترادف ، تطوره وتحديدته
٥٤	- الترادف عند اوسوليين والمناطقة
٦٥	- الترادف عند المحدثين
١٩١ - ٧٥	الفصل الثاني : تفسير حدوث الترادف
٨٠	- اثر التطور الدلالي في حدوث الترادف
١٠٠	- المجاز
١٠٩	- نموذج في مرادفات الداهية « دراسة »
١٢٠	- الصفات الغالبة
١٥٢	- اختلاف اللغات
١٦٢	- العرب والدخيل
٢٧١ - ١٩٢	الفصل الثالث : الخلاف في وقوع الترادف
١٩٦	- آراء القدامى
٢٢٢	- دراسة في بعض كتب الفروق اللغوية

نماذج في الفروق

آراء المحدثين

٢٢٢

٢٥٩

بعضها

الفصل الرابع : كثرة الترادف في العربية

٧٢٠ - ١١

٢٧٢ - ٢٠٢

بعضها : بغيرها

٢٨١

بعضها : بغيرها

٢٩٠

بعضها : بغيرها

بعضها : بغيرها

بعضها : بغيرها

بعضها : بغيرها

بعضها : بغيرها

١- التطور الصوتي

٢- الفخر والاعتزاز

٣- النظرة التاريخية

٤- الوضع والهم والخطا

٥- التقارب في المعاني

٦- التصحيف والتحريف

الخاتمة

المصادر والمراجع

بعضها : بغيرها

١٦١ - ٥٧

بعضها : بغيرها

٠٨

بعضها

٠٠١

بعضها : بغيرها

٢٠١

بعضها : بغيرها

٠٦١

بعضها : بغيرها

٦٥١

بعضها : بغيرها

٢٢١

بعضها : بغيرها

١٧٦ - ٦٦١

بعضها : بغيرها

٢٦١

بعضها : بغيرها

٢٣٢

تصميم الغلاف : سليمان ناجي

مكتبة جامعة الكويت

الكويت (١٩٧١)

رسالة رئيسية - رسالة

رقم الأعداد في الكتبة الوطنية - بغداد

(١٤٦) لسنة ١٩٨٠

دار الحرية للطباعة - بغداد
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والأعلام
دار الرشيد للنشر

السعر ٢٥٠ فلساً

السرادف

في

الذخيرة

هاكم مالك لعبي